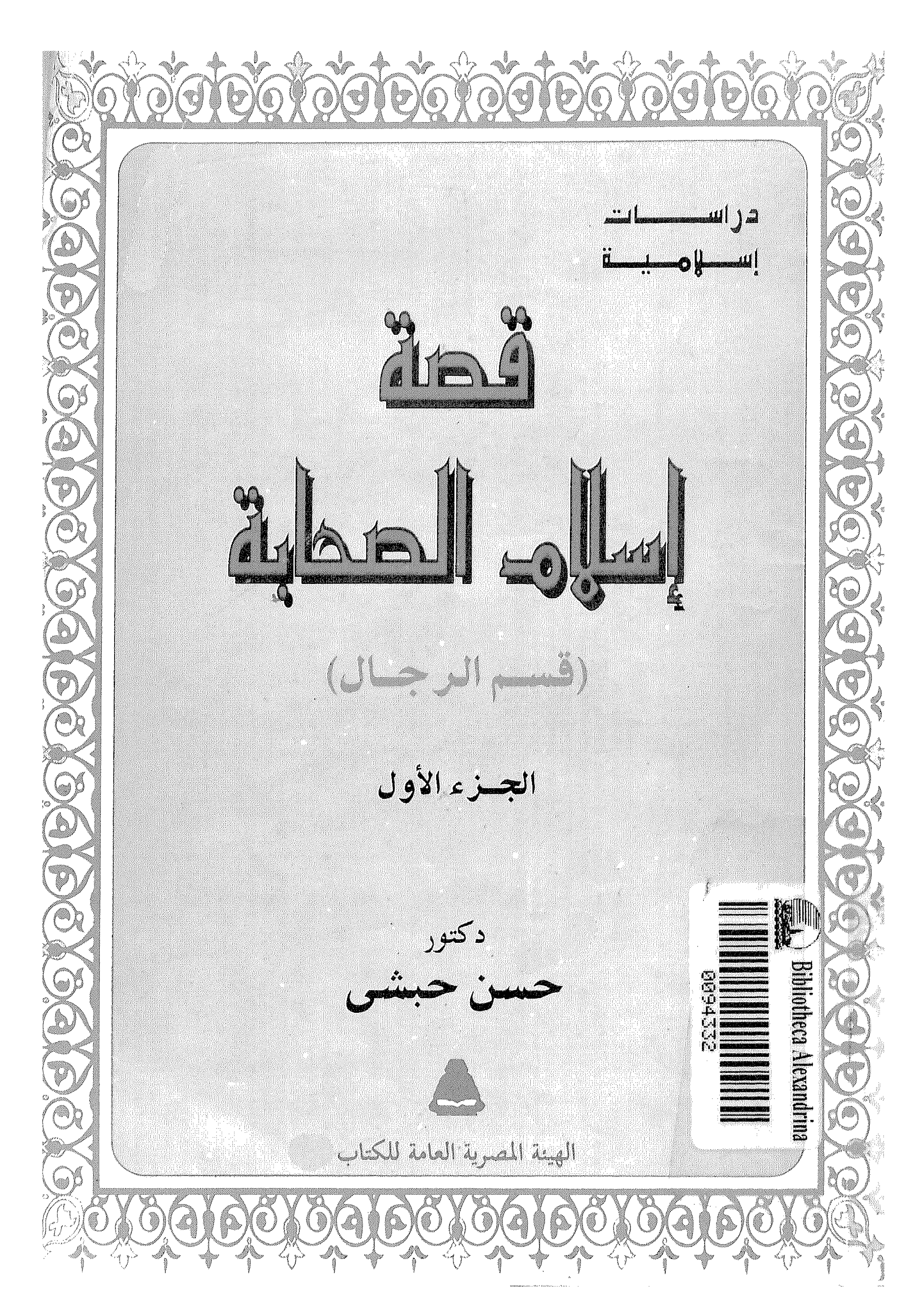


دراسات إسلامية

قصة إسلام الصحابة

(قسم الرجال)

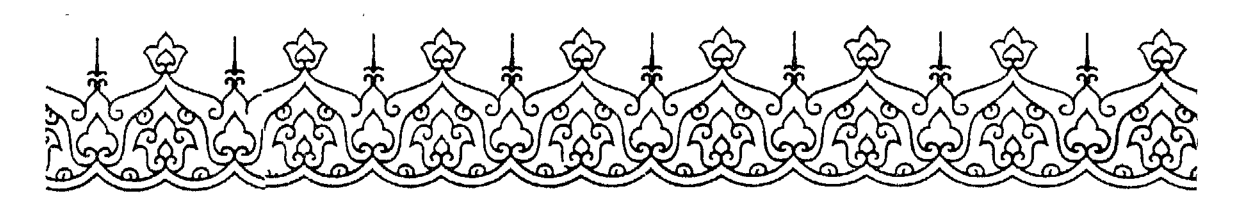
الجزء الأول

دكتور

حسن حبشى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

دراسات إسلامية



قصة إسلام الصحابة

(قسم الرجال)

الجزء الأول

دكتور
حسن حبشي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٧

إهــداء

إلى أعـــزائي :

نهى أسامة عبدالمنعم عمارة .

ومحمود ونرمين أيمن حسن حبشي .

ولبنى وأمجد محمد أحمد علي .

أهدي إليكم هذه الصفحات من سير رجال

ونساء وشباب صنعوا التاريخ كأحسن ما يكون التاريخ

على مرّ القرون .

كان دينهم الإسلام ، وسبيلهم الحق . ورابطتهم

الحب ، وشعارهم العدل ، فكانوا مؤسسي دول ،

وبناة حضارة يحمدهم عليها الحامدون الشاكرون .

وأرجو أن يكون لكم - أنتم أحفادي الغالين

ولأمثالكم - في هؤلاء قدوة ، ففي الاقتداء بهم هداية .

جدّو

حسن حبشي

٢٢ رمضان ١٤١٧

٣١ يناير ١٩٩٧

مقدمه

باسم الله العلى جل جلاله

وبعد فهذه صفحات من تاريخ بعض الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ ، إذا تصفحها القارىء أدرك من أول وهلة جديتهم الصادقة فى بناء أعظم دولة شهدها التاريخ ، وهى دولة قامت على العدل ، والحب ، والاخاء ، والمعايشة الكريمة ، والرحمة ، وكل المعانى السامية التى يستظل بظلها كل ذى دين سماوى ، ولم يحرم من رعايتها السوية غيرهم ما عملوا الخير .

ولقد ساهم كل واحد من هؤلاء الصحابة فى إقامة هذه الدولة : فكريا وماديا دون من أو تفاخر ،ذلك لأن هؤلاء الصحابة كلهم تربوا فى مدرسة الرسول العظيم ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، واهتدوا بهديه ، وتمثلوا بخلقه ، وعرفوا رسالته حق المعرفة ، وعملوا بعمله ، فكان عملهم للدنيا والمجتمع كأنهم يعيشون أبدا ، وكان عملهم للآخرة كأنهم يموتون غدا ، وأدركوا سمو قوله عليه الصلاة والسلام « إنما أنا رحمة مهداة » .

كان هذا ما لمسته فى مطالعاتى لسير هؤلاء الصحابة أظلنا الله وإياهم برحمته يوم لا ظل الا ظله ، وآثابهم مثوبة من آمنوا واتقوا حق تقاته .

وكنت كلما ازددت نظرا فى سيرهم ازددت إيمانا بأنهم بناة مجتمع : دعائمه الحق ، وأركانه العدل ، وسبيله الرحمة ، وشرعته الحب ، فنعم بهذا كله جميع من عاشوا فى مجتمعهم ، أيا كان لونهم ودينهم وعقيدتهم ومكانتهم ... وكان ذلك منتهى المثالية .

وان هؤلاء الصحابة لكثر لأنهم كانوا يؤلفون هذا المجتمع يومذاك ، ومن ثم فما من شاردة أو واردة فيه إلا كان لهـا صداها عندهم ، وقد ألمت بها كتب السير والتراجم والمغازى والملاحم ، فجمعت العزم وتوكلت على من هو فى عون المتوكلين إذا صدقت عزائمهم وحسنت نواياهم ، ورأيت أن أؤلف بين شتات هذه الأخبار المبعثرة فى ثنايا الكتب ، فكان من ذلك كله ما هو الآن بين يدى القارىء ، مما اطمأنت إليه نفسى .

وقد آثرت فى عرض هذه السير أن يكون أصحابها من رواة الأحاديث التى صحت وحسنت .

ولقد كانت هذه الصفحات فى صورتها الأولى بعضا مما ألقيته من إذاعة مكة المكرمة ، عـلى مدى سـنوات أربع لم تنقطع فيها يوما واحدا ، ثم ها هى ذا تعاد مرة بعد أخرى ، وكان ذلك باشـارة من أخى فى الله وصـديقى الأسـتاذ « سليمان عبيد » مدير اذاعة مكة المكرمة وجدة .

ولما أخذت فى إعداد هذه السير للطبع عدت إلى ما كنت أذعته فزدت أشياء وحذفت أشياء ، ورجعت مرة أخـرى إلى المصادر والمراجع حتى أتجنب كل ما قد يأخذه عليها البعض ، وحتى خرجت على هذه الصورة التى أردت أن يكون فيهـا النفع ، والحمد لله أولا وأخيرا .

٣٤ ش عمر بن الخطاب
المهندسين ـ الجيزة
١٦ مارس ١٩٩٧ م .

دكتور حسن حبشى

عَمْرو بن ثابت بن وَقْش
دخل الجنة ولم يُصَلّ

نحن الآن مع رجل أسلم أهلوه جميعهم ، وكان الكثيرون منهم غرة فى جبين الإسلام ، وأعلاما نيرة فى تاريخه ، عرفهم جميع أهل المدينة مسلمين إلا هو فلم يسلم ، أو على الأقل لم يعلن إسلامه ، ولم يكن الظن به أبدا أنه فى عداد المؤمنين ، لكنه مات صادق الإيمان ، مصدقا للنبى عليه الصلاة والسلام ، ولم يعلم الناس فى حياته أنه من أصدق القوم إيمانا ، ولم يعرفوا ذلك إلاّ وهو يجود بأنفاسه شهيدا فى ساحة أحد ، ذلك هو :

عمرو بن ثابت بن وقش بن عبد الأشهل ، الأوسى الأنصارى .

كان أخوه سلمة بدريا ، واستشهد هو الآخر فى يوم أحد ، وكذلك أبوهما ثابت وعمهما رفاعة .. وجميعهم من أسرة واحدة قدمت الشهيد تلو الشهيد فى سبيل إعلاء كلمة الحق ودحر المشركين ، وقتال المنافقين .. فأكرم بها من أسرة اعتزت بالإسلام واعتز بها الإسلام ، وأكرم بقومه من قوم تفخر بهم الأيام ، وكانوا عقدا غاليا تحلّى به جيد الزمان .

وتسأل هل من مزيد عن هذه الأسرة المسلمة ؟ فيقول لك التاريخ : « أجل عندى المزيد لمن أراد الاستزادة من الخير ، فهذا ابن عمه عبّاد بن بشر بن وقش الذى جاهد الجهاد الطيب الذى قالت عنه عائشة أم المؤمنين إن النبى عليه

الصلاة والسلام سمع صوته فقال : « اللّهم ارحم عبادا » ، ويزيد التاريخ فى التعريف بعباد بن بشر هـذا فيقول إنه الرجل الذى أسلم عـلى يد مصعب بن عمير الذى كان اول داعية فى الإسلام اختاره الهادى صلوات الله وسلامه عليه ، فكان شيخ الدعاة فى التاريخ وإمامهم وزعيمهم على الإطلاق . وكان إسلام عباد قبل إسلام سعد بن معاذ .

لكن هل يغنى الرجل ــ أيا كان هذا الرجل ــ أن يكون ذوو قرباه من أشد الناس إسلاما والتصاقا به وخدمة للدين ، ثم لا يكون هو مسلما ؟

كلا .. فإنهم لن يغنوا عنه من الله شيئا ، يوم يجمع الله الناس إليه (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم)

● ● ●

كان عمرو بن ثابت بن وقش يأبى الإسلام ، أو هـكذا كان الناس يظنونه فيقولون عنـه سرا وجهرا قولا رجمـا فما يبالى بما يقولون ، ولا يخرج عن الصمت ، وللناس أن يقولوا عنه ما يقولون وما يشاءون ، وأن يرمـوه بالكفـر فإنه كان فى ظنّهم بدعا فى أسرته فلم يجهر قطّ بالشهادتين ، ولم يستمع إلى من جاؤوا إليه يرغبـونه فيه ، ويحـاولون إرشاده وهدايته ، فطالما حدثه قومه عن هذا الدين وراحوا يحببونه إليه ، ولـكنه كان يشـيح بوجهه عنهم وينصرف ولا يجيبهم بلا أو نعم .

غير أن الله ــ جل جلاله ــ يهدى من يشاء وهـو أعلم بالمهتدين ، وصدق الحق فهو أدرى بالمهتدين وبمن ضل عن سبيله ، وهو الذى يعلم ما تخفى الصدور .

ويعجب الناس أن يكون هذا شأن عمرو بن ثابت ، ..
ويتساءلون : أيكون هذا حال من خاله حُذيفة بن اليمان ، وهو من هو في الإسلام ؟

●●●

وأخذ عدد المسلمين يتزايد في المدينة يوما بعد يوم ، وتتسع دائرتهم ، ويشتد ساعدهم ، وما من ساعة تمرّ إلا ويدخل هذا الدين كثيرون ، غير عمرو بن ثابت بن وقش فقد ظل كما هو لا يحضر مجالس الرسول ، ولا يعلن أمام أحد بأنه مسلم ، ولا يشهد له أحد بما يشير من قريب أو بعيد إلى ما يدل على اعترافه بالدين ودخوله فيه .

وراحت السرايا تخرج واحدة تلو الأخرى وهو يرقبها صامتا ، لا يتحدث بشيء مما يختلج في صدره .

ثم يأتي يوم بدر ويشارك فيه من الأنصار من يشارك طواعية ، ويسهم فيه من بيت وقش وبني عبد الأشهل من يسهم ، ويخرجون مع إمام المتقين والمرسل من الله رحمة للعالمين ، ولكن عمرا لا يعرفون عنه شيئا ، ولا يعنيهم أن يبحثوا عنه ، فالموقف يومذاك أجل من أن يستحوذ على الأذهان شيء غير بدر .

وتركه الناس وشأنه فإنه لا إكراه في الدين بعد أن تبين الرشد من الغي ، ولا مكان لمثل هذا الرجل في ساحة بدر فما كان للمسلمين أن يستعينوا في قتال المشركين بغير من آمن بالله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه .

ثم يكون اليوم يوم أحد وهو اليوم الذي جمع الكفر فيه قواته وأراد أن يمحو عار هزيمته في بدر ، وأن يثأرلقتلاه . وظن الشرك أنه قاض على الإسلام والمسلمين قضاء مبرما .. وعرف الجميع : مسلمهم وكافرهم أن قريشا قد ألقت بثقلها في معركة تنتقم فيها من يوم بدر ، وتكون يوما كيوم بدر ، كما قال أبو سفيان .

وكان يوم أحد كما نعلم يوما مشهودا فى أوله ، ومشهودا فى آخره .

والتقى الشرك والتوحيد وجها لوجه ، فكانت الضلالة فى جانب ، وكان النور الإلهى والهدى فى الجانب الآخر .

واحتدم القتال .. ، وسلت السيوف من أغمادها .. وكثر الكر والفر ، وتعانقت الرماح ، وأسفرت الحرب عن قتلى عديدين .

وانتهى اليوم على غير ما يرجوه المسلمون ، وكانت خاتمته درسا فى معنى الطاعة للقائد الملهم والرسول الأعظم .

وانكفأ كل فريق إلى معسكره يمسح جراحه ويجمع قتلاه ، فأما هلكى الكفار ففى القليب ، وأما شهداء المسلمين ففى حواصل طيور خضر .

وخرج رجال من بنى الأشهل يتفقدون شهداءهم وجرحاهم فى المعركة .

فأبصروا .. ويا عجبا مما أبصروا .. لقد أبصروا شيئا لم يكن يدور قط بخلد أحد ..

أبصروا عمرو بن ثابت بن وقش بين شهداء المسلمين قد أثخنته جراحه ، والدماء تنزّ منه ، وقد كثرت فيه الكلوم وأن لم يزل به رمق من الحياة ، فحملوه مرتثا ، وسمعوا منه — وما أعجب الذى سمعوه — أنه مسلم ، ثم نطق أمامهم بالشهادتين وهو يجود بأنفاسه الأخيرة .

لقد رأوه فى ساحة أحد تمج جراحه دما فتخضب جسمه كله ، وكادت عيون المسلمين أن تنكره فما كانوا يتصورون أبدا أن يكون عمرو بن ثابت بن وقش بين ظهرانيهم ، يقاتل معهم الكفر ، ويحارب الشرك ، وهو الذى عرفوه غير معلن الإسلام ولا مصرح به ، ومن ثم سألوه : « ما جاء بك

يا عمرو بن وقش هنا ؟ ٠٠ أحدبا على قومك ، أم رغبــة فى الإسلام ؟ » ٠

فأجابهم وهو فى الرمق الأخير : « بل رغبة فى الإسلام. آمنت بالله ورسوله، وأسلمت وقاتلت حتى أصابنى ماترون» ٠

فيا لحكمة الله العلى القدير ٠٠ ها هو ذا عمرو بن ثابت يموت مسلما شهيدا !!

وشكر الناس رب العزة والجبروت أن قذف بالإســلام فى فؤاد صاحبهم ، وزغردت الفرحة فى قلوبهم، وهنئوه فيما بينهم وبين انفســـهم أن من الله عليه بتلك النعمة الكبرى وهى ألا يمــوت إلا وهو مسلم ، مصدق لربه ونبيه ، متق الله حق تقاته ٠

وظل القوم حول صاحبهم عمرو بن ثابت حتى همــد جسده ، وبردت أطرافه ، وسكنت أنفاسه ، وتصرم أجله ، وصعدت روحه إلى بارئها راضية مرضية ، لتكون فى عــداد من شملتهم رحمته ٠

●●●

لقد كان من أمره يومذاك أنه بدى له الحق فأسلم ، ثم أخذ سبيله واستل سيفه وانطلق حتى دخل فى عرض الناس وصفوفهم وهم لا يدرونه ، فلا شاغل لهم الســاعة إلا قتال الكفــار ، ولكنــه كان بينهــم يحـــارب الشرك والمشركين ويحاربونه حتى أثقلته جــراحه ، وكثر ما ســال من دمه ، فمات فى ساحة الوغى بطلا مسلما ، وكان شهيدا ٠

وذكر الناس خبره للرسول عليه الصلاة والسلام فقال فيه : «انه من أهل الجنة» ، فيا نعم خاتمة عمرو بن وقش ٠ وكان الحق فيما قاله الشــفيع الهادى وصرح به البشـــير النذير ٠

●●●

وكان أبو هريرة يقول : « أخبروني عن رجل دخل الجنة ولم يصل لله عز وجل صلاة واحدة » !! فيسكت الناس ، ويعجبون من أبي هريرة يقول هذا القول فيقول لهم : « أصيرم بني الأشهل .. عمرو بن ثابت بن وقش » .

فطوبى له من خاتمة فيها الرحمة .. وما أسعد النعمة التي أنعم الله بها عليه إذ استشهد قرير العين مطمئن النفس .

وهنيئا له ما صار إليه من نعم الخلد وجنة يتفيأ ظلالها المؤمنون .

وهكذا لا يكون بين المرء وبين النار إلا خطوة فيعمل عمل أهل الجنة فإذا هو من أهلها .

وكان عمرو بن ثابت حقا من أهلها بشهادة الصادق الأمين .

لقد خاض عمرو حربا ضد الكفر لا يبغي غير وجه الله ، وطاعة رسوله ، فكان من الأبرار :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٣)

صدق الله العظيم .

مهجع العكي اليمني

أول شهيد في بدر

نحن الآن مع صحابى كريم من أهـل « علك » ومن أهـل اليمن .

واليمنيون قوم أمدوا الإسلام فى تاريخـه الطـويل بالرجال العظام الذين كتبوا صفحات نيرة من المجد والبطولة التى يشهد لهم بها التاريخ ، ولا يمحوها كر السنين ، أو تبلى جدتها الأيام ، أو يطوى ذكرها مر القـرون ، أما ذلك الصحابى فيعرفه الجميع باسم : « مهجع » .

كان مهجع من أهل اليمن وإن لم يكن من أهل الذروة والجاه فى قومه فى المال ، بل كان من غمـار النـاس ومن آحادهم الذين تزدحم بهم طرقات الحياة وفجاج الأرض ، ويعيشون فلا يدرى بهم أحد ، ويموتون فما من راث لهم أو باك عليهم .

ولا نعرف عن هذا الصحابى إلا أنه «مهجع» ، فإن اوغل القـوم فى التعريف به قالوا « ابن صـالح العكى » ، فإن سألتهم المزيد للتعرف عليـه لزموا الصمت إلا أن يقـولوا جميعا : إنه مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنـه ، وبهـذا عرف مهجع فى الناس وفى الدنيا وفى كتب السير والمغازى وفى أحداث التـاريخ ، حتى لقى ربه قرير العين ، حامدا محمودا .

وقد قال فيه بعضهم إنه مولى لرسول الله ﷺ ، وهـذا قول ضـعيف ، وكأنما أراد أصـحابه أن يزيدوا من قدره :

إكبارا منهم لمهجع ومنزلته بين الصحابة فنسبوه إلى الهادى، ولكن الاصح ان يقال فيه ـ وحسبه ذلك فخرا ـ انه كان مولى للفاروق رضى الله عنه ·

ونعرف من النتف القليلة المبعثرة عن مهجع فى ثنايا بعض الكتب هنا وهناك ، وفى التراجم القصار ، انه كان قد أصابه سبى كما يقولون ، فمَنّ عليه الفاروق رضوان الله عليه بالعتق فتحرر ، ورد عليه عمر إنسانيته عملا بشرعة الإسلام وسنته ·

لكن متى كان ذلك السبى ؟ ·· وأين كان ·· ؟ ومن هم هؤلاء الذين سبوه ·· ؟ تلك أمور تسكت المصادر عنها ولا نجد لها جوابا فى كتب السير ولا المغازى ولا فى تراجم غيره ، ولا نعثر على إشارة إلى أى الحروب والغارات الجمة فى الجاهلية كان ذلك الحدث ، كما أننا لا نعرف شيئا ولا نستطيع أن نقول فى ذلك شيئا إلا أن يكون ما نقوله رجما بالغيب وظنا من الظنون ، وما يغنى الظن بصاحبه فى هذه الأمور ، ولا يجدى نفعا ·

●●●

على أن هذا العتيق يبرز فى أحداث الدعوة والوجود الإسلامى وهجرة الرسول فى المدينة المنورة عملاقا لا يؤخره أن يكون مولى ، والمولى ردء مولاه فكيف إذا كان فى الإسلام الذى ساوى بين الجميع حيث الأخوة وحيث يقول القائل فى ذلك :

فآخ لحال السلم من شئت واعلمن
بأن سوى مولاك فى الحرب أجرب

ومولاك مولاك الذى إن دعوته
أجابك طوعا والدماء تصبب

ثم انظر إلى هذا المولى حين هداه الله للملة السمحة فأخلص قلبه لله تعالى ، وصفت نفسه فآمن بالله ورسوله ، ثم

دعاه الدين أن يكون فى صفوف المدافعين عنـه فدافع حتى استشهد لا يبغى غير الحق وغـير وجه ربه « ومن النـاس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » .

●●●

كان فى مهجع طاعة لله ورسوله ، وقد دفعته هذه الطاعة لأن يكون من المهاجرين الأولين يوم دعا النبى عليه الصـلاة والسلام أصحابه الغر الميامين إليها فهاجر من قدر منهم على الهجرة ، وشهدت المدينة المنورة جمعا كبيرا منهم .

وكان من هؤلاء المهاجرين « مهجع » فأقام بها قانتا لله تعالى ينتظر اليوم الذى يدعى فيه للجهاد فلا يتأخر عنـه ، وكان كلما طلع صبح أو أقبل ليل تساءل : « أما من خروج لقتال الكفر عسى أن يهتدى الضالون فترطب الرحمة قلوبهم وينير الحق سبيلهم ، ويبدد النور الالهى ظلمات حيـاتهم ؟ ويكون الدين لهم مرشدا فى دياجير الحياة المظلمة وشعابهـا الوعثاء ؟ » .

ثم جاء اليوم الذى طال ارتقاب مهجع له ، وكان ذلك يوم بدر ، وأكرم به من يوم هو غرة فى جبين الدنيا وواسطة عقد تحلى به جيد الزمان ، وهو يوم أكرم الله عز وجل فيه من شارك فيه من جند الرحمن فأظهرهم على عسكر الكفر وجند الشيطان ، فتبوأ المؤمنون المقام الكريم نزلا كريما ، وشـهد لهم بذلك الشفيع الهادى اذ قال وهو الصادق الأمين : « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شـئتم .. قد غفرت لكم » ..

وحين أراد الناس أن يكرموا العلم وأهله قال الشـاعر وهو صادق فيما قال :

والعلـم بـدرى أحـل لأهله ما يفعلون

●●●

وآقبل المسلمون ــ مهاجرين وآنصارا ــ تحت راية الرسول العظيم فى هذا اليوم الذى جمعت فيه قريش كل ما استطاعت جمعه من رجال وسلاح وكراع وخيل وعبيد ، وجاءت متحفزة لضرب الاسلام والمسلمين هى وملؤها ومن تبعها وتبعهم ، فسلكت طريق الضلالة والخطيئة ، ثم التقى المصافان : أهلُ التوحيد بأهل الشرك ، وحزبُ الله بحزب الشيطان ، ورهط الهدى بأهل العناد والكفر ٠٠ وكان قتال عنيف أسفر عن نصر رائع للمسلمين

وكانت حرب انتهت بخذلان بين للكافرين وهزيمة نكراء للمشركين ، ونصر محجل للمؤمنين الذين حق لهم أن يتباهوا به وتعلو رايتهم ٠

فى هذا اليوم خرج مهجع يحمل روحه على كفه لا يريد إلا إحدى الحسنيين ٠ وقاتل ما وسعه الجهد ، وصال وجال حتى جاءه سهم غرب فأرداه فكان أول قتيل من أهل التوحيد وأول شهيد منهم ، وتعالت عند استشهاده الصيحة الكريمة : « الله آكبر » ٠

واستشهد مهجع ٠

ونعم ما حظى به مهجع يومذاك ٠٠ وهل بعد الاستشهاد نعمة يرجوها المؤمن الصادق الإيمان ؟

●●●

وتروى كتب التاريخ والمغازى خبر استشهاده فتذكر أن رأس الكفر أبا جهل أخذ يحرض قومه ومن معه على النكاية فى المسلمين ما وسعتهم النكاية ٠٠ أليس هو الذى وعد قريشا وأهل مكة ممن على شاكلته ، وتباهى بينهم بأنه عائد من بدر بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب أسيرا ؟ ، وصفق له المشركون ــ لحاهم الله ــ يومذاك وما استحوا ، وليفعل ما يشاء من لا حياء عنده ٠

لقد راح أبو جهل يمنيهم ويعدهم ــ وما يعدهم إلا غرورا ــ بأنه آسر النبى ﷺ ، وراجع إليهم بمحمد يرسف فى الأغلال .. كبرت كلمة تخرج من فيه أن يقول إلا كذبا، ولا ينطق إلا سفها ، وسيعرف هو أى منقلب هو منقلبه .

وانطلق أبو جهل إلى عامر بن الحضرمى يثير فيه عصبيته الجاهلية ويذكى نار الثأر فى نفسه من أجل أخيه الذى هلك فى سرية نخلة .. وتنجح هذه المحاولات الآثمة فيحلف عامر ألا يرجع حتى يفحش فى قتل أصحاب النبى رضوان الله عليهم أجمعين .

والح الثأر المحرق فى نفس ابن الحضرمى ، فأقسم بلاته وعُزّاه ليذيقنهم سنان رمحه انتقاما لمصرع أخيه ، ويروّى سيفه من دمائهم .

ألا سفه ابن الحضرمى وسفهت لاته وعزاه !!

واندفع ابن الحضرمى عامر ونار الثأر تتلظى بين جوانحه وكأنها جراحات دامية فى جسده ، قد ذر عليها الملح، فشد على القوم وأقحم فرسه ، فكان « مهجع » ــ مولى عمر بن الخطاب ــ أول من خرج إليه فرماه ابن الحضرمى بسهم من كنانته فأرداه ، فكان أول شهيد من الأنصار .

● ● ●

هذا هو مهجع المولى ، ومهجع اليمانى ، ومهجع الصحابى ومهجع المجاهد .. فرحمه الله رجلا أسلم فأطاع فجاهد ، وقاتل الكفر فلقى ربه راضيا مرضيا ، ومات قرير العين مطمئن النفس، ورحم الله هذا الصحابى الذى ذكر ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان من النفر الذين نزل فيهم قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٢)

صدق الله العظيم

أما هؤلاء النفر فهم بلال وصهيب وعمار وخباب بن الأرت وعتبة بن غزوان وأوس بن خولى وعامر بن فهيرة ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، رضوان الله عليهم أجمعين ٠

وهكذا مات مهجع شهيدا ٠

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

صدق الله العظيم

إياس بن البكير
أسد الوقائع

الصحابى الجليل إياس بن البكير بن عبد ياليل ، حليف لبنى عدى بن كعب بن لؤى .

كان أحد أربعة إخوة ليس فيهم إلا من يفخر به المسلمون ويتباهون بعظمته ، ويشيدون ببأسه الذى صرفه فى الخير ، ويتفاخرون به يوم الفخار فى كبرياء وازدهاء ويقولون : « أولئك أبنائى فجئنى بمثلهم » ، والحق أنهم غرّة فى جبين الإسلام فى أيامه الأولى وبعد هجرة الرسول الأعظم إلى المدينة . وأنت لا تعرف أى واحد من الأربعة تقدمه على الباقين . لئن كان اليوم يوم تفاخر بالجهاد فى سبيل الله ، أو كانت مبادرة إلى طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام فإنهم جميعا فى الطليعة .

وإن يكن ثم تباه بالشجاعة فكلهم باسل صنديد ، ومحشّ حرب وابن كريهة ، حتى قيل فيهم أنهم « أسود الوقائع وأحلاس الخيل » ..

وإن تكن مباهاة بالإيمان وعمل الصالحات فأبناء البكير أهل لذلك كله لأنهم يسعون لأن يهديهم الله لتكون الجنة مثواهم ، ونعيم الخلد مأواهم ، حتى تكون دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وحتى يكون آخر دعوتهم أن الحمد لله رب العالمين .

●●●

كان اياس أخا لثلاثة هم : عاقل وعامر وخالد أبنـــاء البكير ، وكلهم بدريون حتى قال فيهم أحـد كبـار مؤرخى الصحابة : « لا نعلم أربعـة إخـوة شـهدوا بدرا غير إياس وإخوته » •

ولقـد صـدقت منهم النية والعمـل ، فكان الفضل ملأ بردهم ، ونضحت أفعالهم بكل خـير ، فكانوا صـنو المروءة والفعال النابهة ، قد صفى جوهرهم فليس فيهم ثم شائبـة تشوبهم ، أو مذمة تنقص من قدرهم •

ولقدأسلم صحابينا إياس بن البكير فى وقت مبكر، والإجماع منعقد على أنه أسلم والرسول عليه الصلاة والسلام فى دار الأرقم ، وبذلك يكون من الطلائع الأولى النيرة التى بادرت إلى تصديق النبى ، ومن السابقين للإيمان برسالته والدعوة إلى سبيل الله بالحسنى وتأييدها ، رغم ما كانوا يلاقونه من عنت قريش وصولتها وظلمها وجبروتها وطغيانها وبغيهـا

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾

أسلم اياس فى دار الأرقم ، وأسلم معه يومذاك أخـوه عامر ، ثم ما لبث الأخوان الآخران : عاقل وخالد أن نهجـا نهجهما وسارا على دربهما ، واهتديا مثلهما بهدى رسول رب العالمين وإمام المتقين •• كل ذلك والنبى عليه الصلاة والسلام لا يزال فى مكة ، وبذلك اكتمل عقد الإخوة الأربعة فى طاعة محمد بن عبد الله الأمين ، وبادروا إلى الاستجابة لما يدعـو إليه من ربه ، فكانوا أشداء على الكفر والـكفار ، كارهين للشرك والمشركين ، أعداء للنفاق والمنافقين •

وتحمل إياس وإخوته اضطهاد قريش لهم صابرين غير مبالين على أى جنب يكون فى الله مصرعهم ما داموا يلقون ذلك فى سبيل الله عز وجل ٠

●●●

ولما هاجر عليه الصلاة والسلام إلى يثرب سار إياس على خطاه ، واقتفى آثره ، وسلك هو وإخوته دربه ، وتركوا مكة التى شهدتهم منذ أن خرجوا إلى الحياة ، ثم درجوا على آديمها ، وسعوا فى شعابها وضربوا فى مناكبها ، وعرفوا مرابعها أطفالا ، وشاركوا فى مجتمعاتها شبابا ورجالا ، وكانت حياتهم فيها ، وكانت هى معاشهم ومقيلهم ، وفيها أهلوهم ورفاقهم وأموالهم ومتاعهم ، فكانت أول وآخر ما تغلق عليه أعينهم ، فهى صبوحهم ، وهى غبوقهم ٠

لكنهم تركوا ذلك كله غير آسفين ، ونزل الإخوة الأربعة الأطهار على أنصارى كريم فتح لهم قلبه وبيته عن رضا وطيب خاطر إذ رضى الإخوة الأربعة الكرام بجواره ٠٠ ذلك هو أبو لبابة : رفاعة بن المنذر العقبى ٠

وأقام أبناء البكير الأربعة فى المدينة مهاجرين ٠

وراحوا يجمعون بين العمل الشريف بأيديهم يكسبون منه معاشهم كى لا يكونوا عالة على غيرهم حتى يغنيهم الله من فضله ، وبين حضور مجالس رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ٠

ثم جاء اليوم الموعود : يوم بدر ٠

وخاضه الإخوة الأربعة أبناء البكير ، وأبلى إياس فى هذا اليوم خير البلاء الذى هو سمة جند الله ، وخرجوا من هذا اليوم أحياء غير أخيهم «عاقل» فقد اختص من دونهم يومذاك بالشهادة أكرمه الله بها فى يوم غال عند الله وعند المسلمين والتاريخ ٠

●●●

ولما خرج المسلمون لنشر دين الله وتوسيع رقعته كانت مصر من البلاد التى شاء قدرها الكريم أن تنجو من ظلام الحكم الذى كانت ترسف فى قبضته ، فانطلق العرب الأوائل بقيادة عمرو بن العاص فدخلوها مبشرين وهداة ، وكان فى هذا الرهط الكريم صاحبنا إياس بن البكير الذى سعدت به مصر صحابيا ومعلما •

●●●

ولقد أنجب إياس ولده « محمد بن إياس » الذى كان من رواة الحديث الشريف ، مقبلا على سماعه وحفظه ، •• ومن شابه أباه فما ظلم ، وهيهات أن يكون الظل أعوج إن استقام العود •

وعاش إياس فى هذه الدنيا الفانية ما قدر الله له أن يعيش حتى وافاه أجله سنة أربع وثلاثين ، وإذ ذاك آن للسيف أن يغمد فى قرابه ، وللمناضل الحر أن يستريح محمودا بعد أن أبلى فأحسن البلاء ، وبقيت ذكراه مشكاة تنير ولا تحرق ، ومثلا للفضل يحتذى ، وسيرة عطرة فى فم الزمان ، يرويها التاريخ ، وتستمع إليها الدنيا وهى نشوى ، وتتفتح لها القلوب مطمئنة ، ويهلل لها الحق •

فرحم الله إياسا بقدر ما جاهد فى سبيل الحق •

ورحم الله إياسا بقدر ما حدث وروى •

ورحم الله إياسا مسلما بدريا ومؤمنا مناضلا •

ووسعت رحمة الله إياسا وإخوته الذين لم يرهبوا جبروت الظلم وتحدوا الطاغوت والكفر ، ذلك لأنهم من قوم

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ٥١

صدق الله العظيم

●●●

أبو عقبة : أهبان بن أوس
مكلم الذئب

هذا رجل إن سألت عنه قالوا : كان يرعى الغنم على عهد رسول الله ﷺ .

كان ينطلق بهـا كل صباح لا يدرى إلى أين ينتهى به المسير ، بل يدعها حرة تمضى حيث تشاء وهو يرعاها إلى حيث يكون المرعى والكلأ، فإن سألته «أين أنت غدا يا أهبان (وهذا اسمه) يا راعى الغنم ؟ » ، قال حنانيك يا صاح ، لا تسلنى عن غد فما أدرى أن لى غدا ، ولا أعرف ما الغـد ، ولا أعلم أين أكون بعد قليل . ودونك غنمى وشويهاتى أحرسـها ، فحسبى بها من رفيق لا أمل صحبته فهى لا تجفونى ، وإنها لتعرف أين يكون الماء وأين يطيب لها الربيع » .

أما ذلك الراعى البدوى فهو أهبان بن أوس الأسلمى الذى يكنى بأبى عقبة ، والذى غلبت عليه كنيته فما يناديه أحد من أهل البادية أو الحضر إلا بها حتى غلبت على اسـمه فما عاد يذكره إلا نادرا ، وكاد أن ينسى الإسم الذى أطلقته عليه أمه يوم ولدته .

والحق أن تجواله بغنمه كل يوم وحيدا فريدا قد طمس عنده فى أى يوم من الأيام هو الآن ..

ثم ماذا يعنيه أن يسمى الأيام بالأسماء التى تآلفنا نحن على تسميتها بها ؟ ، ... لقد تشابه حاضره بأمسه وغده ، لا فارق بين واحد منها والآخر .

ثم إنه قل أن يلقى من الناس أحدا إلا أن يكون ركبا يراهم وربما لم يروه هم ، وقد يمرون به فلا يلقون إليه بالا ، ولا يعنيه هو الآخر من أمرهم شيء ٠٠ وهل ثم ما يشغل باله ويستولى على تفكيره سوى عنزاته وشويهاته وإبله ؟

إنه يطرب لثغاء شويهاته ، ويكاد لطول مصاحبته إياها أن يعرف ما تقول ، كما أنها هى الأخرى تعرف ما يريد أن يقوله وإن لم تنفرج شفتاه عما يريد أن يقوله ٠

كذلك ألف صاحبنا « أهبان » الصحراء وحيوان الفيافى وما يدب فى جحره ، ولم يعد يرهب الذئب ، وربما كان شأنه شأن الذى قال :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطير ٠

وتمضى الأيام يأخذ بعضها بحجز البعض الآخر ، لا يدرى أهبان ما يومه ، ولا يفكر فى غده ، ولا يعنيه من الأيام إلا ليل يمر يعقبه نهار وضاء ، وشمس مشرقة حارقة ثم تميل إلى الغروب ، ثم يسدل الليل ستوره على الكون ، وتتلألأ فى السماء النجوم ٠٠ وهكذا دواليك ٠

كما أنه لا يعنيه من الزمن إلا أن يأمن على غنمه ، وأن يؤمّن لها المرعى والكلأ والربيع ٠

●●●

ثم يشاء الله أن يأتى يوم ليس كمثله يوم عند أهبان ولا غير أهبان ٠

إنه يوم كان فيه راعينا فى غنمه ، وإذا بذئب ضار يعترض سبيل شياهه ويقترب من إحدى نعاجه ٠

ويلوح له أهبان بعصاه التى يهش بها على غنمه وهو يعلم أنها لا تدفع شر الذئب ان غضب ووثب عليه وعلى شياهه ، ولا تجديه عصاته ، ولا يستطيع له دفعا ، وما من أحد ينقذه ، وهب أن أحدا رآه أيكون هذا الشخص مستعدا للوقوف فى وجه الذئب ..؟ إنه إن يفعل ذلك فإنه لا يضمن سلامة نفسه وسلامة أهبان وغنمه من شراسة الذئب الذى إن جاع وثب فما يخطيء فى وثبته .

وجزع أهبان أشد الجزع على شياهه ، وخافه عليها خوفه على ابنة له مسها السوء أمام عينيه أو كاد ولا يستطيع هو دفع الضر عنها .

ويصيح أهبان بالحيوان المفترس لعل صياحه يخيفه ، ويصرخ فيه صرخات يختلط فيها الفزع بالجزع وهو يعرف أنها لن تجديه فتيلا .

ثم يرى أهبان الذئب وقد أقعى على مؤخرته ، ونصب قدميه للوثوب ، وهل فى وثبته إلا الهلاك لأهبان وغنمه ؟

وظن أهبان فى هذه اللحظة أن الوحش واثب عليه إن لم يهرب هو من أمامه ويترك الشاة له غنيمة باردة وفريسة سهلة .

وتمر لحظات على أهبان لا يدرى أهى قصيرة أم طويلة .

لحظات يوقن معها أن الوحش فاتك بالفريسة وبه هو أيضا .

وتمعّن فإذا الذئب ـ وا عجباه ـ يتطلع إليه فى صمت .

ثم يستولى عليه العجب حين يسمع كلاما عربيا مبينا يصدر من ناحية الحيوان الأعجم . ويكذب سمعه وعينيه ويظن أن به مسًّا من جنون .

ونسأل أهبان أن يخبرنا بما كان فى تلك اللحظة من عجيبة مذهلة فيقول :

« لقد خاطبنى الذئب وقال وهو ينظر إلى الغنم :

« من لها يا أبا عقبة يوم تشتغل عنها ؟ .

أتنزع منى رزقا رزقنى إياه الله ؟؟ »

هكذا يقول أهبان حين حال بين الشاة وبين الوحش الضارى .

ونظر الذئب إلى أهبان .. ونظر أهبان هو الآخر إليه مشدوها مذهولا .

هل رأى الناس أو سمعوا بمثل الذى يراه هو الآن ؟.. وهل حدث الناس قط عن ذئب يتكلم ؟

●●●

ويتحدث أهبان بهذا الأمر العجيب الذى لا يكاد يصدقه ، ولكنه هاهو ذا الآن يراه رأى العين ويسمعه بأذنه ، فلا يخطئه السمع ولا يخونه البصر، ويضرب كفا بكف ، ويكرر ما تلجلج فى صدره ولكن فى صوت مسموع .

ثم يأبى الذئب إلا أن يزيده تعجبا حتى لتتملك الدهشة أهبان ولا يدرى لما جرى تأويلا ، إذ يقول له الحيوان الأعجم مرة ثانية بلسان فصيح لا عوج فيه :

« أتعجب مما ترى منى الآن يا أهبان ، ورسول الله ﷺ فى هذه النخلات ؟

« أتعجب مما ترى الآن منى والرسول ﷺ يحدث الناس بأنباء وأنباء ؟

« أتعجب وهو ﷺ يدعو الى عبادة الرحمن ؟ »

●●●

وانطلق أهبان فى ساعته إلى المدينة حيث شرف بلقاء الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما صار بين يديه آخبره بما حمله على الحضور فى هذه الساعة .

ثم يعلن أهبان إسلامه ، وينطق لأول مرة فى حياته حتى هذه اللحظة بالشهادتين بين يدى البشير النذير ، والشفيع الذى لا شفيع سواه يوم يحشر الناس إلى رب العزة والملكوت فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة .

ويدخل أهبان منذ تلك اللحظة فى عداد الصحابة المؤمنين .

ويسْلمَ على غير انتظار ومن غير أن يدعوه آحد إلى الإسلام ، فقد جاءته الهداية من حيث لا يدرى ولا يحتسب ، ومن يهد الله فما له مضل . وإذا أراد الله شيئا فإنما يقول له كن فيكون .

فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه المرجع والمآب .

سبحانه من مهيمن جبار ، وما كان لأحد أن يتخذ من دونه أولياء .

● ● ●

هكذا كان إسلام الرجل الذى عرف بين الناس باسم « مكلم الذئب » ، والذى قيل فيه إنه أسلم من غير دعوة أحد ، والذى قال البعض فيه إنه صلى القبلتين .

وقال بعض الناس إنه عم الصحابى الجليل « سلمة بن الأكوع » أول مبايع لرسول الله ﷺ يوم البيعة الكبرى « بيعة الرضوان » التى كانت لها منزلة ضخمة ، والتى كان للمبايعين فيها شأو كشأو أهل بدر .

وفى هذا اليوم العظيم الأغر المحجل فى التاريخ كان أهبان بن أوس ممن بايعوا النبى — عليه آزكى الصلاة وأفضل السلام — بيعة الرضوان التى قال فيها الحق تبارك وتعالى :

« لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزا حكيما » ·

●●●

وتتوالى الأيام بعضها في إثر بعض ، وتكر السنون تلو السنين ، ونلتمس الخبر عن الصحابى أهبان بن أوس فإذا كل ما بين أيدينا فى كتب التراجم عنه أنه سكن الكوفة ، وأنه مات بها مسلما مؤمنا ، وما يضيره أن تختزل الكتب ترجمته وسيرته فلم تعد أن تكون سطورا مبعثرة هنا وهناك، وحسبه أن اتخذ الإسلام دينا ، ولم يوجه وجهه منذ أن نطق بالشهادتين إلا إلى رب السموات والأرض الذى فطرهن ورب العرش العظيم ·

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾

صدق الله العظيم

أبو أيوب الأنصاري
أول دفين مسلم بأرض الروم

نحن في هذه الصفحات مع صحابي صادق الإيمان وإن كان كل الصحابة صادقين في إيمانهم ، وكان شديد الحب للرسول عليه الصلاة والسلام وهل كلهم إلا محب له، وقد قضى حياته مجاهدا منذ آن تلجلج الإيمان في صدره ، ونطقت شفتاه بالشهادتين .

وقد مات هذا الصحابي في ليلة كانت من ليالي التاريخ المجيد وهو يجاهد في سبيل نشر الإسلام في بلاد ناهضت الإسلام في ضراوة ، فوسدوه ترابها لتشهد الأيام على أن دعوة الإسلام لا تعرف أرضا معينة ، وإنما تخفق رايتها فوق كل أرض : دنت تلك الأرض أم بعدت ، وترفرف تحت كل سماء ، فالسموات كلهن قبض يمين الرحمن، وهكذا مات هذا الصحابي غريبا ومن مات غريبا فقد مات شهيدا ، فما بالك بصحابينا أبي أيوب الأنصاري الذي لقي ميتته وهو يقاتل الروم ويحاربهم تحت أسوار عاصمتهم القسطنطينية التي كانت تحمل لواء حرب كل مخالف لها في العقيدة ، وتحتل بلادا لم تشهر فيها غير السيف ، ولم يكن ديدنها فيها إلا البطش والقسوة .

وصحابينا أبو أيوب هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، وهو أنصاري عقبي ممن شهدوا العقبة وآمنوا وبايعوا ، ثم زاد على ذلك بأنه كان بدريا ، وما البدريون بمنكورين ولا بمجهولين فقد غفر الله لهم كل شيء .

كما أنه لم يترك مشهدا من المشاهد التى شاهدها إمام المتقين والرحمة المهداة إلاّ شارك فيها صادقا ٠

ثم إنه من بنى غنم بن مالك النجـــار ، أى من بنى الخزرج ٠

وقد اختلف الرواة الذين كتبوا عنه فى اسم أمه ، فمن قائل إنها هنـد بنت مسعود ، ومن قائل إنهـا كانت تدعى بزهراء ٠ على أنهم لم يختلفوا فى أن هذه الأم ــ سواء أكانت تدعى فاطمة أم زهراء ــ كانت خزرجية هى الأخـرى ٠٠ والخزرج قمة شامخة من القمم العالية فى تاريخ المدينة قبل الإسلام وبعده ٠

●●●

وكان صاحبنا من رجال العقبـة السـبعين ، وعلى ذلك فقد حقَّ له أن يفخر بقدم إسلامه ٠

ولقد أدرك صاحبنا أبو أيوب الأنصارى الإسلام بعقله وقلبه معا فأقبل عليه إقبالا كريما ، دلت عليه مواقفه ، وكلها مواقف كريمـة غير منـكورة ، وواضحة غـير مغمورة ، قد طابت أصلا ، وزكت فرعا ٠

ولقد آخى النبى عليه الصلاة والسلام بينه وبين مصعب ابن عمير يوم دخل المهاجرون المدينة ، ونراه يصاحب الرسول العظيم منذ اللحظة الأولى التى أهـل فيها بطلعته المشرقة على « يثرب » ، والتى دخلها الإيمان ولم يستطع أحد أن يزحزحه منها أو يضعفه فيها ، وصارت هى الأخرى له حصنه الحصين وقلعته المنيعة ، حتى ليقول الصادق المصدوق إن الإسـلام ليرزأ إلى المدينة كما ترزأ الحية إلى جحرها ٠

●●●

ولما هاجر النبى صلوات الله وسـلامه عليـه هجرته إلى المدينة التى كانت بداية تاريخ يؤرخ به المسلمون فى مشارق

الأرض ومغاربهـا ، وسيظلون يؤرخون بهـا حتى يرث الله الارض ومن عليهـا : دخـل قباء أول ما دخـل حيث اسس مسجده الذى كان أول مسجد طهور فى الإسلام ، ثم انطلق عليه الصلاة والسلام من قباء إلى يثرب فلما دخلها صـارت تدعى « المدينة المنورة » ، وراحت القبائل تتسابق وتتنافس فيما بينها فى أيها يشرف قدرها وتعلو عـلى سواها بنزوله بين ظهرانيها ٠

واعترضه عليه الصلاة والسلام رجال من بنى سالم بن عوف ٠

واعترضه أيضا رجال من بنى ساعدة فيهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ٠

وعارضه رجال من بنى الحارث بن الخزرج فيهم سعد بن الربيع وخارجة بن زيد ٠

اعترض كل هؤلاء طريق المصطفى الشفيع ، وكان كل منهم يحاول أن يأخذ بخطام ناقته « القصواء » وهو يقول له :

« هلمَّ يا رسول الله ٠٠

« هلم إلى العدد والعدة والمنعة » ٠

ويمنعهم النبى الكريم من الأخذ بخطام ناقته وهو يقول لهم : « خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة » ٠

وما كان لهم إلا أن يستجيبوا لما قال ، فقوله أمر ، وفيه حكمة ، وهو يدرى بها وإن خفيت على سواه ٠

وانطلقت القصواء حتى أتت دار بنى مالك بن النجار فبركت ، ثم وثبت غير بعيد والرسول مرخ لها زمامها ، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها فى أول مرة فبركت فيه، فنزل النبى عليه الصلاة والسلام عنها ٠

حينذاك قدم أبو أيوب الأنصارى فاحتمل رحل الرسـول العظيم فوضعه فى بيته ، فنزل الهادى فى دار أبى أيوب ، وأقام عنده حتى بنى مسجده ومساكنه فى تلك السنة ٠

●●●

نزل الرسول ﷺ دار أبى أيوب الأنصارى فى قسمها الأسفل ، وظل كذلك حتى جاء يوم كان فيه أبو أيوب فى حجرته فأهريق ماء بها فأزعجه ما جرى ، ولنستمع إليه يحدثنا بما كان فيقول :

« قمت أنا وأم أيوب بقطيفة نتبع الماء شفقة أن يصل إلى رسول الله ﷺ ، ونزلت إليه وأنا مشفق فقلت له :

« يا رسول الله إنه لا ينبغى أن نكون فوقك .. فانتقل الى الغرفة التى هى فوق » .

●●●

هكذا كان حب أبى أيوب لنبى الرحمة عليه الصلاة والسلام .

إنه يشفق عليه من قطرات ماء تنزل إليه من سقف الحجرة فيأبى إلا أن يغادرها النبى عليه صلاة الله وسلامه ، ثم يؤثره أبو أيوب بغرفته التى يعيش فيها هو وامرأته .

إن أبا أيوب من قوم يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو بهم خصاصة .

وإنها لمحبة صادقة لرسول الله أشربها قلبه الفياض بالإيمان الصادق .

وإنه إخلاص كريم لا تشوبه شائبة ولا رياء .

وظل رسول الله ﷺ فى دار أبى أيوب حتى بنى مساكنه فانتقل إليها هو وزوجاته أمهات المؤمنين .

وبنى عليه الصلاة والسلام مسجده فكان يؤمه هو وأتباعه وأصحابه .

ثم كان يحضره المنـافقون يسـتمعون إلى ما يدور بين المسلمين من الكلام فى شتى الشئون التى تعرض لهم ، ويسخر المنافقون فيما بينهم وبين بعضهم الآخرين سرا بالمسلمين ، ويستهزئون بدينهم ، وينقلون إلى أعداء المؤمنين مالا ينبغى أن يعرفوه عن النبى وأصحابه ، وما أولئك المنافقون إلا قوم كرههم الله ورسوله وكرههم المؤمنون ، وإنهم لأشـد خطرا على الإسلام من الكفار والمشركين ، إذ كانوا آونة يشككون فى الدعوة وفى صدق من اجتباه الله ليحمل الرسالة وكلفه بأدائها ، فكان آمينا على إيصالها للناس ، ويقولون ما وعدنا محمد وربه إلا غرورا •• كبرت كلمـة تخرج من آفواههم هل يقولون الا كذبا وفجورا ؟• وتراهم آونة اخرى يركبون مركب الظلم فهم يخادعون الله وما يخدعون إلا آنفسـهم ، ولكن يضلهم رب العزة ، ومن يضلله الله فلن تجد له وليـا ولا نصيرا •

ولج المنافقون فى سفههم ، وتعالوا جهالة ، وما العزة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين يصمون آذانهم عن الحق ويبدلونه زيفا ولا يقولون الا اثما وضلالة •

●●●

واجتمع ذات مرة بالمسـجد رهط من هـؤلاء المنافقين فرآهم النبى عليه الصـلاة والسـلام يتهامسـون فيما بينهم تهامسـا يثير الريبـة ، وقد لصق بعضهم ببعض فأمر بهـم فأخرجوا •• عليهم لعنة الله ورسوله ولعنة المؤمنين •

وحينذاك قام أبو أيوب إلى أحدهم وكبير من كبارهم وهو ابن قيس (أحد بنى غنم) بن مالك بن النجار فأخذ برجـله وسحبه حتى أخرجه من المسجد •

ويمضى أبو أيوب بعد ذلك إلى منـافق آخـر آوغل فى الضلالة وأوكس وهو « رافع بن وديعة » فى الفتنة فجـره من ثيابه وجذبه فى شدة ولطمه على وجهه ثم أخرجه من المسجد الطاهر وقال له : « يالك من منافق خبيث !! » •

وفعل مثله الصحابة الآخرون فأخرجوا المنافق من بيت الله وطهروه منه وممن ديدنهم ديدنه وشاكلتهم شاكلته ٠

●●●

وتمضى الأيام والدعوة تنتشر٠٠ والأسلام تعلو رايته ، ويتلألأ نوره ، ويزداد عدد المؤمنين به فيتربص بهم الكفار والمنافقون والمشركون يريدون فرصة تتيح لهم أن يثبوا على عباد الرحمن فيصيبهم منهم الشر الجسيم ٠

وتكون معارك الإسلام الكبرى ، ويشهد أبو أيوب الأنصارى المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، كما يشارك فيما جدّ من الوقائع بعد وفاة نبى الرحمة وشفيع الأمة ٠

وكان أبو أيوب من منطلق إيمانه بالدين الحنيف وبالرسول يجعل نصر الملة غايته ، ومن ثم لم يتأخر عن الجهاد لحظة ٠

بيد أنه حدث ذات مرة أن تأمّر على الجيش الخارج لحرب الروم شاب (هو يزيد بن معاوية) ، فاستنكر أبو أيوب فى بادىء الأمر ما جرى ، ثم رجع إلى نفسه يفكر ويتدبر ماذا سيكون عليه الحال !

إنه إن يتأخر عن المعركة وعن الخروج ويفعل فعله آخرون يرون رأيه هذا أو يشايعونه فيه فمن ذا الذى بعدئذ يدافع عن الدين ويحمى بيضته ؟٠٠ ومن ذا الذى يرد غائلة العدو الشرس المتربص بالإسلام السوء ، والذى يبيت له الشر ويبغى القضاء عليه ؟

لذلك نرى صاحبنا الصحابى أبا أيوب يقول لنفسه : « وما علىّ اذا استُعمل على الجيش شاب ؟٠٠ أليس الكل فى خدمة الإسلام٠٠؟ وماذا يضير الإسلام أن يتأمر شاب ، وأن يكون هذا الشاب الأمير هو يزيد ؟

ألم يستعمل سيدنا محمد ﷺ قبيل موته شابا صغير السن ، ثم مات النبى فأبى أبو بكر ــ وقد ولى الخلافة ــ إلا أن يكون اللواء بيد الشاب الذى عقد له النبى اللواء قبل موته ؟ .

ويعود أبو أيوب الأنصارى إلى مكانه جنديا فى الصف الإسلامى ، وتكون غزوة الإسلام فى بلاد الروم .

ويكون لواء الجيش الاسلامى مع ابن الخليفة يزيد بن معاوية .

● ● ●

ويمضى المسلمون إلى بلاد الروم ومعهم المجاهد المؤمن الصادق أبو أيوب الأنصارى ، وتطأ سنابك خيولهم ما حول عاصمة إمبراطورية قيصر بل عاصمة الروم جميعا وهى القسطنطينية ، ويسمع صهيل خيل المسلمين تحت اسوارها ، ويكبر المسلمون فى جنباتها ، ويؤذن المؤذن « الله أكبر .. الله أكبر ... حى على الصلاة .. حىّ على الصلاة .. لا إله إلا الله لا إله إلا الله ... محمد رسول الله » .. وينساب النداء الكريم نديا تحمله أمواج الأثير فيرطب القلوب الحرى وتطمئن النفوس .

ويشتد المرض بأبى أيوب ، ويرجف الناس بأن أجله دان ، ويسأله يزيد يومئذ ماذا يريد ؟ وما هى وصيته ؟ فيقول له :

« اذا مت يا يزيد فكفنونى ، ثم مُر الناس فليركبوا .

« ثم سيروا فى أرض العدو حتى إذا لم يجدوا مساقا بعد فادفنونى » .

ومات أبو أيوب فى أرض الخصم .

لئن مات صحابينا أبو أيوب الأنصارى ففى العسكر كثيرون أمثاله فى الجهاد الصادق ، .

ولئن مات أبو أيوب فليمض المسلمون إلى هدفهم ·

ولئن مات أبو أيوب فالإسلام حيّ لا يموت · وتذكر قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

صدق الله العظيم

فاطمأن خاطره ، وهدأت نفسه ، وقرت روحه ، وأغمض عينيه ، ولفظ أنفاسه ، مستريحا هادئ البال ·

ويُمضى يزيد بن معاوية وصية أبى أيوب الأنصارى ·

ويقبل الروم على المسلمين صبيحة أن دفنوا أبا أيوب يسألونهم ماذا كان من شأنهم فى ليلتهم البارحة وقد رأوا ما لم يروا من قبل ، فيجيبهم المسلمون :

« هذا رجل من كبار أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم وأقدمهم إسلاما ·· مات وقد دفناه حيث رأيتم !! ·

« والله لئن نبشتموه لا يضرب لكم ناقوس فى أرض العرب ما كانت لنا مملكة !! » ·

●●●

هكذا كان أبو أيوب الأنصارى ·· كان رجلا أعلى راية الاسلام حيا وميتا ·

ولد فى المدينة المنورة ، ومات فى القسطنطينية ، ودفن بها وهى أرض غريبة · فطوبى له من غريب مجاهد، وقد كان هو البشير بفتح عاصمة الروم على يد المسلمين بعد ثمانية قرون ليدخلوها رافعين راية التوحيد ·

فرحم الله آبا آيوب مجاهدا عد نفسه ممن ينفرون خفافا وثقالا ٠

ورحم الله آبا آيوب بقدر حبه لله ولرسوله وللإسلام ٠

وجعل الجنة مثواه ٠

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

صدق الله العظيم

أوس بن مِعْيَر الجُمَحى

مؤذن الرسول (صلعم) بمكة بعد الفتح

نحن الآن مع صحابى اتصل برسول الله ﷺ اتصالا وثيقا بعد الفتح وإن لم يطل اتصاله به ، ولكنها كانت صحبة عميقة ، وكان لها صدى كريم فى نفسه ، ذلك هو :

« أوس بن معير بن لوذ بن أبى ربيعة »

وهو قرشى جمحى .

اختلف الكتاب فى اسمه اختلافا بينا يحار معه المطالع لسيرته وخبره ، وهو اختلاف يُخشى معه الزلل ولا يؤمن الخطأ ولا الخلط .. ومما يزيدنا حيرة أنهم يذكرونه باسمه ، ثم سرعان ما يقولون هذا اسم أخيه ، ثم يترجمون للأخ بهذا الاسم .

ويزداد الاضطراب حين نراهم يتكلمون فى هذه الترجمة التى يسوقونها عن هذا الأخ كأنه هو صاحب الترجمة التى نحن بصددها الآن .

ولسنا ندخل مع هؤلاء الكتاب فى تلك المتاهات الشائكة فانها لن تقودنا الا الى الحيرة والبلبلة ، وان كان شر ما يلقاه الناظر فى تواريخ الصحابة أن تضطرب السبل أمامه وتتعدد المسالك المظلمة فيرى نفسه فى النهاية وقد بهمت الأمور عليه ، ولا يؤمن إذ ذاك الزلل ، وقانا الله منه حتى تخرج السير صحيحة .

ولـكن حسبنا أن نقـول فى أوس بن معير إنه وفد على النبى ﷺ ، فان سألت ومتى كان اسلامه ؟ لم تجد الجـواب الشافى ولا الرد القاطع ، وبقيت حيران لا تدرى متى كان اعتناقه الإسلام ٠

●●●

على أننا واثقون أن صاحبنا « أوس بن معير » الذى كان يكنى بأبى محذورة قد أسلم فى مكة ، اذ نعرف من تاريخه ــ مهما اختلفت الأسماء التى ترجم له بها ــ أنه ظل مقيما بمكة حتى وافته منيته سنة تسع وخمسين ٠

ويرجح من ترجموا له أن إسلامه كان بعد إسلام بلال رضى الله عنه ، فقد ذكروا أن النبى عليه الصلاة والسلام علّمه الآذان ، وقالوا إن تعلمه إياه كان فى « الجعرانة » ، وإن أسقط البعض « الجعرانة » ولم يشيروا إليها ٠

وكان من خبره فى هذا الموضع أن الرسول عليه الصلاة والسلام سمعه يحكى الأذان فأعجبه صوته الذى كان يدخـل القلوب بلا استئذان ، ويصـافح السمع فتطرب له الآذان ، وإنه لينبغى أن يكون المؤذن حسن الصوت حتى لا يكون ثقيلا على السامعين منفرا ٠

ونعود فنقول إن الرسول صلوات الله وسـلامه عليه لما سمعه يحكى الأذان أعجبته محاكاته إياه ٠ فأمر بأن يؤتى به إليه ، ففعلوا ما أمروا ٠٠ قيل فأسلم يومذاك وعلمه النبى الكريم كيف يكون الأذان الصحيح فتعلمه وأحسنه وأتقنه ، حتى وصفه الرسول صلاة الله وسلامه عليه بالترجيع ٠

ونقل الناقلون عنه أن الهادى أخذه وألقى عليه الأذان حرفا حرفا ٠٠ فتعلم ذلك منه ، ويا طيب ما تعلم !! ٠

وذاع خبره في حسن الأداء حتى كان النـاس يرقبـون موعد الآذان في شغف ولهفة ليسمعوه ينشده وينادى الناس للصلاة ، حتى كان أحدهم يسأل الآخر :

« أسـمعت أبا محذورة يؤذن ؟ إسـمعه ولا يفوتنك سماعه » .

●●●

ثم أمره الرسـول الـكريم أن يؤذن بمكة منصرفه من حنين ، فأذن .

ولم يزل أوس بن معير يؤذن فى مكة فيطرب ويشجى . حتى إن الخليفة الفاروق سـمعه ذات يوم يؤذن فقال له : « كدت أن ينشق مريطاؤك » . إشارة إلى رقة أذانه ، وعذوبة صوته ، وقوة إرساله ، وشدة رجعه ، واخذه بمجامع القلوب .

وكان الأذان نعمة على أبى محذورة وآل بيته فقد مارسه الكثيرون منهم ، وكان فيه معاشهم ، وبالغوا فى الاهتمام به من حيث الأداء والترجيع ، فقد أذن به ابن عمه ابن مُحيريز ، ثم أولاده من بعده ، ثم صار الأذان ــ كما قالوا ــ إلى ولد ربيعة بن سعد بن جُمَح .

●●●

وكان لأبى محذورة أخ لم يتفق المؤرخون عـلى اسمه ، فسماه بعضهم بأويس ، وقالوا إنه قتل كافرا يوم بدر ، وليس الأمر كذلك مع صاحبنـا أبى محـذورة : أوس بن معير ، ولكن الأصح أن يقال فى هذا الأخ إن اسمه «أنيس» .

●●●

وكان لصاحبنا أبى محذورة صحبة لم يجادل فيها أحد ، ولم ينكرها عليه منكر ، وكان هو ذاته حريصا كل الحرص

على رواية جميع ما حدث به النبى الكريم، وما سمعه منه، وما شاهده منه ، فوعى كل ذلك ، وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ يرى النعمة فى صحبته ، وهل بعد الصحبة من شرف أو غاية يرجوها المؤمن من متاع العيش ؟

وكان « معير » يرى الخير كل الخير ، والنعمة غاية النعمة فى طاعة النبى ، والفلاحَ فى الامتثال لأمره ، ويدرك عن حق أن النجاح إنما يكون فى الامتناع عما نهى عنه وقبّحه ، أليس الحق تبارك وتعالى هو القائل « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » !! •

إنه إن يأمره بالأذان فنعم الأمر نهجا وعملا • !!

وإن تمس يده الطاهرة شعر رأسه ••• فطوبى له ويا سعداه !!

قال أحدهم : « رأيت أبا محذورة صاحب رسول الله ﷺ وله شعر طويل ، فقلت له : ياعم ، ألا تأخذ من شعرك هذا ؟ •• فأجابنى : ما كنت والله آخذ شعرا مسح عليه رسول الله ﷺ ودعى لى فيه بالبركة » •

هكذا كان حبه للمصطفى وهكذا كانت طاعته له •

فرحم الله أبا محذورة صحابيا ومحدثا وراوية ومؤذّنا•

ورحم الله أبا محذورة رجلا اقتفى فى كل خطوة من حياته خطى الرسول العظيم ، فقد ترسم أثره ، وأمّ سمته •

ورحم الله أبا محذورة فقد كان نعم الصحابى ونعم المؤمن الصادق الإيمان ، وإن شاء الله ينفعه إيمانه يوم لا ينفع أحدا إلاّ ما قدم فى دنياه من عمل صالح مبرور

قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾

صدق الله العظيم

صعصعة التميمي
محيي الموءودات

صحابينا في هذه الكلمات القلائل رجل جمع في جاهليته بين خصلتين : إحداهما ذميمة مقيتة ، والأخرى كريمة طيبة، فأما الذميمة فكانت وثوبه على القوافل والسيارة إن كانت تحمل ما يغرى بالوثوب عليها ومهاجمتها ، وأما الكريمة فهى افتداؤه الموءودة بماله والمن عليها بالحياة ، واما ذلك الصحابى فهو :

صعصعة بن ناجية بن منال

الذى كان من بنى زيد بن مناة ، ومن ثم فهو تميمى ، ولذلك يعرف عادة بصعصعة التميمى .

كان صعصعة مطاعا فى رهطه ، مقدما عندهم ، مسموع الكلمة فيهم ، إن ناداهم لبوه طائعين ، وهم قلما يخالفونه فى أمر أو يخرجون على طاعته ، وكان أكثر ما يأمرهم به هو أن يترصدوا العير فى رحلاتها،ولا يتأخر هو عن مشاركتهم ما يقدمون عليه من نهب ، فبئس العمل الذى يأمرهم به ، وبئس ما يفعلون .

●●●

ولقد ظل صعصعة على جاهليته لا يريم عنها حولا ، ولا يرغب فى التخلى عنها ، وما الذى يحمله على نبذها وهو يرى العرب قاطبة من بدو وحاضرة على هذا النمط من

الحياة .. ؟ ولماذا يخرج على جاهليته فى أسلوب حياتها وعاداتها وان كان بعضها ذميما مكروها عند كل ذى عقل ؟ ، لكنه كان فى الوقت ذاته كارها أشد الكراهية لعادة جاهلية مستهجنة ذميمة ، وكان يستنكر ما جرى عليه أهل وقته أو أكثرهم من وأدهم البنات : عادة ممجوجة نشأوا عليها . فليس ثم عمل أبغض الى نفس صعصعة وأكثر اشمئزازا اليها مما جروا عليه من هذا الوأد .

ألا ترى أنهم اذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من العار يلحقه إذ ولدت امرأته بنتا كأنما يريد أن يتدخل فى مشيئة الله وما هو بقادر على خلق قلامة ظفر فى إصبعه .

كانت نفس صعصعة بن ناجية تشجب هذه العادة الذميمة ولا تميل إليها ، وتبغضها أشد البغض ، ويزدريها هو كل الازدراء وينهى عنها ، فإن سمع برجل رزق أنثى دفع إليه من المال ما يرضيه ، وأبقى هو على الموؤدة حياتها ، فجزاه الله على ما قدم من خير خيرا حين أسلم وجزاه الله أحسن الجزاء على ما أبقى من حياة وليدة كانت نطفة فصارت لحما وعظاما ، ثم صارت كائنا آدميا يتنفس ، وكان لصعصعة أجره على الله حين هداه الله إلى محجة الحق ، وألقى فى قلبه نور الإيمان ، وغسل عنه إثم الجاهلية وأدرانها .

●●●

ولقد حدثوا أن أحد عمال كسرى على اليمن بعث إلى مولاه طرفا من طرف اليمن، فلما بلغ الركب بلاد بنى تميم دعا صعصعة بن ناجية رهطه من بنى تميم للتعرض للركب والوثوب عليه ، وما كان عليهم إلا أن يلبوا أمره لولا أن الذى يعرضون له هذه المرة كان مرسلا إلى كسرى فارس ، وكسرى ملك الملوك عند البدو : يعظمون قدره ، ويخشون

شره ، ويتجنبون بطشــه ، ويتقون أذاه ، ذلك أنهم يعرفون منهم ان آغضبوه بطش بهم بطش جبار غشوم ، ويكرهون آن يكونوا مثار غضبته فغضبته ضــارية ، وجنــده لا يعرفون الرحمة ، ويكرهون العرب والبدو ٠

وكره التميميون أن يكونوا عرضة لثورة كسرى عليهم، فيا ويلهم ثم يا ويلهم إن غضب كسرى عليهم ، وسحقا لهــم وبئس المصير ان استهدفتهم ثورته ٠

أمر صــعصعة قومه بالتعرض للــركب فأبى قــومه ، وما اعتاد قط أن يخرج خارج على ما يقوله صعصعة ، لكنــه سكت على مضض ٠

حتى إذا جاوزتهم الطـرَف إلى بلاد بني يربوع دعا رهطه ثانية إلى ما دعاهم إليه من قبل وخــوفهم إن هى مرت على بلاد بكر بن وائل أن يثب عليها بنو بكر وأن يستعينوا بها عــلى قتالهم ، فلما تبين لهم الحق فيما قال أجابــوه إلى ما طلب ، ووثبوا على الركب وانتهبوا ما معه ٠

وبلغ الخبر كسرى فأسخطه أشد السخط وأضرم نيران حفيظته ، وهاج هائجــه ، فضرب أرنبة أنفه بإصبعه ، وأزعجه آن يعرض الأعراب الى شيء عرف الجميع أنه مرسل لكسرى فارس : قاهر الروم أصحاب الصولة والجبروت ٠ فاستقدم إليه رجلا من اليمن اسمه « وهرز » وقال له : « أرآيت هؤلاء القوم الذين صنعوا ما صنعوا ؟ » ، فأجابه الرجل : « أجــل يا ملك الملوك وقاهر الجبابرة » ٠

فسأله : « أصلح هم لك يا وهرز ؟ » ٠

فأجابه : « بل بيننا الموت !! »

فقال كسرى : أدركت بعض حاجتــك يا وهرز ونلت ثأرك ، فوجه الخيل إلى بني تميم » ٠

فوجهها من ساعته ٠

وسمع الذين حول كسرى بما أشار به مولاهم على اليمنى وهرز ، وأدركوا ما سوف تتمخض عنه الأمور ، ورأوا بعين

الغيب ما سوف يكون من جراء هذا الأمر يصدره كسرى إلى وهرز من خواتيم لا تحمد عقباها ، ولا تودها فارس التى سوف تتأذى بها قبل أن يتأذى بها العرب ، فعمدت فارس إلى تحذير مولاهم وقالوا له : « إن أرض بنى تميم مفاوز وصحارى، ولا يؤمن أن يعوروا آبارها فيكون فى ذلك هلاك جند فارس » .

وتدبر كسرى ما قالوه فلم ينكر فيما بينه وبين نفسه صدق ما قالوا ، وأدرك أنه الحق جاءه على ألسنتهم ... ولكن أيسكت كسرى عن قوم تطاولوا عليه ... ولم يكن هؤلاء المتطاولون من الروم حتى يقول : كفؤان تصارعا وجها لوجه ؟ ولكن الطامة التى ما بعدها طامة ، والهوان الذى ما بعده هوان هو أن اللطمة جاءته من جماعة من البدو لا يراهم فى العير ولا فى النفير ، لذلك دبر حيلة مع عامله بالبحرين واسمه « المكعبر » احتال بها ليؤدب بنى تميم على ما فعلوا ... وكان ما فعلوا فى نظره أمرا إدا وجريمة شنعاء ، وأنزل الضر ببنى تميم الذين لم تنجهم براعة صعصعة بن ناجية ، وأخطأت صعصعة فراسته هذه المرة .

● ● ●

ثم جاء الإسلام وقذف الله الإيمان فى قلب صعصعة بن ناجية وحببه إليه ، وتخلص من آثام الجاهلية ، وتاب مما كان عليه فى أيامه السالفة إلا من كراهية الوأد، ونطق بالشهادتين بين يدى رسول الله ﷺ الذى تقبله بين الصحابة أخا ولد من جديد ، طاهرا نقيا تقيا ... والاسلام يطهر النفس من كل شائبة ويجب ما كان قبله .

ولقد حدث هو نفسه عن إسلامه فقال :

« قدمت على النبى ﷺ فعرض علىّ الإسلام فأسلمت ، وعلمنى آيات من القرآن ، ثم قلت له : يا رسول الله إنى عملت أعمالا فى الجاهلية فهل لى فيها من أجر ؟ .

قال : « وما عملت ؟ » .

قلت : ضلّت لى ناقتان عشراوان ، فخرجت أبغيهما على جمل لى ، فأبصرت بيتين فى فضاء من الأرض فقصدتهما ، فوجدت فى أحدهما شيخا كبيرا .

« فبينما هو يخاطبنى وأنا أخاطبه اذ نادته امرأة من الداخل وهى تصيح به : قد ولدت ... قد ولدت ... !!

قال : وما ولدت يا امرأة ؟

قالت : جارية !!

قال ادفنيها » .

●●●

ويتابع صعصعة بن ناجية حديثه فيقول :

« فقلت للشيخ : أنا أشترى منك روحها .. فلا تقتلها .

« فاشتريتها بناقتىّ وولديهما والبعير الذى تحتى » .

« وقد أحييت ثلاث مائة وستين موؤدة .

« وكنت أشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل .

« فهل لى من أجر يا رسول الله ؟ »

فقال عليه الصلاة والسلام : « هذا باب من أبواب البر، لك أجره اذ منّ الله عليك بالإسلام » .

وكانت لصعصعة صحبة ، فقد جاء فى الكتب الصحاح أحاديث حسنة منها أنه روى عن الرسول الكريم أنه سمعه يقول : « من يضمن لى ما بين لحيته ورجليه ، أضمن له الجنة » .

●●●

ويسأله النبى عليه الصلاة والسلام ذات يوم كيف علمه بمضر ، فيجيبه :

« أنا أعلمَ الناس بهم يا رسول الله !!

« تميم : هامتها وكاهلها الشديد الذى يوثق به ويُحمل عليه .

« وكنانة : وجهها الذى فيه السمع والبصر .

« وقيس : فرسانها ونجومها ...

وأسد : لسانها » .

فقال له الصادق الأمين : « صدقت » .

هذا هو صعصعة بن ناجية الذى يقــول فيــه حفيــده الفرزدق الشاعر المعروف :

وجدى الذى منع الوائدات وأحيى الوئيد فلم يوءد

رحم الله صعصعة بن ناجية لقاء ما قدم من معروف فى جاهليته ، ثم زاد خيره حين أسلم وآمن واتقى واهتدى .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧)

صدق الله العظيم

أوس بن ثابت

نزلت آيات الورث بعد موته

في تاريخ الصحبة الشريفة أخوان جليلان، وأنصاريان خزرجيان، كانا فرسي رهان في خدمة الإسلام ، وطاعة النبي عليه الصلاة والسلام ، وكانا حربا شعواء على أعداء الملة ، أما أحدهما فشاعر ينفرد بأنه منعوت في تاريخ الأدب العربي بشاعر الرسول ﷺ ، وأكرم بهذا النعت الذي تفرد به دون سائر الشعراء وهم كثر ، واعتز هو به لا سيما وأن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الهادي يقول عنه : « إن الله يؤيده بروح القدس ما نافح عن رسول الله .. » .

ذلك هو الشاعر حسان بن ثابت .

أما أخوه فأوس بن ثابت بن المنذر بن حرام ، وينتهي النسب فيهما إلى زيد بن مناة .

●●●

ولقد شهد أوس بدرا وأحدا كما يتفق المؤرخون على ذلك ، وإن اختلفوا فيما بعد أحد ، فقال البعض — وهم صادقون — إن وفاته كانت يوم أحد .

وقال آخرون بل ظل حيا حتى لقد شهد المشاهد كلها مع النبي الكريم ، ثم يبالغون فيقولون إن الحياة امتدت به زمنا ليس بالقصير حتى مات في زمن الخليفة عثمان بن عفان ، وهو قول يدحضه ما جرى لابنتيه في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام إذ أدت وفاته إلى نزول آيات من القرآن الكريم في الإرث .

فهل رأى أحد مثل هذا التباين العظيم في تاريخ وفاته ؟
فأحدهما يجعله في حياة البشير ﷺ ، وثانيهما يجعله يطوى السنين حتى يشهد عهد الصديق وذى النورين !! .

وكثيرا ما نصادف مثل هذا الاختلاف وتلك المفارقات في تواريخ الصحابة وبعض الأحداث ، مما يتطلب من الناظر في هـذه الكتب أن يكـون ذا عين بصـيرة نفاذة حتى يتبين الحقيقة ، وإلا ضاعت معالم الطريق أمامه .

وإن هذا الاختلاف قد يكون أحيانا بين ثقات المؤرخين مما يجعلنا في حيرة بأيهم نأخذ وأيهم نرفض ، والخوف كل الخوف أن نأخذ بقول قد تنكره الحقيقة ويرفضه الواقع ، وإذ ذاك نجني على التاريخ وعلى الحقيقة وعلى الصحابي ذاته .. والله لا يرضى الظلم .

●●●

والإجماع منعقد بين المؤرخين عـلى أن ثابت بن أوس شهد العقبة مع السبعين من أهل يثرب يوم جاؤوا إلى الرسول الكريم في موسم الحج مصدقين إياه ، مؤمنين بنبوته وبايعوه ، وكان أوس بن ثابت واحدا من هذا الرهط الكريم الذى ضم العدد الكبير من المؤمنين الصادقين ، كما ضم امرأتين جليلتين بايعتا مع النفر اليثربيين ، فكان إسلامهم إسلاما قائما عـلى أساس متين غير مزعزع ، وإيمان صادق غير مغموز ، وولاء لإمام المتقين وهو ولاء هيهات أن يرقى إليه الشك أو تخامر الظنة فيه أحدا .

من هذا المنطلق لا يجرؤ أحد على المكابرة في أن إسلام صحابينا الصحابي الجليل أوس بن ثابت قديم قبـل أن يعم الإسلام يثرب ، وقبل أن يهاجر إليها الرسول عليه الصـلاة والسلام ، ويوم كان الكفر يعشش في أرجائها ، وظلام الحياة يخيم على كل ربوعها ، حتى لم يكن يدور بخلد أحد أن ينجلي

هذا الظلام ، أو ينتهي هذا الديجور إلى صبح منير ، وعرف الجميع ان ليس لهذه الظلمة التي لفت العالم وشبه الجزيرة العربية فجر صادق ٠٠ لا تلبث الحنيفية السمحة ان اشرقت برحمة ربك ، فاذا أنوارها تكشف هذه الدجنة الطخياء ، واذا بشمسها تبدد السحب الكثيفة ، واذا الناس قاطبة يسعى نورهم بين أيديهم باذن ربهم ٠

●●●

ويهاجر المسلمون إلى المدينة فيفتح أهلها الأنصار قلوبهم قبل ان يفتحوا بيوتهم لإخوانهم المهاجرين ، ويوسعون لهم في دورهم، وحينذاك ينزل عثمان بن عفان على « أوس بن ثابت » رضى الله عنهما ، وإن قال التاريخ أيضا إنه نزل في دار بنى النجار ٠

ويؤاخى النبى العظيم بين هذين الصحابيين الكريمين ،

ويغشى « أوس بن ثابت » مجالس الهادى ليستمع إلى أحاديثه الشريفة الهادية ، ويأخذ عنه ما يقوله وما يفعله ، ثم يحدث به ٠

ويشهد أوس فترة حية من تاريخ الإسلام كانت فترة صراع عنيف بين الشرك والتوحيد ، وبين الكفر والإيمان ، وبين النفاق والصدق ، وبين الضلالة والهدى ٠

ويدرك أوس ــ كبقية المؤمنين ــ بأن الكفر لابد أن يقاتلهم ، بعد أن لاقى الهزيمة على يد النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه بمكة وأنهم أفسدوا على الكفر وشيعته ــ وانهم لبئس الشيعة ــ ما كان عليه آباؤهم من ضلالة وغى ٠٠٠ فليقاتل أوس والمسلمون أئمة الجبت وأولياء الشيطان وأبالسة الطاغوت لعلهم ينتهون ٠

ويرى أوس بن ثابت النبى الكريم يضع أسس الدولة الإسلامية الكبرى ، فلا يتأخر عن أن يساهم هو أيضا فى

المساهمة فى اقامة هذا الصرح الشامخ فى التاريخ ، الباذخ فى علاه ، بجهد المؤمن فيخرج للجهاد حين يدعو الرسول للجهاد ، فاذا كان اليوم يوم بدر وقد خرج المسلمون فى ثلاثمائة رجل ونيف ، يخرج فى صحبتهم أوس بن ثابت فكان بذلك خزرجيا أنصاريا عقبيا بدريا .

●●●

وكان لأوس بن ثابت بعد موته أثر فى تشريع جديد ، فلقد مات وخلف من بعده ولدا وابنتين ، كما يقول البعض فجاء ابنا عمه (وهما عصبه) فأخذا ميراثه سيرا على ما كان شائعا فى الجاهلية ، أو كما قال ابن عباس رضى الله عنهما « كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الأولاد الصغار إلا أن يدركوا » .

ومن ثم جاء ابنا عم أوس بن ثابت وشرعا فى تطبيق سنة الجاهلية ... وما كان لأحد أن يعيبهما فى ذلك النهج ولا يلومهما عليه ، فإنما سارا على شرعة الجاهلية التى صارت عرفا وعادة وقانونا ، ولم تكن قد نزلت حتى تلك اللحظة آية تنسخ هذه العادة الجاهلية حتى يكفّ عنها المسلمون .

وكرهت أرملة أوس بن ثابت ما جرى من ابنى عم زوجها الراحل، فجاءتهما وقالت لهما : «لم لا تتزوجان ابنتيه ويكون لكما الإرث ؟ » فأنكرا العرض ورفضاه ، وقيل كان رفضهما لدمامة كانت عليها ابنتا أوس ، وهى دمامة نفرت الرجلين منهما وصرفتهما عن الزواج بهما ، وحينذاك مضت أرملة أوس إلى النبى الهادى وقالت له :

« يا رسول الله : مات أوس عن ولد صغير وابنتين ، وجاءنا ولدا عمه خالد وعرفطة ، فأخذا ميراثه ورفضا الزواج من ابنتيه ، فماذا تقول يا رسول الله ؟ » .

فقال لها الهادى الأمين : « ما أدرى ما أقول ، وما جاءنى من الله عز وجل شيء فى هذا » .

وانصرفت أرملة أوس بن ثابت وهى لا تدرى ما تفعل، وبقى النبى عليه الصلاة والسلام لا يدرى من هـذا الأمر شيئا إذ لم ينزل عليه الحكم بعـد من الله ، لكن ما لبث رب العزة والجبروت أن أنزل على نبيه الأمين قوله تعالى :

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

صدق الله العظيم

وحينذاك أرسل الرسول الى عرفطة وخالد يقول لهما :

« لا تحركا من الميراث شيئا فإنه قد أنزل الله عز وجـل عـلىّ شيئا ، أخبرت أن للذكر والأنثى نصيبا » .

فتوقف ابنا العم عن أخذ الميراث حتى يأتى الحكم الفصل من الله ، ثم يعلنه عليه الصلاة والسلام عليهما وعلى المسلمين كافة ، وليكون ذلك شرعا متمما أزليا .

● ● ●

ثم نزل بعدئذ على النبى قوله عز من قائل :

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

صدق الله العظيم

فدعاهما الرسول مرة أخرى وقال لهما : « لا تحركا فى الميراث شيئا » .

● ● ●

ثم نزل الوحى على النبى بعد ذلك بقول الحق تبارك وتعالى :

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

صدق الله العظيم

وحينذاك جاء الرسول بتركة أوس بن ثابت وقسم الميراث حسب الشرع على مستحقيه ، فأخذت امرأته الثمن مما ترك الرجل ، وجعل للولد مثل حظ الأنثيين .

وذاع خبر ذلك بين الناس وشاع ، وعلم به القاصى والدانى ، وعجب البعض من أن يتغير ما تآلف عليه العرب فى الجاهلية من حيث الإرث ، وحينئذ جاء عُيَيْنَة بن حصن الفزارى فى ناس من العرب وقالوا لنبى الرحمة عليه الصلاة والسلام : « يا رسول الله .. ماذا بلغنا عنك ؟ » قال : فسألهم عما بلغهم فأجابوه : « بلغنا أنك ورثت الصغار الذين لم يركبوا الخيل ولم يحرزوا الغنيمة ، وأنك ورثت البنات اللائى يذهبن بالمال إلى الأباعد » .

فكان جوابه أن قرأ عليهم القرآن الكريم الذى نزل فى هذا الصدد ، ثم أمرهم بما قضى به الله سبحانه وتعالى ، ولا راد لقضائه .

هذا ما رواه ابن الأثير وهو من الكتاب الثقات .

وهكذا كان فى موت أوس بن ثابت تشريع فى أمر من أمور الحياة الدنيا، لا تضطرب معه موازين العيش حتى لا تقع فرقة أو اختلاف بين الورثة إن مات ذو نسب عن تركة ، وهو تشريع سيظل متبعا لأنه قضاء الله عز وجل .. سبحانك ربنا سمعنا وأطعنا .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٧)

صدق الله العظيم

مُعَاذ بن عمرو بن الجموح

المهدى الذى هدى أباه للحق

هـذا صحابى خزرجى أسلمى من الله عليـه بالإسـلام مبكرا ، وكان من بيت عرف فى الإسلام أنه بيت إسلام، فقد آمن به هو وأبوه وإخوة له أربعـة شهدوا جميعهم بدرا ، وحاربوا إلى جانب النبى بصـدق وإخلاص وأطاعوه ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله واهتدى ٠

أما هذا الصحابى فهو :

معاذ بن عمرو بن الجموح

كان معاذ إبنا لرجل من بنى جشم بن الخزرج ، وكانوا يعدّونه سيدا فيهم ، وأنه نسيج وحـده فى كل شىء كريم ، ويستمعون إلى رأيه لأنهم يدركون أنه لا يصدر فيما يقـول إلا عن حق وصدق ، فهو رجل قد أربى على الأكفاء ، وانفرد عن مواقف الأشباه ٠

وقد تأخر إسلام الأب عن إسلام ابنه معاذ ، وإن أكرمه النبى عليه الصلاة والسلام حين قدمه على غيره بسيادته على قومه ، فكان ذلك تقديرا منه ، ووضعه الرجل المناسب فى المكان الصحيح ، وقد نعته الهادى الأمين بأنه « السيد الجعد الأبيض » ، وحتى قال الشاعر فيه :

وقال رسـول الله والحـق قوله

لمن قال منا : من تسمون سيدا ؟

فسود عمرو بن الجموح لجوده
وحق لعمرو بالندى أن يسودا
اذا جاءه السؤال أذهب ماله
وقال : خذوه انه عائد غدا

كان الابن معاذ قديم الإسلام ، فقد أسلم والدعوة لاتزال في مهدها تحبو ، وعودها أخضر ، وقد شهد العقبة ، وبايع النبي بمنى ، ثم عاد إلى يثرب مطمئن القلب ، رضى النفس ، منشرح الصدر ، وراح يبشر بالدين الذى عرفه ، وانطلق ينشره بين الناس الذين يخالطهم ويخالطونه ، وحسبه أنه هدى أباه للإيمان إذ أنف من جاهلية أبيه وما كان عليه من جهل وجهالة ، فكان يسخر من صنم كان يعبده أبوه سخرية جارحة قاتلة .

كان معاذ حين أسلم شابا فقذف الله الإيمان فى قلبه فثبت فيه ، وتمكن منه تمكنا لا قدرة لأحد ما أن يزحزحه عنه أو يشككه فيه ، ثم راح يعلنه لكل من حوله ، لا يكل من شرح ما أدركه منه ، عسى أن تكون فى ذلك هداية للضالين ، ترشدهم إلى الطريق القويم ، وتأخذ بيدهم إلى السبيل المستقيم .

ولقد أخلص معاذ النية لله ولرسوله ، وكان من الذين إعتزوا بدينهم ، ورأى الجهاد حقا وأنه سبيل المؤمنين القانتين ، وأن الله أرسل رسوله بالحق مبشرا ونذيرا ، وما كان فى ذلك من الممترين ، وأسعده الله أن شهد بدرا ، وحارب يومها الكفر باذلا الروح ، فمكنه الله من عدو الله وعدو الرسول والدين ، ولم يتمكن منه أعداؤه ، وبذلك ساهم مخلصا فى نصر الملة ورفع رايتها .

ثم أيده الله عز وجل بأن جعل على يده هداية أبيه للحق ، وكان لتلك الهداية قصة ، ذلك أن أباه عمرو بن الجموح كان كما قلنا سيدا في قومه ، جوادا كريما ، مسموع الكلمة ، نافذ الرأى ، يجله الخزرج ويأخذون بقوله .

إلا ّ أنه كان على جاهلية مذمومة شائعة بين العرب جميعا ونعنى بها عبادة الأصنام ، فهو عاكف عليها حتى لقد اتخذ لنفسه فى داره صنما من خشب سماه « مناة » ، وراح يتقرب إليه ويعظّمه ، ويستقسم عنده ، ويطهره بالطيب ، ويركع ــ وهو الرجل الحصيف ــ أمام هذا الصنم الذى لا يسمع ولا يعى ، ولا يدفع شرا أو يجلب خيراً .

ومع أن الاسلام كان قد انتشر نوره فى المدينة المنورة وعم ضياؤه ، الا أن عمرو بن الجموح ظل فى غيه ، سادرا فيما هو فيه من ضلالة فلم يعتنقه ، ولم يكترث بما يقوله له من أسلموا واهتدوا ، وفيهم رجال يعرف «عمرو بن الجموح» ما هم عليه من رجاحة العقل والفطنة والألمعية ، وانهم إن قالوا شيئا فقد صدقوا القول وأصابوا محزّ الحقيقة .

وعز على ابنه المسلم معاذ ــ الذى شهد العقبة وبايع ــ أن يكون أبوه ــ وهو السيد المطاع ــ على ما هو عليه من بعد عن الطريق السوى ، ولم تسعفه بصيرته أن يعرف الصراط المستقيم اذ كيف يكون ذلك أمر أبيه ، والقول الحق فيه أنه السيد العاقل ؟

وتعجب معاذ من أبيه ، وتأفف مما هو عليه من ضلالة .

إنه يجمع بين النقيضين ، ويسير فى درب لا ينتهى أبدا إلى السلام .

لئن يسلم أبوه «عمرو بن الجموح» فقد اكتملت له الصفات الطيبة ، وإن خير ما يتوج به هذه الخصال هو أن يسلم وجهه خالصا لله رب العالمين ، الذى لا شريك له ، ويجعل الإسلام له دينا ، ويؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام رسولا .

ويحدث الإبن أباه بالدين الذى جاء به النبى العربى القرشى المكى محمد بن عبد الله من عند الله سبحانه وتعالى ، سبحانه من واحد أحد ، ليس بمولود وليس له ولد .. ولكن

الأب يظل بمعزل عما يحـدثه به ابنـه ، ويبقى بمنأى عما يخبره به ابنه وهو الصادق فيما يقول ·

ويصم عمرو بن الجموح أذنيه عن كل ما يسـع ··

وحسبه من كل ما يسمع ما نشأ عليه ·· وحسبه من دنيـاه : وثنـه هذا الذى صنعه بيده ووضعه فى ركن من داره ، وعكف على عبادته والدعاء بين يديه ·

●●●

ورأى ابنه معاذ المؤمن ما يفعل أبوه ، وكره منه أن يذل لصنم من صنع يديه ، وآلى إلا أن ينتقم من صـنم أبيـه : « مناة » ·

وانه ليسخر منه سخرية تحمل آباه ذا العقـل الراجح على أن يرجع فى النهاية عن ضلاله ، وينبذ ما هـو فيـه من غواية وسفه ·

ومن ثم فإن صحابينا الشاب الأمين كان إذا جن الليل صاحب فتيانا من بنى سلمة ممن على شاكلته إسلاما وإيمانا ، وأراد الله بهم الخير والفلاح فاهتدوا ·

ويمضى معاذ بن عمرو بهذا الرهط من الصحاب تحت جنح الليل البهيم إلى حيث صنم أبيه ، ثم يأخذونه ويطرحونه فى حفرة كان بنو سلمة يلقون فيها أوساخهم وقاذوراتهم · فاذا طلع الصباح وأشرقت الأرض بنور ربها مضى « عمرو بن الجموح» إلى حيث يظن أن صنمه موجود فلا يجده حيث تركه فى الليلة الغابرة ، ويبحث عنه فيجده ملقى فى حفرة الأقذار والأوساخ منكسا ، فيحمله فى رفق ولين ، ويغسله مما علق به ، ثم يطيبه ، ثم يعيده إلى مكانه الذى كان به بالأمس ·

كان معاذ يفعل ذلك كل ليلة ويفعله معه فتيان من بنى سلمة ، دون أن يعرف آبوه من يكون الفاعل ، ولا من ذا الذى يصنع هذا الصنيع المزرى بصنمه ، ولا الفعل القبيح فى نظره ، ولو تبصر لأدرك أن ركوعه للصنم إنما هو القبح ذاته ، وآن تقربه إليه بالدعاء إنما هو كفر بعقله قبل آن يكون كفرا بأى شيء آخر ٠

ويتكرر ذلك الأمر كل يوم وكل ليلة من الابن ورهطه ، ومن الأب وصنمه ، ويضيق عمرو بن الجموح ذرعا بما يحدث لصنمه ، إذ يرفعه كل صباح من بين القاذورات ويغسله ويطيبه ويرجعه إلى حيث موضعه ٠

ويتكرر ذلك كل ليلة وكل صباح ٠٠

وتتوالى الأيام ، والأمر على ما هو عليه ٠

وتدبر عمرو ثم فكّر فقرر أن يأتى صنمه بسيف يعلقه فى رقبته ، عساه يدافع عن نفسه فيدفع ما يفعله به الزارون الساخرون به ٠ وظن عمرو أنه بذلك قد بلغ الغاية وأفسد على الفعلة ما يفعلون ، فاطمأن باله ، وانكفأ إلى داره مستريحا ٠

لكن السيف لم ينفع الصنم ، ولا أجدى عمرا الذى ما كاد يشرق الصباح حتى جاء صنمه فوجد الأمر فى يومه كما كان فى أمسه ، وفى كل أمس قبله ٠

وزاد بأن وجد جيفة نتنة لكلب ميت مقرونة به ٠

ونظر عمرو إلى صنمه «مناة» وهو فى هذه الحالة ، وتدبر وتفكر ، فانجلت الظلمة عن بصيرته ، إذ أدرك أن لا طاقة للصنم بدفع الأذى عن نفسه ، فإن يكن الأمر كذلك فكيف يدفعه عن غيره ؟

وتأمل وتفكر ٠٠٠ ثم تأمل وتفكر ٠٠٠ فاذا به يسلم ٠

وهكذا كان إسلامه بسبب ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح الصحابى الذكى .

والصحابى ـ أيا كان هذا الصحابى ـ هاد ومهتدى .

● ● ●

ولما جاء اليوم الذى جمع الكفر فيه مَن جمع من رجاله وما عنده من سلاح وكراع ، وخرج البعض من المسلمين لقتاله فى بدر كان معهم معاذ بن عمرو بن الجموح الذى حارب وسيفه فى يده ، وإيمانه فى قلبه ، ونور الحق بين عينيه ، وقائده المعلم الهادى محمد عليه الصلاة والسلام .

فى هذا اليوم ، وفى ساحة بدر مضى صاحبنا معاذ إلى رأس الكفر أبى جهل وقد دله أحدهم عليه ، وكان أبو جهل فى حشد كثيف لا يكاد يصل إليه أحد من خصومه .

وفى ذلك يقول إبن إسحق فى السيرة إن معاذ بن عمرو سمع الناس يقولون قبل مقتل أبى جهل إنه لا يستطيع أحد أن يخلص إليه ، فأراد هو أن ينفذ إليه ، وجعله ـ كما قال ـ من شأنه وقصده ، ثم حمل عليه فضربه ضربة أطارت رجله .

وييسّر الله الأمر لصاحبنا معاذ فحاذا أبا جهل ، ثم ضربه بسيفه ضربة قطعت قدمه بنصف ساقه ... وقال هو فى وصفها : « فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من مرضخة النوى حين يُضرب بها » .

وسقط هيكل من هياكل الشر ، وصرح من صروح الفتنة ، وانقض عرش الطاغوت فى يومه ، وتبدد لا يقدر أحد على لمه .

وصرع رمز الإثم ابو جهل صرعة كان فيها الإجهاز عليه وأودت به الى سقر ، وانها لمأوى الفجرة الظالمين .

وإذ ذاك انطلق ابنه عكرمة بن أبى جهل ــ وكان لا يزال على جاهليته ــ إلى الصحابى المؤمن معاذ بن عمرو فضربه على عاتقه ضربة قطعت يده إلا من جلدة شدتها إلى جانبه ، فراح يسعى ويسحبها إلى خلفه ويقاتل ، رغم أنه كان قد أجهد نفسه فى القتال فى ذلك اليوم ، حتى إذا أذته وضع عليها قدمه ثم تمطى عليها فطرحها ٠

وقيل إن النبى عليه الصلاة والسلام قضى إذ ذاك بسلب أبى جهل لمعاذ ٠

هكذا كان بلاء « معاذ بن عمرو بن الجموح » يوم بدر ، وإنه لبلاء أكرمه الله فيه حين جعل على يده مصرع واحد من أشد الكفار كراهية للإسلام وإيذاء لرسوله ومحاربة للمسلمين وتأليبا عليهم ٠٠٠ وإنه لبلاء أرضى به معاذ ربه ورسوله والمؤمنين ٠

وحسب معاذ مكرمة أن كان على يديه هداية أبيه للاسلام ليمتز الدين بعمرو بن الجموح أيضا مجاهدا وذابا عن بيضته ، ومنافحا عن رسوله ٠

●●●

ثم قدر الله لمعاذ أن يشهد أحدا ٠٠

يوم تراخى المسلمون أو بضعة منهم فى طاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكان آخر هذا اليوم عليهم ، وانتهى بهم إلى ألم أدركوا معه كبر خطيئتهم إذ خالفوا أمر الرسول ٠

وحسب معاذ بن عمرو أن كان من أهل العقبة التى عاد منها ليبشر بظهور النبى المجتبى الذى كان اليهود يهددونهم بقرب ظهوره ٠

وحسب معاذ بن عمرو أيضا أنه كان طائعا لمن طاعته طاعة لله عز وجل ٠

ويكفيه فخرا أن يكون مجاهدا فى سبيل الله ينشر دينه ويعلى كلمة الحق ٠

وحسبه أن يكون كارها للشرك ، مسفها للكفر ، فكان من الراشدين الذين حبب الله سبحانه وتعالى إليهم الإيمان وزينه فى قلوبهم ، وبغض اليهم الكفر والفسوق والعصيان، وتلك نعمة من الله وفضل يمنحه عباده المتقين ٠

هذا هو معاذ بن عمرو بن الجموح أحد السابقين للإسلام ومن رجال الرعيل الأول ٠

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾

صدق الله العظيم

زيـــاد بن الســـكن

رجل باع نفسه للنبى (صلى الله عليه وسلم)

الصحابى زياد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس : أوس أشهلى أنصارى ، كان مثالا للصحابى الصـادق الايمان الذى لا يقدم على حب رسول الله آحدا ولا شـيئا ، ولو كان هذا الأحد نفسه أو ولده ، وكان يعتبر وجوده عليه الصلاة والسلام رمزا بليغا لنشر الرسالة ، ولا يعنيه شىء فى الحياة إلا أن يسير عـلى نهجه ، ويسلك دربه ، ويؤم سـمته الذى لا يضل من اتبعه ..

ويعد زياد بن السكن من كبار الأنصار وأقدمهم إسلاما ، فقد آمن بالحنيفية السمحة منذ دخولها يثرب حين بشر بهـا طائفة من الأنصار من حجاج العقبة : أول الأنصار إسلاما ، وأسبقهم دخولا فيه ، فرحموا أنفسهم وما علموا أى حسنة اكتسبوها بسبقهم غيرهم إلى مغفرة من ربهم وجنـة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وكان ذلك فضلا من الله عليهم .

عاد هؤلاء الحجاج من موسـمهم وقد فتح الله قلوبهم ، وهدى بصيرتهم ، وأزال غشاوة الجاهلية عن عيونهم ، فعرفوا الحق فا تبعوه ، وكرهوا الباطل فشجبوه ، وجانبوا الـكفر فنبذوه ، وأقبلوا ونورهم يسعى بين أيديهم ، لا يبتغون إلا وجه ربهم الأعلى ، ولم يعـرف عنهم مين ولا لغو ، أو يؤثر عنهم تأثيم .

أقبل هؤلاء الحجاج على مَن يتوسمون فيه العقل والحجا والرشد والحلم ، يدعونه إلى وحدانية الله ، وإلى الدين الذى بشر به العربى القرشى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فوجدت دعوتهم استجابة طيبة ، وصادفت أرضا خصبة ، وأصاخت لها آذان واعية ، وتلقفتها بالرضا قلوب ظامئة للحق ، حتى لقد أقبل على الإسلام فى ثلاثة مواسم متتالية نفر كبير من أهل يثرب بصورة تدعو إلى الإعجاب والدهشة ، وتملؤ نفس المؤمن بالثقة ، فيزيد الله أصحابها فضلا كبيرا من فضله ٠

كان من هؤلاء اليثربيين « زياد بن السكن » وأسرته الذين أقبلوا على الإسلام إقبال الظامىء الصادى على الورد العذب، فكان بردا وسلاما يرتوون منه ويبشرون به ، وتلقف زياد بن السكن هذا الدين بعقل متفتح ، ورأى فيه نجاة لنفسه التى كاد أن يفقدها فى الجاهلية ، فأوغل فيه لكن برفق ورشد وأناة ٠

وأحب زياد بن السكن ـ رضى الله عنه ـ رسول الله ﷺ حبا جما ، ترجمت عنه كل لحظة من حياته بعد أن شهد ألا إله إلا الله وحده ، وأن محمدا رسوله ، وأن الدين عند الله الإسلام ، وأنّ من يبتغى غيره دينا فلن يقبل منه ، ويكون ـ وقانا الله ـ من الضالين الذين غلبت عليهم شقوتهم ٠

وزاد إقبال الناس على الإسلام وكثر رهطه ٠

وزادت شوكة المسلمين قوة ، وأووا منه إلى ركن شديد المنعة ، يعصمهم من الزلل ، ويجنبهم مزالق الخطل ، وأزعج الأمر قريشا إذ أصبحوا يرون فى هذه الجماعة المسلمة الشوكة التى تقض مضاجعهم فلا يهدأ لهم بال، وتهدد طرق قوافلهم، فيأكلهم الهمّ ، ويخافون منها على تجارتهم وهى قوام حياتهم، وأدركوا أن هذه الجماعة الإسلامية تزلزل مكانة قريش بين العرب أجمعين ٠

وانطلق المسلمون ـ مهاجرين وأنصارا ـ يخرجون فى السرايا والغزوات ، فتضطرب قريش ويتولاها الفزع الشديد ، فما من يوم ينقضى إلا وينال المسلمون فيه من هيبة قريش ، ويعلو شأن النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضى الله عنهم ، وتزداد قوة هذا الدين الذى ارتضاه الله لخلقه منذ أن برأ الخليقة .

وينفجر مرجل الغضب فى نفس الملأ من قريش وعلى رأسهم أبو جهل الطاغية ، ومن ثم يكون يوم بدر الذى أراده الكفار نصرا لهم فكان عارا عليهم ، ويريدونه يوما يقضى على الإسلام فكان النكبة العاصفة التى زعزعت أركان الكفر ، وهكذا قدروا فضحكت منهم الأقدار ومما قدروا ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، إذ دبروا ضرب الحنيفة السمحة فخاب ما دبروا ، وخيب الله ظنهم ، وهكذا كان يوم بدر صفعة على وجه الشرك ، وطعنة نجلاء فى قلبه ، وحاق المكر السيء بأهله .

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

●●●

وزادت بدر فى إيلامهم وأوجاعهم وفى تعميق جراحاتهم .

وراحوا يتوعدون النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه الغر الميامين ليكونن الموعد للانتقام العام المقبل .

وانطلقوا يرتبون أنفسهم وينظمون صفوفهم ، ويثيرون القريب والغريب على الإسلام والمسلمين .

ثم يكون اللقاء فى أحد .

ويكون أول هذا اليوم للمسلمين اذ أطاعوا النبى عليه الصلاة والسلام .

ويكون آخره عليهم اذ خرجوا عن طاعته ، وما طاعته إلا هدى ورحمة .

وفي هذه المرحلة الأخيرة من المعركة في يوم أحد يبادر الكفار إلى ضرب القلة التي صمدت مع الرسول من أتباعه ، ويسمع من صفوف المشركين أصوات نسائهم وهن ينشدن :

ضربا بني عبد الدار

ضربا حماة الأديار

ضربا بكل بتار

ويرمي الجانبان بعضهما بعضا وتستعر الحرب .

ويرمي رسول الله ﷺ عن قوسه حتى تصير شظايا .

ويرمي بالنبل حتى يفنى نبله وتنكسر سية قوسه .

ويطمع الكفار ــ خذلهم الله ــ في جند الله ، ويرجون ــ لا حقق الله رجاءهم ــ أن يصيبوا رسول الله ﷺ ليقتلوه أو يأسروه ، فإن قتلوه فقد فرغوا من رجل سفه أحلامهم ، وحط من آلهتهم ، أما إن أسروه فأسرُه فرحة لا تماثلها فرحة اذ يذيقونه نكالا ما بعده نكال ، ومرارة ما بعدها مرارة ، وترتفع رؤوسهم اذ يجعلون القيد في يديه وقدميه ، ويناله سفاؤهم وعبيدهم بما شاؤوا أن ينالوه به .

تلك كانت أحلامهم الطائشة السفيهة .. ثكلتهم أمهاتهم .

ويهجم أبي بن خلف (وهو أحد رجال الكفر وطواغيته) على الهادي البشير ليضربه ، فيستقبله المقرىء : مصعب بن عمير ويحول بنفسه بينه عليه الصلاة والسلام وبين الفاجر الزنيم ... ويستشهد مصعب رحمه الله .

ويدافع أبو دجانة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وتكثر جراحاته .

ويعشى الكافرون الرسول الكريم الذى ينادى « من رجل يشرى فينا نفسه !! » ، وقيل ــ بل قال ــ : « من يبيع لنا نفسه » ٠

ويسمع هذا النداء زياد بن السكن في نفر كرام آخرين ، ويجيبون : « نحن يا رسول الله » ٠

●●●

وفى لحظة خاطفة يكون « زياد بن السكن » قد دبر أمره ليشرى نفسه ٠

إنها الجنة تناديه على لسان الصادق البشير ، والشفيع المرتجى يوم لا شفيع سواه ٠

ويعلم «زياد» أنها الشهادة فى انتظاره ، وتهتف نفسه : « لبيك يا رسول الله من مناد مطاع ٠٠ إنها والله الجنة » ٠ فليسع إليها زياد فإنها غاية سؤله ومنتهى رجائه ٠٠٠ ويا سعداه إذ جاءته تسعى إليه فلا يردنها ٠

ومن ثم ينهض ويقاتل دون رسول الله ﷺ هو والملأ الآخرون وكلهم على غراره : رجال صدق ، وأهل إيمان وبر ومحبة فى الدين والنبى ٠

ويستشهدون واحدا بعد الآخر ، ويكون زياد آخرهم ٠

لقد ترس دون النبى بنفسه ، وقاتل ثم قاتل ثم قاتل ٠٠٠ وتكاثرت عليه السيوف من كل جانب ، وتناوشته الرماح ، وأثقلته جراحاته حتى لم يستطع أن يتقدم أو يتأخر ، ولكنه مازال ممسكا بالسيف يذب به عن رسول الهدى ونبى الرحمة ٠

●●●

ورأت طائفة من المسلمين « زياد بن السكن » وقد تكاثر عليه المشركون وهو فرد فأسرعوا إليه ، ودافعوا المهاجمين حتى دفعوهم والزموهم الفرار .

ورأى النبى عليه الصلاة والسلام زياد بن السكن وهو مسجى يكاد يلفظ أنفاسه ، فطلب ممن حوله أن يقربوه إليه ... فقربوه فوسده قدمه .

ولفظ زياد نفسه الأخير وخده على قدم الرسول عليه الصلاة والسلام .

لقد أقرض الله قرضا حسنا، والله يضاعفه له إن شاء الله .

ويسكن جسده الطاهر ، وتصعد روحه إلى بارئها راضية مرضية .

ويصلى نبى الرحمة على قتلى أحد وفيهم زياد بن السكن، وصلاته عليهم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ سكن لهم .

وهكذا كانت خاتمة زياد بن السكن الأوسى الأشهلى ، خاتمة رجل جاهد فأحسن الجهاد ، وآمن فحسن إيمانه ، وأسلم فطاب إسلامه . ثم لقى الشهادة بين يدى الشفيع الهادى ... ومات شهيدا بإذن ربه .

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

صدق الله العظيم

سـالم مولى أبي حُذَيْفة

ضجيع رفيقيه المؤمنين

سالم مولى أبى حذيفة : صحابى معدود فى المهاجرين ، كما هو معدود في الأنصار ، فأما عداده فى المهاجرين فلأنه كان ملك ثُبَيتة الانصارية امرأة أبى حذيفة بن عتبة فأعتقته فاتخذه زوجها وليا له وتبناه ، ووالى سالم أبا حذيفة فأطلق الناس عليه اسم « سالم مولى أبى حذيفة » وكان أبو حذيفة من المهاجرين فعد سالم مولاه منهم ٠

وأما عده في الأنصار من بني عبيد فلعتق مولاته ثبيتة له ، وكانت ثبيتة أنصارية ، ولما كان سالم ملكا لها فقد عد من الأنصار ٠

ثم هو معدود بعد ذلك كله في قريش ٠

كما أنه معدود فى العجم ، إذ قالوا إنه منهم ٠

وقيل فيه إنه فارسى من أهل إصطخر ٠

كل هذا من ناحية النسبة يكون جانبا من سالم بن عبيد ابن ربيعة : مولى أبى حذيفة ٠

وقيل فيه بل هو سالم بن معقل ، وقد يخطىء بعضهم فيخلط بينه وبين آخر باسم سالم بن عبيد الذى هو ابن عبيد الأشجعى ، والذى كان من أهل الصفة الذين لم يكن صاحبنا (مولى أبى حذيفة) منهم ، فلم يرد له ذكر بينهم فى الأخبار الصحيحة ٠

وأما كنيته فأبو عبد الله .

وكان إسلامه في بداية الدعوة بمكة ، إذ أن مولاه أبا حذيفة كان من الطلائع الاولى من المسلمين ، ويجيء الرابع والأربعين في عدادهم وعداد من دخلوا الاسلام منذ أن صرح الرسول الكريم بالدعوة .

وليس إسلامه في مكة موضع جدل ولا مثار نقاش بين المؤرخين ، ويؤكد هذا أنه هاجر إلى المدينة المنورة قبل النبي عليه الصلاة والسلام ، ويبدو مما أورده ابن إسحق ولم يعارضه فيه أحد أو يعلق عليه ابن هشام أن سالما ومولاه أبا حذيفة نزلا — هما وعتبة بن غزوان — في دار عبد الأشهل بالمدينة المنورة ، ثم آخى الرسول عليه الصلاة والسلام بينه وبين معاذ بن ماعص بن قيس الذي شهد بدرا واحدا ، ثم استشهد يوم بئر معونة ، وإن ذكر الواقدي في مغازيه أنه جرح ببدر فمات شهيدا بالمدينة من جراحه .

●●●

كان سالم أثيرا عند أبي حذيفة ، قريبا لنفسه لصدق إسلامه ، فزوجه بنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وهي من المهاجرات الأول ، وقالوا في صفتها « إنها كانت من أفضل أيامى قريش » كما كانت قرشية عبشمية ، ويزيد المترجمون فيها فيقولون إنها كانت في الشام تلبس الجباب من ثياب الخز ثم تأتزر ، فلما سألوها : أما تغنيك الجباب عن الإزار ؟ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بالإزار » .

وكما كان سالم قديم الهجرة إلي الإسلام فإنه كان أيضا قديم الهجرة إلى المدينة ، إذ سبق الرسول الهادي إليها ، وتقول الأخبار الصحيحة إنه لما قدم المهاجرون الأولون « العصبة » (وهي محلة بني جحجبا) كان يؤمهم في الصلاة سالم مولى أبي حذيفة ، وكان في هؤلاء المهاجرين المصلين عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد .

●●●

وقد شارك سالم في بدر وفي كل المشاهد التى شهدها رسول الله ﷺ ، وعجل فى هذا اليوم بعمير بن أبى عمير إلى سقر ، وأودى به إلى الهاوية وبئس المصير ، وخلص أرض الطهر من أفعى سامة •

وخرج سالم ومولاه أبو حذيفة مع الرسول الكريم إلى قريظة •

خرج سالم إلى جانب النبى عليه الصلاة والسلام الذى كان معه فى ذلك اليوم فَرَسان فركب أحدهما •

●●●

ولما جاء يوم أُحد وتكاثر الكفار على النبى صلوات الله وسلامه عليه شج النبى فى جبهته ، فقد رماه أحدهم بشظية أصابت رباعيته وأدمت شفتيه ، فغطى دمه الطهور وجهه الزكى ، فقام سالم يغسل الدم عن وجه المصطفى ، والرسول يقول : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله !! » •

وشجب المسلمون ما فعله الكفار الأشرار ، وكان الذى رمى الرسول فى هذا الموقف هو عتبة بن أبى وقاص ، وعز على المسلمين ما لحق بإمام المتقين ، فقال حسان بن ثابت فى شعر له :

اذا الله جازى معشرا بفعالهم
وضرهموا الرحمن رب المشارق

فأخزاك ربى يا عتيب بن مالك
ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق

بسطت يمينا ـ للنبى تعمدا
فادميت فاها ـ قطعت بالبوارق

فهـلا ذكرت الله والمنزل الذى
تصـير إليه عند إحدى البوائق ؟

وقيل إن الله جل جلاله أنزل قوله تبارك وتعالى :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

صدق الله العظيم

● ● ●

كان صحابينا سالم من أحسن الناس تلاوة للقرآن الكريم وأكثرهم حفظا له ، وكان له صوت إذا سمعه النـاس حنت قلوبهم إليه ، وخشعت الأفئدة إجلالا له ، وإن هذه العذوبة فى الترتيل لتسترعى انتباه عائشـة أم المؤمنين حتى إنهـا لتقف ساكتة عند الرسول ﷺ فيسألها الهادى ما حبسها ؟ » فتقول : « سمعت قارئا فذكرت من قراءته » .

فأخذ النبى رداءه وخرج فإذا سالم هو القارىء ، فقال له : « الحمد لله أن جعل فى أمتى مثلك » .

ثم جعله النبى أحد أربعة أوصى أن يؤخذ عنهم القرآن الكريم .

● ● ●

وكان الفاروق عمر يقدر سـالما حق قدره ويكثر من الثنـاء عليـه ، ... وعمر أحـد الذين يقدرون الرجال قدرهم ، وينزل الواحد منهم مكانته التى هو أهل لها ، كأنه الصيرفى الحاذق يعرف قيمة الجوهر الذى بين يديه .

وقيل إنه لما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب قال لمن حوله : « لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى » ، فإن يكن هذا القول

حقا لعمر فانها شهادة فخر وتعظيم لسالم من الفاروق ، وما عمر بالرجل العادى فى حكمه • ويعلق ابن عبد البر على ذلك فيقول : « •• معناه إنه كان يصدر عن رأيه فيمن يوليه الخلافة » •

ولا يستبعد أن يكون الفاروق قد قال الذى قيل عن سالم ، وما نرى تفسير ابن عبد البر إلا التفسير الصادق لما يؤكد أن عمر قال ما وصل إلينا فى سالم •

●●●

لقد عاش سالم مولى أبى حذيفة ما شاء الله له أن يعيش فى هذه الدنيا : مجاهدا ومسلما، شديد الثقة بالله ، لا يصدر فيما يفعل إلا عن عقيدة صادقة وإيمان غير مغموز •

ثم كان هناك قوم ذهب الظن السىء بهم للاسلام مذهبا حاد بهم عن محجة الصواب ، فزلت القدم منهم ، واضطربت قلوبهم فى صدورهم ، ووسوس لهم الشيطان بالسوء فارتدوا ، فاستنكر سالم ما كان منهم ، وهاله ما ارتكبوه من إثم تضج منه السموات والأرض ، فخرج مع الذين خرجوا لتأديبهم وقتالهم ، وحارب يوم اليمامة حربا تليق بالمسلم المؤمن •

لقد حمل سالم اللواء دفعا للإثم ، وقيل له يومئذ ــ وقد فكّروا فيمن يدفعون إليه اللواء ــ « نخشى من نفسك شيئا فنولىّ اللواء غيرك» ، فأغضبه ما قالوا وأنكره عليهم وأجابهم « بئس حامل القرآن أنا إذن » ••• وحارب فقطعت يمينه ، فأخذ الراية بيسراه فقطعت هى الأخرى أيضا ، فاعتنق اللواء وهو يردد قول الحق :

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

صدق الله العظيم

ثم مات شهيدا والقرآن العظيم على لسانه ٠

ولما أخذ يجود بأنفاسه الأخيرة سأل عن صاحبين له وكان آبو حذيفة آحدهما ، فلما عرف أنهما لقيا الشهادة قال : « أضجعونى بينهما » ، فأضجعوه حيث شاء ٠

وضم ثرى تلك البقعة جثمان الراحل الذى بادر إلى الإسلام والقوم يومئذ مسرفون فى طغيانهم ، والجاهلية الجهلاء منشبة مخالبها فى فريق من الناس تنهشهم بأنيابها السامة ٠

رحم الله سالما فقد كان نعم الرجل إيمانا وحبًا للرسول، صلوات الله وسلامه عليه ٠

ورحم الله سالما لما سمع بالدعوة فلباها راجيا أن ينال رحمة ربه ٠

ورحم الله سالما يوم أسلم ويوم عذب دفاعا عن الدين ويوم استشهد ٠

رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)

صدق الله العظيم

الحجاج معبد العبدرى

المحارب بقوسين يوم بدر

الصحابى القرشى معبد بن عبد وهب رجل من قيس الذين لهم ذكر طيب يتفاخرون به فى الجاهلية والإسلام على السواء ، حتى لقد شهد لهم بذلك الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ٠

دخل معبد الإسلام معتزا به ، وطمع أن تكون له صحبة فكان له ما تمنى ، وأحبه حبا جما كان لا يتأخر معه عن اقتحام الأهوال إن يكن فى ذلك الاقتحام مرضاة للنبى عليه الصلاة والسلام ، وإيمانا من صاحبنا معبد العبدرى بأن رضاء النبى من رضا الله عز وجل على عبده ، وكان معبد صادقا فى إسلامه صدقا يشهد له بالفوز وقد ناله فى يوم لم يبارح فيه موضعه إلى جانب رسول الرحمة وشفيع الأمة ، حتى كتب الله النصر لجنده ، وكبت عدوه ، وخذل الكفر وأهله ، وأهلك طواغيته ٠

قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)

لقد هانت الدنيا كلها فى عينيه فما يبالى بالمال ولا بالولد ، ثقة منه أن كل هذه عارية لا تقربه من الله زلفى وما يقربه إليه إلا العمل الصالح ٠

بايع معبد بن عبد وهب العبدرىّ رسولَ الله ﷺ وهو لا يزال فى مكة يجالد الكفر ويجابه الطاغوت فى قريش ، ويلقى منها كل عنت وشدة وبطش، وشاهَدها تنزل ذلك كله بإخوانه المؤمنين الذين لا تلين لهم قناة ، ولا يزيدهم طغيانها إلا ثباتا ، ولا يطاطئون لها هاماتهم ، ولا ينجح الكافرون مهما أوتوا من الجبروت فى أن يثنوا المؤمنين عما آمنوا به .

ويرى معبد النبى ومن معه يجاهدون فى دفع المشركين وإن لم يستطع حربهم ، ويجادلهم بالتى هى أحسن فيسخرون منه وبالدعوة وبأتباعه ، ولا يغيب عن معبد ما ينزله المشركون بمن أسلم من أذى فلا يملك النبى ولا المسلمون إلا أن يفوضوا أمرهم إلى الله عز وجل ، والا أن يقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

لكن ذلك لا يزيد قريشا إلاّ إسرافا فى طغيانها حتى لتظن أن لا غالب لها ، فساء ظنها وكان عليها وبالا ، وما علمت أن الله يمهل ولا يهمل :

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾

صدّق الله العظيم

كان الظن عند أهل مكة (بل والعرب جميعا) أنه هيهات لابن بلدهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أن يستطيع الصمود فى وجه قريش ، ولم يكن هذا هو ظنهم وحدهم ، وهم لا يلامون على هذا الظن إذ ماذا يكون من شأن رجل أو رجال قلائل ــ معظمهم من المستضعفين ــ أن يفعلوا أمام قريش التى هى مَن هى فى بأسها وشدتها وجبروتها ؟ .

لكن محمد بن عبد الله وقف ، وصمد ، وجاهر بالدعوة فما خاف ولا هان ، ولا ضعف منه العزم ولا لان ، ولم يطمعه ترغيب ، أو يخفه ترهيب ، وكان الذين آمنوا بالدين على نمطه :أخوة متينة فيما بينهم ، وصدق عميق فى إيمانهم ،

ومجاهدة للكفر لا تعرف الكلل ولا يرهقها نصب ، ولا تتقهقر أمام مايلقون من شتى صنوف العذاب والاضطهاد، وكانوا فى تحملهم الأذى أقوى من أية قوة ، وأصلب عودا من كل قوى صمود ، لأنهم آمنوا بالله اذ سمعوا كلامه :

وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

صدق الله العظيم

●●●

هكذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهكذا كان أصحابه ومنهم معبد بن وهب بن عبد القيس الذى استجاب للرسول فهاجر إلى المدينة تاركا وراءه أرضا درج على أديمها، حتى لكأنه وهو على بعد منها يشم أريج أنفاسها ، ويرى بيوتها ووديانها فى كل شىء حوله ، ولكنه خلّف ذلك كله وراءه ليكون آمنا على دينه أن يفتن فيه ، وعلى إسلامه أن يصاب فيه بأذى ، أو يسمع فيه كلمة السوء من خسيس لئيم، وسفيه وغد زنيم •

كان معبد بن وهب ، رجل إيمان ، وإذا كان قد حزن لأنه خلّف مكة وراءه فقد أحس بالراحة الكبرى تغمره اذ هاجر ، لأنه بهذه الهجرة حافظ على دينه وإسلامه وعقيدته ، وسعد بأن يكون على مقربة من النبى عليه الصلاة والسلام وهو فى المدينة يقيم بها دولة أساسها التقوى ، وهدفها خدمة البشرية قاطبة ، لا تعرف العصبية ولا العنصرية ولا القبلية ولا سيادة جنس على جنس •

●●●

يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)

صدق الله العظيم

ومضت الأيام بمعبد بن وهب بن عبد القيس وهو ينعم بالصحبة الشريفة ، حتى جاء يوم خرج فيه المسلمون الى بدر لصد عادية الظلم والظالمين ... وحدث معبد نفسه قائلا لها :

« يا نفسى هذا هو اليوم الذى كنت تتطلعين إليه .

« هذا يوم يرتجيه المؤمن التقى ، وأما الظالم فيعض فيه على بنانه .

« هذا يوم الفصل الذى كان الكفار به يكذبون ، وكانوا هم فيه بالعدوان بادئين .

« هذا يوم يجاهد فيه إلى جانب المصطفى ﷺ وصحبه الكرام ممن تعرفهم من سيماهم » .

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

صدق الله العظيم

والتقى المسلمون فى ساحة بدر بالكفار .

وكان المسلمون قليلين فى الرجال والإبل، وكان عدوهم كبيرا فى العَدد والعُدد والكراع والعبيد والسلاح وغيرها من آلات الحرب .

وكان فى الكفار من شيوخ قريش أعلامهم ، وفيهم أهل الحل والعقد •

أما كتيبة النبى فلم يكن فيها غير المؤمنين من صحابته •

وهكذا كان الهدى فى جانب ، والضلالة فى جانب آخر، وإن وقفا وجها لوجه ، وفات الشرك أن يتدبر خطر الإيمان

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ
أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

صدق الله العظيم

والتحمت السيوف بالسيوف من الجانبين •

واستشهد من المسلمين نفر قليل ، وهلك من الكفار قوم كثيرون سيقوا إلى جهنم زمراً •

وحارب صاحبنا معبد بن وهب حربا أبلى فيها أحسن البلاء ، وأبدى صورا كريمة من البطولات حفظها له التاريخ فى إعجاب وإجلال •

وحدثوا أنه قاتل بسيفين فى يوم بدر ، فلما رآه النبى ﷺ على هذه الصورة ، ولم يعهد الناس رجلا يقاتل بسيفين فى آن واحد قالوا إنه عليه الصلاة والسلام قال : « يا لهف على فتيان عبد قيس • أما إنهم أسد الله تعالى فى أرضه!!» •

●●●

وكان معبد بن وهب العبدى كثير الحج إلى بيت الله الحرام فلا يفوته موسم من مواسمه ، فإن لم يكن الوقت وقت حج كانت له عمرة وعمرات •

كان « معبد » يكثر من الحج ، فإن لم يكن زمن حج ، مضى إلى الكعبة معتمرا طائفا بالصفا والمروة فهما من شعائر الله جل جلاله •

وكانت لمعبد زيارات بين آن وآخر إلى مكة حيث يجد الراحة فى جوار الكعبة ، ويتأمل ما كانت عليه قبل ظهور النبى البشير وبين حاضرها منذ أن طهرها عليه الصلاة والسلام للطائفين والعاكفين والركع السجود ، كما فعل من قبل أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وولده أبو العرب إسماعيل .

ولما كان الناس يعرفون فى معبد كثرة حجه فقد سموه « حُجاجا » ، فإذا جلس بعضهم إلى بعض وقالوا : « جاء حُجاج » و « ذهب حُجاج » وفعل كذا « حجاج » فإنما يقصدون بذلك صاحبنا معبد بن وهب العبدرى .

●●●

وبعد فهذه صورة موجزة عابرة ، ولمحة عاجلة من حياة هذا الصحابى الذى تزوج من هريرة بنت زمعة أخت سودة أم المؤمنين .

ولقد عاش معبد ما شاء الله له أن يعيش مؤمنا ، مجاهدا ، حاجا ، شاكرا الله أنعمه أن هداه للإسلام ، وقالوا إنه عاش حتى شهد فتح مكة وشارك فى هذا الفتح حتى قال فيه القائلون :

أجابهموا يوم الخنادم فتية كرام أسود .. فيهم نفيل ومعبد

عاش معبد بن وهب مؤمنا وكان من رجال الزمرة التى عرفت الحق فاتبعته ، واهتدت بهدى نبيه الكريم ، واعتزوا بالاسلام واعتز بهم الاسلام ، فحسنت نواياهم نحو الخلق أجمعين ، ولم يحملوا حقدا لأحد ، لأنهم سمعوا قول الحق تبارك وتعالى :

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

صدق الله العظيم

سَمُــرَة الفَــزاري
تلميذ فى مدرسة محمد (صلعم)

نحن الآن فى صحبة صحابى غطفانى فزارى ، تفتخر به الدهور ويتباهى به الكرام ، فقد تعطرت الأيام بسيرته اذ كان عبقرى الفعال وكان مضرب المثل فى الرجولة ، ذلك هو:

سمرة بن جُندُب بن هلال

عرفه التاريخ أول ما عرفه ، وسمع الناس به أول ما سمعوا والمسلمون خارجون إلى أُحد غداة وقعة بدر لصد أعوان الشر ودفعهم عن اقتحام المدينة .

لم يكن سمرة من أهل المدينة بل ولد ونشأ فيما عرف بعد حين بالبصرة ، ثم انتقل من تلك الناحية التى ولد بها إلى « طيبة » على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وكانت أمه تحت «مُرّى بن سنان» بن ثعلبة الحارث عم أبى سعيد الخدرى .

و « مرى » صحابى أنصارى نشأ « سمرة بن جندب » فى بيته وفى كنفه ، فكان ربيبه ، ثم انتقل الطفل مع أمه إلى المدينة حين انتقل إليها مرى ، لذلك قيل فى سمرة إنه «كان من حلفاء الأنصار » .

ولقد إختلف المؤرخون فى كنيته فتعددت كُناه بتعدد من ترجموا له ، فقال البعض هو « أبو سعيد » ، وقال البعض الآخر بأنه « أبو عبد الله » ، ثم جاء من أنكر هاتين الكنيتين

جميعا وقال بل هو « أبو سليمان » ، ومن ثم لم يتفق الناس على كنية واحدة له رغم شهرته العظيمة فى تاريخ الإسلام ، وما كان اختلافهم هذا بضائره ولا بمؤخره عن أن يكون علما بارزا فى تاريخ الجهاد الاسلامى .

وربما كان تعدد كناه وكثرتها إشارة إلى تعدد جوانب نشاطه فى الحياة الإسلامية زمن الهادى البشير وبعد وفاته، وقد امتد هذا النشاط حتى قامت خلافة بنى أمية .

وإنا لنلتقى بصاحبنا الصحابى « سمرة بن جندب » أول ما نلقاه فى السنة الثالثة للهجرة وهو دون الخامسة عشرة من عمره بقليل، ولكن كان له عزم الرجال الصناديد ، وهدى الصحابة الأمجاد ، وإيمان المسلمين الصادقين ... والفضل لا يقاس بالعمر إنما بصالح الأعمال وجليلها .

عرفنا « سمرة بن جندب » يوم أن كان رسول الله ﷺ قد علم أن قريشا جمعت له كل قوى الشر لتثأر لما أصاب رجالها لا سيما كبارهم أصحاب القليب ، ونمى إلى علم الهادى أن رجالا من قريش ممن هلك أو أصيب أبناؤهم وإخوتهم وآباؤهم يوم بدر جاؤوا إلى أبى سفيان بن حرب وكلموه هم وأصحاب العير أنهم يعينونه بالمال على قتال النبى وأصحابه « فقد وترهم وقتل خيارهم » ، وقالوا له « آموالنا لحرب محمد بن عبد الله ومن معه » ، فأطاعهم ومن استمعوا إليهم ، واستجابوا لهم عن رضا وطيب خاطر ليصدوا عن سبيل الله من آمنوا :

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾

صدق الله العظيم

واستعد المختار عليه الصلاة والسلام لدفع المعتدين ، وكان من مألوف عادته ــ كما يقول التاريخ ــ أن يعرض

غلمان الأنصار كل سنة ليجيز منهم للخروج معه من بلغ الخامسة عشرة من عمره ، « وكان قادرا على المشاركة » ٠

وشهد يوم العرض هذا « سمرة بن جندب » وكان غلاما وصبيا صغيرا ٠

وكان هناك خاطر يلح عليه ويسعى ليحققه هو أن يأذن له الرسول العظيم أن يكون من الخارجين لمجالدة الكفار وضرب الظلم والشرك ٠

لم تكن هذه مغامرة غلام ولكنها كانت بادرة تشير إلى أنه المسلم الصادق الإيمان ، الذى يرتجى منه الخير والفلاح إن شاء الله ٠

وأخذ سمرة يشق الصفوف حتى صار بين يدى رسول الرحمة وشفيع الأمة ٠ ونظر سمرة حوله فرآى نفسه وسط فتية من فتيان المسلمين عرفنا منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، والبراء بن عازب ، وأبا سعيد الخدرى ، ورافع بن حديج ٠

إنهم فتية آمنوا بربهم وهم براعم نضرة ، وجاءوا إلى نبى الرحمة عسى أن يأذن لهم بالانخراط فى عداد جند الله الخارج لصد الكفر وردع الشرك ، لكن هؤلاء الفتية كانوا صغارا لم يبلغوا يومئذ الخامسة عشرة من عمرهم ، فردهم الرسول ردا رقيقا ٠

لقد جاؤوه يودون لو يأذن لهم بمرافقة العسكر الإسلامى فيكون لهم شرف الجهاد إلى جانب جند الرحمن ٠

لم يغضبوا لأن الرسول الكريم لم يردهم إلا استصغارا لسنهم ، وما كان لهم إذ ذاك إلا أن يطيعوه ، وتطلعوا إلى يوم آخر آغر حين يبلغون السن التى حددها النبى ، وإذ ذاك يحققون آمنيتهم الغالية ٠

ونظر بعضهم إلى بعض آسفين ، وكانت قلوبهم الطيبة النضرة تدعو للمجاهدين بالنصر ، ولكن غلاما من هؤلاء

الغلمان ـ وهو رافع بن خديج ـ أخو بني حارثة ـ جعل يشب على قدميه وفيهما خفان ، ويقف على أطراف أصابعه ، وجاء أحد الصحابة إلى النبى وقال له : « يا رسول الله إن رافع بن خديج رام ، فاختبره يا رسول الله » ، فاختبره عليه الصلاة والسلام فوجده كما وصفه هذا الصحابى الذى كان يزكيه عند النبى الهادى ، فأجازه صلوات الله وسلامه عليه ، وأذن له بمصاحبة العسكر الاسلامى .

ودبت النشوة فى أعطاف الصبى الحدث رافع بن خديج، وحسده على ذلك من لم يؤذن لهم بالانخراط فى صفوف المحاربين المجاهدين .

ورأى ذلك سمرة بن جندب ، وود لو أنه أجيز كما أجيز رافع .

وتلفت سمرة حوله فرأى ربيبه «مرّى بن سنان» فجاءه وقال له : « يا أبه .. أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردنى ... وأنا يا أبه أصرع رافعا » .

●●●

كان مرى يعرف صدق سمرة فيما قال ، فقد كفله طفلا ورباه أحسن تربية ، وعلمه اللعب بالسيف والرمى بالرمح، فأجاد الرمى والمصارعة ، فكان قوى العود « يصرع الأيّد الشديد » إن عرض له ، ويقهر من يباريه فى هذه الألعاب .

وجاء مرى إلى النبى عليه الصلاة والسلام وقال له : « يا رسول الله رددت إبنى وأجزت رافع بن خديج .. وإن إبنى سمرة ليصرعه » .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يعرف فى مرى الصدق وقول الحق وهو ما يعرفه فى بقية الصحابة من أنهم لا يقولون إلا صدقا ، ولا يخبرون إلا حقا ، فالتفت إلى الغلامين سمرة ورافع وقال لهما : « تصارعا » فتصارعا فصرع سمرة رافعا، فأجازه النبى كما أجاز لرافع من قبل .

وتحققت آمنية الغلام سمرة .

وقال البعض إنه جاء إلى الرسول الكريم حين رده وحين أجاز رافعا وقال له : «لقد أجزت هذا يارسول الله ورددتني، ولو انى صارعته لصرعته » .

فقال له عليه الصلاة والسلام « ... فدونكه » .

وكان الامر كما قال سمرة ... صارع رافعا فصرعه فأجازه القائد الملهم .

وقد اختلفت طرق الرواية في هذا الخبر إلا انها تصب في رافد واحد هو آن سمرة بن جندب كان منذ نعومة أظفاره فتى يبشر بغد مشرق مرموق في مسيرة الحياة ، فتم له ذلك بإذن الله وبهداية الهادي البشير .

●●●

وصفق فؤاد سمرة في صدره فرحا ، وملأته الغبطة ، فها هو ذا في صفوف الرجال بشهادة النبي عليه الصلاة والسلام ... وها هو ذا قد أذن له أن يحارب إلى جانب الشيوخ ، وآن يقاتل فرسان قريش وأبطالها الصيد، وكماتها المغاوير . وبقيت ذكرى هذا اليوم حية في ذاكرته لا تبلى جدتها الأيام ، ولا تطمسها الأحداث وهي جسام، ولا تنسيه اياها الأفراح ولا الأحزان ، وقدآلى على نفسه منذ تلك اللحظة إلا آن يكون سيفا مسلولا من سيوف الله على عداة الله والدين والنبي فكان له ما أراد ... وكان في سمرة خير كبير للإسلام والمسلمين ، وفوز للدعوة الإسلامية المباركة .

وخرج المسلمون إلى أحد ، وشهدها سمرة معهم .

وأحسن الفتى سمرة موقفه في ذلك اليوم رغم صغر سنه .

وأثنى التاريخ على بطولته الثناء العطر فقد جاهد يومئذ رجالا هم مساعير حرب وأبطال كريهة ، فشدهتهم بطولته ، وأعجبتهم شجاعته ، وهم وإن كانوا كارهين للمسلمين وكانوا كارهين كذلك لسمرة مسلما إلا أنهم أكبروه محاربا ٠

●●●

لئن كان سَمُرَة لا يزال فتى لم يطر شاربه ، وصغيرا فى ميعة الصبا إلا أنه بزَّ أو ساوى ــ من هم أكبر سنا منه ، وأمرسهم بفن الحرب والضرب بالسيف والنزال ٠

ولقد أحسن سمرة الجهاد فى ذلك اليوم لأنه كان من تلاميذ مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ٠٠ وإنها لمدرسة كان الخريجون فيها مشكاة نور وهداية للعالم فى أمد قصير ، فمشت مواكب الحق والفتح المبين بهم أنى مشوا ، ولم يعد النصر يعرف سواهم له رفيقا ، فكانوا أعلاما ، وكانوا غرة فى جبين الدنيا ، ونبراسا يهدى العالمين إذا أدلجوا ، فقد نبذوا الضلالة ، وأرادوا الآخرة ، وسعوا إلى رحمة ربهم ، فأكرمهم التاريخ ٠

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

صدق الله العظيم

إن اللحظة التى أجاز فيها النبى ﷺ لسمرة بن جندب وضعت صحابينا الصحابى البرعم على أول طريق العظمة والجهاد فى سبيل الله ٠

وكان ما جرى يوم العرض تجربة عمقت الإسلام فى قلبه ، وثبتت الطاعة لرسول الله فى فؤاده ، وزرعت الرغبة الكريمة الصادقة فى أن تكون راية الإسلام عالية خفاقة ، فكان له من ذلك تاريخ ، وكانت له صحبة كريمة ٠

وشارك سمرة بن جندب منذ هذه اللحظة فى المشاهد التى شارك فيها الصادق الأمين ٠

كان سمرة على زمن النبى ــ كما رأينا ــ غلاما صغيرا لكنه حفظ عنه الكثير ، وإنه ليخشى أن يظن به أحد الظن او يقال إن صغر سنه كان يمنعه من أن يعى عن النبى أو يحدث، فكان يقول وهو صادق فيما يقول :

« لقد كنت على عهد الرسول ﷺ غلاما ، وكنت أحفظ عنه ، وما يمنعنى من القول إلا أنّ ها هنا رجالا هم أسَن منى .

« ولقد صليت مع رسول الله ﷺ على امرأة ماتت فى نفاسها فقام عليها فى الصلاة » .

وها نحن ذا اليوم بعد أربعة عشر قرنا من الزمان نقول له وقد سمعنا الذى قاله وحفظه لنا المؤرخون :

« صدقت يا سمرة فقد كنت حافظا عن رسول الله ﷺ ... وما كان يمنعك من التحديث بما سمعت إلاّ أدب تأدبت به ، فيه احترام لذوى السن ، وتقديم لهم » .

وتمر الأيام ، ولا تسجل لسمرة إلاّ كل ما فيه الخير والبركة والفلاح .

وكان سمرة شديد الملازمة لمن صُحبتَه نعمة . كما كان كثير الحضور لمجالسه ، وأتاح له ذلك أن يحفظ كثيرا من أحاديثه الشريفة ، ولكن قلّ أن كان يحدث بها ، وكان إحجامه عن ذلك ــ كما رأينا ــ راجعا لتوقيره رجالا من الصحابة كانوا أسن منه ، فهم عنده مقدمون عليه إن كان المقام مقام تحديث .

وقد أثر عنه كثير من الأحاديث الشريفة ، حتى قيل فيه إنه « كان من الحفاظ والمحدثين المكثرين » ، نقل ذلك ابن عبد البر عن رجال ثقات سبقوه ، ووردت له فى الكتب الصحاح أحاديث حسنة وصحيحة كان هو راويها .

إن رواية الحديث تتطلب شروطا معينة جمة ، ولم يكن الحديث يرويه هو أو غيره يؤخذ بيُسر ، وإنما ينظر فيه

المحدثون والحفاظ ويمحصونه تمحيصا دقيقا ، وينقدونه نقد الصيرفى الحاذق ، فإن وجدوا فيه مغمزا ـ ولو تافها ـ ردوه ورفضوه .

وعرف الحفاظ والرواة سمرة بن جندب صادقا فى روايته للحديث الشريف ، متحريا الصدق فيما يرويه ، وهذا هو الحسن البصرى ـ وهو من هو فى ورعه وعلمه وتقواه وحفظه للأحاديث الصحيحة يقول :

« تذاكر سمرة وعمران بن حصين ، فذكر سمرة أنه حفظ عن رسول الله ﷺ وسلم سكنتين : سكنة إذا كبَّر وسكنة إذا فرغ من قراءة « ولا الضالين » . فأنكر ذلك عمران بن حصين وقال : حفظنا سكنة واحدة » ، فسكتوا إلى أن أتوا إلى أبى بن كعب بالمدينة فكان فى جواب أبى : « إن سمرة قد صدق وحفظ » .

وهكذا قطعت جهيزة قول كل خطيب إذ قال أبى ما قال ... وإذا قال أبى فليس من أحد يحاجه أو يجادله لا سيما فيما أثر عن رسول الرحمة ونبى الأمة .

●●●

ولقد أجمع الصادقون فى الرواية ، الناقدون لكل ما يسمعون من الحديث الشريف ، على مكانة سمرة فى الرواية الصحيحة ، حتى قال أعلم علماء البصرة فى زمنه وهو محمد بن سيرين : « كان سمرة فيما علمت عظيم الأمانة ، صدوق الحديث ، يحب الإسلام وأهله » .

وصدق ابن سيرين فهذه شهادة حق أخرى تدل على مكانة سَمُرة بن جندب .

وكان الجميع يدركون هذه المكانة ، فهو إن حدث صدق، وإن ولى أمرا أحسن الولاية ، وإن قضى فبالعدل ، وإن سئل عما لا يعرف أمسك عن الرد .

●★●

وكان زياد بن ابيه يستعمله على الكوفة ستة أشهر وعلى البصرة مثلها ، ولذلك قالوا إنه لما سكن البصرة كان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة ، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة ، وكان يكون فى كل منهما ستة أشهر » .

وقال ابن شبة إن زيادا كان يستعين بعدة من أصحاب النبى ﷺ كعمران بن الحصين الخزامى وأنس بن مالك والحكم بن عمرو الغفارى وسمرة بن جندب .

●●●

وكان سمرة معدودا فى البصرة من رجالها الثقات البارزين فى رواية الأحاديث ، وكانت البصرة يومذاك تموج بالفقهاء والحفاظ والمحدثين وأهل اللغة ، لا يسمع هؤلاء على اختلاف تخصصاتهم حديثا أو رواية إلا وكانوا فيها ناظرين نظر الحاذق العالم ، ولكنهم كلهم أجمعوا على أن سمرة محدث لا تغمز قناته ولا تجرح روايته ، وحسبه هذا من ثناء لا ينسى وإن طال الزمن ، وحسبه هذا من فضل يبقى بقاء الدهر لا تبليه الأيام ، ولا تنال منه السنون ، ولا يطويه مر القرون ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

●●●

وعاش سمرة ما عاش مما قدره الله له عز وجل .

ولقد شكى فى أخريات أيامه «الكزاز» الناشىء عن شدة البرد ، فأجهده هذا الداء وأعياه ، لكنه لم يمنعه من أن يكون ذاكرا لله على كل حال .

وكان يتداوى من الكزاز بالقعود على قدر به ماء حار .

ثم جاء يوم من الأيام وقد اشتد به الألم وضعفت قواه فسقط فى القدر الحار يغلى به الماء ، فمات يرحمه الله .

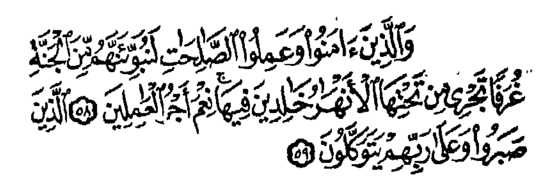
وكانت وفاته بالبصرة سنة ثمان وخمسين في خلافة معاوية بن أبى سفيان .

مات الرجل الذى كان يتوثب لمحاربة الكفار وقتال المشركين منذ أن كان صبيا .

مات الرجل الذى كان يرى الجهاد مع رسول الله ﷺ غنيمة ونعمة لا يجزاها إلا الشاكرون .

مات المحدث الذى حفظ كثيرا من الأحاديث الشريفة وتعدد رواته ، وكثر الآخذون عنه ، وفيهم الصحابى والتابع .

مات سمرة بن جندب المؤمن التقى الورع الذى عرفته البصرة نزيلا بها ، وواليا عليها ، ومحدثا بها . فرحمه الله بقدر علمه وجهاده وصحبته .


وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

صدق الله العظيم

سهل بن الحنظلية

رجل صلاة وتسبيح وتكبير

سهل بن الحنظلية صحابى أنصارى أوسى حارثى ·

شهد مع الرسول عليه الصلاة والسلام أحدا فكانت أولى مشاهده معه ، ثم تتابعت مرات اشتراكه فى المشاهد التى خرج فيها ، وكانت له عنه أخبار هى جزء من تاريخ هذه الفترة من عصر صدر الإسلام ، يوم أقيمت أول دولة أسست على الخير والشرع ، وكانت لها من النظم ما تستقيم به الحياة لمن أراد الحياة حرة كريمة ·

والحنظلية هى أم سهل ، ويكاد ينطبق الإجماع على ذلك ، وإن قال بعض المؤرخين غير هذا ، فنرى رجالا من هذا البعض يقولون إن الحنظلية هى جدته ، ونرى آخرين يقولون بل هى أم جده ، ولكننا مع القائلين بأنها أمه ·

وقد يقول قائل : ما لنا ننسبه إلى أمه مادام ثم اختلاف فيمن تكون هذه « الحنظلية » ؟ ، وما لنا نخرج على سمت المألوف فنتجاهل آباه ؟

ولكن لا يغضبن هذا المعترض فإن أراد أن ننسبه من جهة الأب قلنا هو : « سهل بن الربيع بن عمرو بن عدى » ، وهذا أقرب ما يدعى به من جهة الأب الذى أكثر المؤرخون وكتاب السير فى أسمائه واختلفوا اختلافا بيّنا يقف المرء حياله مذهولا مشدوها ، فهو عند بعضهم « الربيع » وعند غيرهم « عبيد » ، ويقول آخرون بل اسمه « عقيب » ·

فهل رأيت تباينا كهذا التباين فى اسم أحد كما فى إسم صاحبنا ؟

وكم يصادف المؤرخون والناظرون فى سير بعض الصحابة مثل هذه المفارقات فى أمور ما كان يجوز أن يكون فيها اختلاف ، ولكنه اختلاف يدفعنا لتأييد ما نقوله من وجوب النظر فى التاريخ وأحداثه ، وإعادة التبصر فيه حتى يمكن تنقيته من روايات قد تحمل القارىء على الانصراف عن النظر فيه ومطالعته رغم دسامته ٠

ونعود فنقول إن الأصح أن يقال فى أبيه إن اسمه « الربيع » ، ذلك أن أخا لسهيل من أمه وأبيه كان يسمى بعقبة بن الربيع وكان صحابيا معروفا ، كما كان يقال له أيضا « ابن الحنظلية » ، وهكذا نرى الاختلاف فى اسم أبيه واسم أمه ، لكن هذا الاختلاف لا يشجب أن سهلا كان صحابيا لازم الرسول الكريم وأكثر من الرواية عنه ٠

وتزخر كثير من الكتب الموثوق بها بكثير من الأحاديث التى رواها ابن الحنظلية وعدها علماء هذا الفن صحيحة فلم يجرحوه فيما روى ولا فيما أخبر به عن الصادق الأمين ، وكيف لأحد أن يغمزه فيما روى ؟ ، ومن ذا الذى يمكنه أن يشكك فيما حدث به وهو الذى كان شديد التمسك بالإسلام ، دقيقا فيما يخبر به ، فإن خالجه شك فى حديث أمسك عنه ، أو خامرته ريبة فى خبر لم يخض فيه ٠

●●●

وقد أسلم سهل بن الحنظلية قديما ، وهو من بنى حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس ٠

وبنو الحارث ــ كما نعرف ــ قديمو عهد بالإسلام ، وكان سهل واحدا منهم ٠

وكان من بنى الحارث أيضا رجال هم فى الذروة فى الطاعة للرسول ، وهم مثل كريمة لمن يعرف الطاعة ويرومها ٠

ثم إنهم أهل فضل وجود ، وكان الكرم طبيعة ركبت فيهم .

أليس منهم عرابة بن أوس بن قيظى الذى رده النبى عليه الصلاة والسلام يوم أحد فى نفر آخرين فى مثل عمره إذ كانوا صغارا ؟

ثم أليس عرابة هذا ـ وقد تقدم به العمر ـ هو الذى ضرب بسهم وافر في الجود والعفو ، فكان جوادا ممدحا مبسوط الكف حتى قال فيه الشاعر عن حق :

رأيت عرابة الأوسى يسمو الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ثم أليس من رهط سهل بن الحنظلية : أبو عبس بن عمرو ، أحد رجال النفر الذين لهم ذكر وخبر لا ينسى فى هلاك كعب بن الأشرف إذ حاول كعب إثارة الفتنة ضد النبى والإسلام فقال فيه أحد الصحابة ممن شاركوا فى هذا الأمر :

فعانقه ابن مسلمة المرادى به الكفار كالليث الهزير

وشد بسيفه صلتا عليه فقطره أبو عبس بن جبر

هذان رجلان من كثير من الرجال الأمجاد من آل صاحبنا الصحابى سهل بن الحنظلية ، فإذا كان الفخر بأعمال القوم فى سبيل الجهاد والملة سمعنا ابن الحنظلية ينشد «أولئك أهلى ورهطى فجئنى بمثلهم » .

وإذا كان التفاخر بالجود والكرم قال سهل : « حدث عنا ولا تخش لوما ولا حرجا » .

لقد أسلم سهل بن الحنظلية وهذا من الأمور التى لا يجادل فيها أحد ··· ولكن متى كان إسلامه ؟ · ذلك ذلك مالا نعرفه بالدقة ، بيد أن أكبر الظن أنه أسلم وقت أن هدى الله اكثر أهل يثرب إلى الحنيفية السمحة ·

ولازم سهل عمود الدين ، وكان قلبه ينطوى على حب عميق للنبى ﷺ وإكبار له ، ومن ثم شارك فى احداث فترة صدر الإسلام بالمدينة ، حتى قالوا فيه « إنه شهد أحدا وما بعدها » ·

وجالد الكفار فى يوم أحد جلادا حمل فيه روحه على كفه فوهبه الله الحياة ، ثم أثخنته جراحه كما أثخنت من استشهد ومن ظل حيا ··· وهل عاد احد من احد إلا وبه جراحات تشهد بشدة وطأة الكفار على المسلمين بعد أن زايل أكثر الرماة المسلمين مواضعهم وخرجوا على أمر النبى الملهم والقائد العظيم ؟

وهل عاد أحد من أحد إلا وهو ثقيل الخطى يجر نفسه جرا من جراحه ؟ حتى أن رسول الله ﷺ أصابته جراح أدمت وجهه الطاهر ، ودخل المدينة المنورة مرهقا وهو القوى الأيد؟

وخرج سهل بن الحنظلية من أحد التى كانت اختبارا مريرا مليئا بالعظة والعبرة · وأدرك أن طاعة رسول الله هى الفلاح ، وأما من تولى عنها فعليه الخسران المبين ، ولقد صدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول فى محكم كتابه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

صدق الله العظيم

وأطاع ابن الحنظلية الله إذ أطاع الرسول عليه الصلاة والسلام ·

وكان له فى أحـد عبرة ، فازداد إيمانه بالله وبالرسـول ، وازداد الإسلام رسوخا فى قلبه .

وازداد هو إصرارا على مهاجمة الشرك ومحاربة الكفر، فلم يفته مشهد من المشاهد التى شارك فيها نبى الأمة إلا شارك فيه حتى رفع الله إليه رسوله المجتبى .

ثم كان الاختبار العظيم له ولمن آمن يوم خيف على ذى النورين عثمان بن عفان ان تكون قريش قد اغتالته، حين اراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبعث إليها من يخبرها أنه جاء يريد العمرة ولم يأت باغيا الحرب ولا القتال ، فأراد أن يبعث عمر بن الخطاب فخاف عمر قريشا على نفسه ولكن دله على « رجل أعز منه فيهم » وهو عثمان بن عفان ، فلما ذهب عثمان إليهم استبقته قريش طويلا عندها لا لشر تريده به ، فلما طال حجزه عندها بضعة أيام جرت الشائعة أنها قتلته، فقال المختار صلوات الله وسلامه عليه : « لا نبرح حتى نناجز القوم!!»، ثم دعى أصحابه الغر الميامين إلى البيعة وفيهم سهل ابن الحنظلية ، فبادروا إليها سراعا وهم يعلمون أنهم مبايعون على الموت فلم يجزعوا ، وعند الشدائد تعرف معادن الرجال .

وكانت بيعة الرضوان هذه بيعة الإسلام الكبرى .

وبايع سهل بن الحنظلية على الموت وعلى ألا يفر .

وكان موقع الذين بايعوا يومئذ عظيما عنـد الله فرضى عنهم اذ علم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٠)

● ● ●

كان سهل بن الحنظلية إذا فرغ من محاربة المشركين انفلت إلى مجلس رسول الله ﷺ يستمع إليه فيمتع نفسه بما سمع ، ثم يحدث بما سمعته أذناه ورأته عيناه ، وبما هداه إليه رشده من أعمال من ترجى شفاعته ، ويقتدى بسنته السمحاء ، والذى منه الخير كل الخير ، والهدى كل الهدى .

وكان سهل إذا فرغ من ذلك أقبل على الأعمال التى تتيح له الحياة الشريفة التى لا يكون هو فيها كلا على غيره ... حتى إذا كان اليوم يوم هوازن رافق حنظلة النبى ، وأنه ليحدث ــ كما حدث غير واحد سواه ــ ممن شاركوا فى هذا اليوم ببعض خبر ذلك اليوم وتلك المسيرة ، فيقول قائلهم : « سرنا مع النبى ﷺ فى غزوة هوازن فأسرع السير حتى أتاه رجل فقال له : « يا رسول الله : قد تقطع من وراءك » فنزل النبى عليه الصلاة والسلام وطوى إليه الناس فأمرهم بالنزول فنزلوا ، ثم جاءه فارس فقال : « يا رسول الله إنى انطلقت من بين أيديكم على جبل كذا وكذا ، فإذا بهوازن على بكرة أبيها ، بظعنها ونسائها ونَعَمِها فى وادى حنين » ، فتبسم النبى عليه الصلاة والسلام وقال : « تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله » .

ثم يتابع سهل بن الحنظلية الحديث عما كان بعدئذ فيقول : « ثم قال رسول الله ﷺ : الا فارس يحرسنا الليلة ؟ » فأقبل أنيس (بالتصغير) بن أبى مرثد الغنَوى على فرسه وقال : ها أنا ذا يا رسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام : إنطلق حتى تقف على جبل كذا وكذا ، فلا تنزلن إلا مصليا أو قاضي حاجة ، ولا تغرن من خلفك » ، وأطاع الصحابى الكريم أمر الرسول عليه الصلاة والسلام .

ثم يحدث سهل بن الحنظلية بما كان بعد ذلك وهو إلى جانب رسول الله ﷺ وفى ركابه ، واليوم خطير ، والمشركون كُثر ، وهم فى حقد على الإسلام والمسلمين وقد أحفظهم ما أصابه جند الرحمن من نصر عظيم .

وقال صاحبنا ابن الحنظلية بعد أن ذكر ما كان من استعداد أنيس بن أبى مرثد الغنوى لحراسة المسلمين يومئذ فقال : « وبتنا حتى اضاء الفجر وحضرنا الصلاة ، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال : أأحسستم فارسكم الليلة ؟ ٠

« ثم أقيمت الصلاة وصلى بنا ، فلما سلم رأيته عليه الصلاة والسلام ينظر خلل الشجر وقال : أبشروا : قد جاءكم فارسكم ! » ٠

وجاء أنيس بن أبى مرثد فقال : « يا رسول الله ، إنى وقفت على الجبل كما أمرتني ، فلم أنزل عن فرسى إلا مصليا أو قاضى حاجة حتى أصبحت فلم أحس أحدا » ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « انطلق فأنزل عن فرسك وأقبل علينا » ، ثم قال : « ما على هذا « يقصد أبا مرثد) ألا يعمل بعد هذا عملا » ٠

هذا ما رواه وحدث به وشاهده سهل بن الحنظلية وغيره ٠

لقد حدث بخبر سكتت عنه المراجع ، لكنه خبر يفصل بعض ما كان فى يوم هوازن من هوازن ، وما كان فى القيادة النبوية الحكيمة من حكمة عالية غالية ٠

ثم هو يحدث بما كان من تقدير النبى عليه الصلاة والسلام لعمل أنيس فيعده عملا عظيم الشأن فى فضله على المسلمين ، وما عليه من لوم أو عتاب إن لم يقم بعد ذلك بعمل أبدا ، فحسبه ما عمل من عمل صان به حياة المسلمين وحفظها عليهم فجزاه الله خيرا ٠

أما نحن الذين نكتب تاريخ هذا اليوم البعيد بعد أربعة أربعة عشر قرنا من الزمان فنستطيع أن نوضح جانبا من صورته وأحداثه بما ساقه ابن الحنظلية فتكتمل صورة هذا اليوم فى ذهن القارىء ٠

●●●

ان الوقوف مع ابن الحنظلية متعة للروح اذ يهدهدها بأحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، ويقص علينا من أخبار غاب عنها البعض ، أما هو فكان حاضرها فوعاها وحدث بها فاكتملت الصورة التاريخية ، ولولا ما ذكره عنها لظلت ناقصة .

كما أنه أسعدنا بما رواه من أخبار صادقة جديدة عن بعض ما كان فى يوم هوازن هذا ، وهو من الأيام الفاصلة فى تاريخ الإسلام .

● ● ●

وقد كانت لسهل بن الحنظلية صحبة ، وكان هو فى الصحبة عظيما ، كما كان فى الرواية صادقا . وقال الذين عرفوه إنه كان رجلا فاضلا ، ونعتوه « بالفضل » فلم يبالغوا ولم يجاوزوا ما كان هو عليه .

وكان سهل بن الحنظلية يعيش إبّان حياة الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة ، فلما رفع إلى الرفيق الأعلى عاش فى الشام .

وكان ـ أنّى كان ـ كلما وجد وقتا يمم وجهه شطر المسجد ، يعكف على الصلاة وهى زاد القلب وراحته والتى كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ، وكانت كبيرة إلا على الخاشعين :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

صدق الله العظيم

● ● ●

ويزيد الذين عرفوا سهل بن الحنظلية على ما وصفوه به من كثرة الصلاة من أنه « كان إذا انصرف من المسجد لا يزال ذاكرا من تسبيح وتهليل حتى يأتى أهله » .

ولقد جمع أمير المؤمنين فى الحديث الشيخ ابن حجر العسقلانى ما قيل فيه وعنه فى هذا الصدد ، ثم أجمل ذلك فى عبارة جامعة قال فيها « كان ابن الحنظلية رجلا متوحدا ، قلما يجالس الناس ، إنما هو صلاة ، فإذا فرغ فإنما هو تسبيح وتكبير حتى يأتى أهله » .

●●●

وأثر عن سهل بن الحنظلية اعتزاله الناس إلا من حديث يسعى لسماعه ، أو عظة يعظ بها لعل قلوبا ترق وتلين ، أو صلاة فى المسجد الذى كان يكثر من ملازمته ، وكان إذا لحقته الصلاة وهو فى الطريق أقامها ، فإن وجد من يشاركه فنعم الأمر ، فإن يكن وحده أو انقطع السابلة فكون الله أكبر ، وكل شىء يسبح لرب العرش المجيد ويمجده .

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

صدق الله العظيم

●●●

وكان سهل مبجلا معظما ، يعرف الجميع عنه ذلك . حدثوا أنه مر ذات يوم بأبى الدرداء والناس عنده فقال له أبو الدرداء : « قل كلمة تنفعنا ولا تضرنا يا سهل » ، فقال ابن الحنظلية : « قال رسول الله ﷺ : المنفق على الخيل فى سبيل الله كالباسط يديه بالصدقة لا يقبضها » .

وصدق رسول الله ﷺ ، وصدق الحق تبارك وتعالى اذ يقول :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾

صدق الله العظيم

وكان الناس يعرفون أن عند ابن الحنظلية الكثير من أخبار الخيل، وإنه يحفظ عن النبى فيها ما ربما فات الكثيرين، فقد ذكروا أنه عرضت خيل على معاوية فسأل سهلا عما سمعه من النبى عليه الصلاة والسلام فيها فقال : « سمعته ﷺ يقول : الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، وصاحبها مُعان عليها ، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها » .

وكان سهل يحدث فى مسجد دمشق فرآه مولى لمعاوية بن أبى سفيان ، ومعاوية يومئذ خليفة المسلمين فوصفه له بقوله :

« هجَّرتُ يوم الجمعة فى مسجد دمشق فرأيت رجلا بين الناس يحدثهم ، فاطلعت فإذا هو شيخ مصفر اللحية ، فقيل لى هذا سهل بن الحنظلية ... هذا صاحب رسول الله ﷺ » .

● ● ●

وكان سهل دائم الترداد لحديث شريف يقول : « ما اجتمع قوم على ذكر فتفرقوا عنه إلا قيل لهم : قوموا مغفورا لكم » .

ولم يرزق ابن الحنظلية ولدا فكان ذلك يوجعه ولكن هذا قدره .

وقد حدث أحدهم ممن عرفوه وصحبوه فقال فى هذا الصدد « كان سهل بن الحنظلية لا يولد له ولد ، فكان يقول

لى : لأن يكون لى سقط فى الإسلام لأحب إلى مما طلعت عليه الشمس » .

ألا إنها نفثة مصدور راض بمشيئة الله سبحانه وتعالى .

● ● ●

هكذا كانت حياة الصحابى سهل بن الحنظلية الذى مات بالشام فى خلافة معاوية .

وجماع القول فى سهل بن الحنظلية أنه كان أمة فى زهده ونسكه وورعه وصلاته وتعبده .

وكان يعمل بيديه ويعلم ويحدث .

فرحمه الله بقدر ما خدم الحديث وأفشاه .

ورحمه الله صحابيا لازم النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا يؤثر على هذه الصحبة شيئا .

ورحمه الله محاربا مجاهداً فى سبيل الله .

وليكن له من صلاته وورعه يوم القيامة نور بين يديه .

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

صدق الله العظيم

عامر بن عبد قيس

راهب هذه الأمة وأعبد أهل زمانه

نحن هنا مع رجل قيل في صفته إنه أحد المخضرمين ، سمع بالإسلام في جاهليته فأسلم فكان من أشد الناس حرصا عليه وتمسكا بعموده ، ساعيا في العمل على إفشائه والدعوة إليه ، وإظهار ما بَينَه وبين الجاهلية من هوة سحيقة ما لها من قرار ، ذلك هو :

عامر بن عبد قيس العنبرى

وقد يقال له « بن ثابت » و ابن « ناشب » ، وما أحسب هذا إلا من تصحيف الكتاب والنساخ فى القديم ، وإن كنا لا ندرى بأيها نأخذ فليس بواحد من تلك الأقوال بواجد ما يزكيه تزكية ترجحه على سواه ٠

وهو من بنى العنبر بن عمرو ، ولذلك يقال له عامر العنبرى التميمى ٠ وكان يكنى بأبى « عبد الله » ، وقال بعضهم بل كنيته « أبو عمرو البصرى » ٠ وهذه الاختلافات تلقى ظلالا كبيرة على بعض ما يرد فى الكتب العربية ، وتعترض المؤرخ اليوم فيحتار وقد يضل ، ومن هنا كان الواجب أن ينظر فى المصادر نظرة جديدة ، وأن تصحح بأيد خبيرة بالتاريخ الإسلامى لعلنا نصل إلي الحقيقة أو ما يقاربها ٠

وسواء أكان يكنى بأبى عبد الله أو بأبى عمرو ، وسواء أكان يدعى بابن ثابت أم بابن ناشب فلا جدال فى أن صاحبنا عامر بن عبد قيس كان من الزهاد وإن لم يبلغ به الزهد حدا يدرج به فى عداد كبار أهله أو الصوفية ، كما لم يمنع هذا الأمر قوما من أن يقولوا فيه إنه كان أعبد أهل زمانه وأشدهم اجتهادا ، وهذا أسلوب من التفضيل جرى عليه الكثيرون من الكتاب أو الروايات فى تناولهم الأشخاص والأحداث .

لكن صدق الناس فيما وصفوه به صدقا كبيرا ، وربما لم يذهبوا بعيدا فقد كان عامر بن عبد قيس آية فى الزهد والتقشف والانصراف عن كثير من متاع الدنيا، ذلك لأنه كان يرى متاعها قليلا ، وأن الآخرة خير لمن اتقى .

وقد عرفه الناس زاهدا ورعا منصرفا عنهم إلا لنصيحة يزجيها إليهم حتى ولو كانت مرة يصعب استساغها، وإلا لمقالة رشد يلقيها عليهم ثم يمضى مطمئنا مرتاح النفس انه بلغ الحق ، لا تمنعه مكانة من يلقيها إليه من ان يكف عن إزجاء النصح إليه ، ولسان حاله يقول : « اللهم هل بلغت ... اللهم فاشهد !! » . ويشهد الله والناس أنه محض سامعيه النصح ... غضب الناس وسامعوه أم رضوا .

وماذا يضيره إن غضب الناس منه فإن أكثر الناس كارهون للنصح حتى ولو كان فيه الخير لهم ، وقديما كره الناس أن ينصحهم نبى الله صالح (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) .

ولقد حدثوا عن صاحبنا عامر بن عبد قيس فيما حدثوا أن ناسا من المسلمين ذوى مشرب خاص اجتمعوا يتذاكرون فيما بينهم أعمال الخليفة الراشد عثمان بن عفان وما صنع، فلم يرقهم بعض الذى صنع ، فأجمعوا الرأى على أن يكون رسولهم إليه رجلا عاقلا له قدره ومنزلته ، وله فى الفضل

غيره ، إن عورض فى مثل هذا الموقف كان فى فضله بينهم بأعلى مناط العقد ، فقر الرأى منهم على أن يبعثوا إليه من لا يرهب أن يجابهه بما يرى انه الحق ، وقد يسوءه ما يقوله له ، فاتفقوا على آن يكون رسولهم إليه صاحبنا عامر بن قيس ويا نعم من اختاروه ، فهو « ثقة أمين قد سبق الكثيرين بالفضل » كما قال قائلهم ، ثم انه سلم ليس له هوى إلا ما يعتقد أن فيه خير الدين ، وإلا كلمة الحق يقولها ويتوكل على الله رب العالمين ٠

واستجاب لهم عامر بن عبد قيس ، فالنصيحة واجبة على المسلم لأخيه المسلم ٠

ودخل عامر بن عبد قيس على الخليفة ذى النورين التقى الورع المجاهد وقال له : « إن ناسا من المسلمين اجتمعوا يا عثمان فنظروا فى أعمالك فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما ٠٠ فاتق الله عز وجل وتب إليه وانزع عنها » ٠

ولما فرغ عامر بن عبد قيس مما حمل من القول قسا عليه عثمان فى الرد ، وكان مما قاله له : « انه (أى عامر) ما يدرى أين الله !!»، فاغتاظ عامر من هذا القول ورد عليه ردا شديدا إذ قال :

« أنا لا أدرى أين الله يا عثمان ؟٠٠٠ والله إنى لأدرى أن الله لك بالمرصاد !! » ٠

كانت هذه عبارات شديدة اللهجة ، ولكنه قالها ، وكان الحوار عنيفا بين الرجلين المؤمنين : ذى النورين وعامر بن قيس ، عليهما رحمة الله ٠

●●●

وجاء فى الأخبار عن عامر بن عبد قيس هذا أن بعضا من الناس سعوا به عند الخليفة عثمان وقالوا فيه إنه لا يأكل اللحم ولا يتزوج ، وأنه يطعن على الأئمة ولا يشهد الجمعة ٠

فسيرة عثمان رضى الله عنه إلى معاوية بالشام وأعلمه بخبره ٠

فلما قدم على ابن أبى سفيان وافاه وعنده ثريد ، فأكل منه عامر آكلا غريبا ، قيل : فعلم معاوية ان الرجل مكذوب عليه ، فقال له معاوية : « يا هذا : أتدرى فيما أخرجت ؟ » قال : «لا»، قال «بلغ الخليفة انك لا تأكل اللحم ولقد رأيتك تأكله ٠٠ وبلغه أنك لا ترى التزويج ، ولا تشهد الجمعة » ٠

فأجابه عامر : « فأما الجمعة فإنى أشـهدها فى مؤخر المسجد ، ثم أرجع فى أوائل الناس ٠

« وأما اللحم فقد رأيت أنت ، ولكنى ، رأيت يا معاوية قصابا يجر الشاة ليذبحها وهو يقول النفاق حتى ذبحها ولم يذكر اسم الله عليها ٠٠٠ فإذا اشتهيت اللحم ذبحت الشـاة وأكلتها ٠٠٠

« وأما التزويج فقد خرجت وأنا يخطب على » ٠

فلما سمع معاوية منه ما سمع ، وعاين منه ما عاين أيقن أن الرجل مظلوم فيما أشاعوه عنه ، فقال له وهو يصرفه : « إرجع إلى بلدك » ، فقال له عامر : « والله لا ارجع إلى بلد استحل أهله مني ما استحلوا ٠٠٠ ولكنى أقيم بهـذا البلد الذى اختاره الله !! » ، فتركه معاوية يقيم حيث اختار فأقام عامر بن عبد قيس فى دمشق ما شاء الله له أن يقيم ٠

ثم قيل عنه إنه كان يبدى الضجر ، والناس يتساءلون ما خطبه ؟ وفيما ضجره ؟ ، وترامى إلى سمع معاوية ما يرجف الناس به ، فكان يكثر هوالآخر من سؤاله وهو مقيم بالسواحل ويقول له : ما حاجتك يا ابن عبـد قيس ؟ فيجيبه : مالى حاجة !! » ٠

وكثر إلحاح معاوية عليه حتى ضجر صاحبنا عامر بن عبد قيس ، وأدرك أن معاوية غير تاركه أو يقـول له ماذا يضجره ، فلم يجد بدا من أن يذكر له الحقيقة من غير خفـاء

وقال له : « حاجتي يا معاوية ان ترد على حر البصرة فإن بلادكم لا يشتد على الصوم فيها بل يخف » .

كان الذى يقض مضجع عامر هو أنه لا يحس بضراوة الجوع إذا صام فى الشام ، فدمشق بلد طيب ، لكن أين تعب الصيام ... والثواب بقدر المشقة .

أليس فى هذا الكلام القصير الموجز معنى كبير وعبرة لمن إذا صاموا أتخموا بطونهم وأكثروا من الزاد والشراب : ساخنه وبارده ، مسلوقه ومشويه ؟ .. وإذا اشتد الحر تأففوا وقالوا ما يظن معه أنهم كارهون للصوم الذى هو درس فى الرحمة بالفقراء والمساكين .

● ● ●

لقد روى مؤرخو سيرة عامر بن عبد قيس أن ورده كان فى كل يوم ألف ركعة ، وكان يقول لنفسه : « بهذا أمرت .. ولهذا خلقت » ..

وكان يقوم ليله مصليا .

● ● ●

وسألوه ذات مرة « أتحدث نفسك بشيء فى الصلاة يا ابن عبد قيس؟»، فرد عليهم قائلا : «أجل، أحدث نفسى بالوقوف بين يدى الله ... وأحدث نفسى بمنصرفى من بين يديه » .

ولقد أدى ذلك بالناس إلى أن يذهبوا فيه مذاهب بعيدة ، وغالوا فى بعض ما ذكروه عنه وإن كان إعجابهم به هو مرد قولهم ، فقالوا إنه كان قد دعى ربه أن يهون عليه الطهور فى الشتاء فكان يؤتى له بالماء له بخار .

وقالوا : لقد سأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان له ما أراد ، وكان يسأل الله هذا السؤال حتى لا يكون فى قلبه سوى الله ، واستجاب الله له ما أراد إذ دعاه مخلصا .

وكان ابن عبد قيس إذا أخذ عطاءه جعله فى طرف ثوبه فلا يلقاه أحد من المساكين إلا أعطاه ما قدر أن يعطيه له .

وزاد القوم على هذا فقالوا إنه كان إذا دخل بيته بعد إعطائه المساكين ما أعطى رمى بالعطاء إلى أهله فيعدونه فيجدونه سواء ••• والله يربى الصدقات •

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

•••

وكان إذا خرج إلى الجهاد ـ وهو عنده محبب ـ وقف ينظر الناس ويتوسمهم ، فإن رأى رفقة توافقه وترافقه رافقها على شروط يقول لهم عنها :

«أريد أن أصحبكم على ثلاث خلال : أن أكون لكم خادما ، ولا ينازعنى أحد الخدمة ••• وأن أكون مؤذنا ••• وأن أنفق عليكم بقدر طاقتى » •

فإذا قالوا : « رضينا » صحبهم ، وأما إن نازعه أحد من ذلك شيئا فارقهم ولم يرض برفقتهم ، وانصرف عن مصاحبتهم ملتمسا قوما غيرهم يرضون بما يشترط •

•••

قيل : ولما نزلت به منيته وأشرف على الموت استخرط فى البكاء ، وما كان أحد يظن به البكاء ، أو يراه لائقا به وهو فى هذا الموقف بين يدى ربه •

لكن لم يكن بكاؤه حزنا على الحياة ولا خوفا من الموت ، فما من أحد إلا واردها •• فيعجب من حوله مما يرون منه وهو المؤمن فيقول فى غمرة بكائه •

« لمثل هذا المصرع فليعمل العاملون »

« اللهم إنى أستغفرك من تقصيرى وتفريطى •

« وأتوب إليك من جميع ذنوبى . لا إله إلا أنت » .

وظل يردد هذه الأقوال حتى فارقت روحه جسده فسكت لسانه .

● ● ●

وبعد فهذه صورة لهذا الزاهد الورع الذى شارك فى القادسية فضرب المثل الأعلى على أن الزهد والجهاد والعمل شىء واحد .

وهذه صورة الرجل الذى قيل فيه إنه راهب هذه الأمة .

وهذا خبر الرجل الذى دفن ببيت المقدس وكم تحت ثرى القدس من شهداء عرب ومسلمين لو تجمعوا أحياء فى وقت واحد لضاقت بهم فجاج القدس الشريف والشام .

فهنيئا له إخلاصه النصح للناس أجمعين لا يخشى فى إسدائه بطش أحد به .

وهنيئا له سعيه للخير .

ونعم الدار الآخرة مثوى له ولأمثاله المؤمنين .

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

صدق الله العظيم .

سراقة بن عمرو الخزرجي

شهيد مؤتة يوم جهاده الروم

نحن الآن في صحبة صحابي أنصاري نجاري خزرجي . ان انتمى فانما انتماؤه الى بني مازن بن النجار وهم من أكرم بيوت يثرب ، ولهم شرف صاعد في الإسلام ، وجهاد مشكور منذ أن دخل هذا الدين طيبة ، واشتد ساعد الجهاد بهجرة نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة والسلام .

أما هذا الصحابي فنعرفه باسم :

« سراقة بن عمرو بن خنساء بن مبذول »

● ● ●

دخل « سراقة بن عمرو » في عداد المؤمنين واندرج في عداد الصحابة منذ أول ظهور الاسلام في يثرب ، ومنذ دخول أهلها فيه زرافات دخولا لم تدفعهم إليه رهبة ، ولم يكن ثمة ما يخافونه إن هم دخلوه ، ولكنهم كانوا في جموعهم الضخمة وحشودهم الكثيفة آية من الله لينصر دينه بهؤلاء الأنصار الذين شدوا أزر نبيه ، وشجبوا ما كانوا عليه من تنازع وتضارب وتلاح وبغض وحقد ، فقد أذهب الإسلام ذلك كله ليحل الوئام والوفاق والمحبة والرحمة محل ما كانوا عليه ، ونزع الله ماكان في صدورهم من غلّ فصاروا بنعمته إخوانا ، وكان ذلك الأمر نعمة من الله وفضلا كبيرا عليهم وعلى الإنسانية التي وجدت في هؤلاء الأنصار والمهاجرين قوة تدفعها إلى السير قد ما وتدعم مكانة الانسان، فكان أن تم ما تم

من الفتوحات الطيبة الطاهرة ، التى زغردت لها الدنيا وصفق لها الزمان فرحا ، وهلل وكبر .

● ● ●

كان سراقة بن عمرو واحدا من هؤلاء البررة الكرام .

أحس نعمة الإيمان فراح يستزيد منها ... وتمعن فى الدين فحسن إسلامه .

وتذوق حلاوة الإسلام فعَلّ من ورده شرابا طهورا سائغا ، تفتح له عقله وقلبه ووجدانه ، فأبى إلا ان تكون حياته وقفا عليه . وأحب النعمة أن تعم فشارك فى المشاهد التى شارك فيها رسول الله ﷺ ، كما حضر مجالسه واستمع إليه .

وتأمل سراقة بن عمرو المازنى النجارى الخزرجى ما كان من أمر هذه الجماعة قبل الإسلام وبعده ، فإذا اليوم غير الأمس ... وإذا الدنيا التى كانت بالأمس القريب دجنة طخياء مكفهرة ، تنجلى اليوم عن أفق باسم مشرق .

ولما هاجر المبعوث رحمة للعالمين إلى المدينة المنورة حرص سراقة أشد الحرص على أن يغشى مجالسه ، ويستمع إلى أحاديثه ، ويكثر من التردد على المسجد ، والمداومة على تلاوة القرآن وما حفظه من كتاب الله الكريم والنظر فيه .

أدرك سراقة أن محمدا عليه الصلاة السلام هو الصورة الحية للبطولة السامية ، وللإنسانية فى أسمى مراتبها ، الساعية للهدف الشريف ، وأيقن أنه الرحمة المهداة لبنى البشر ، فطوبى لمن أمّوا سمته ، واقتدوا به ، وساروا فى طريقه السوى ، ولم يخشوا غير الله فكانوا من المهتدين الذين أحسنوا فى هذه الدنيا ولهم دار الآخرة وهى نعم دار المتقين .

وازدادت الكراهية فى نفس سراقة للكفر والشرك ، وود لو اهتدى الكفار والمشركون حتى تكتب لهم النجاة فى

الدنيا والآخرة ، ولكنهم أصـــموا آذانهم كأن بها وقرا ، وأغلقوا قلوبهم عن أن تســتجيب للرحمة المهداة إليهم فى لتخرجهم من ضلالتهم ، وأنكروا البعث والنشور ، وغرتهم الجاهلية فذاقوا عذاب السمير ٠

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾

فتجمعوا لمحاربته ، وخرج المصطفى عليه الصلاة والسلام يوم بدر ليـــدفع عـــدوان المعتدين ، ورأى سراقة بن عمرو المازنى النجارى أن يخرج هو الآخر تحت لواء إمام المتقين ٠

إنها إن تكن حربا فما أراد المسلمون حربا ٠٠٠ ولكنهم خرجوا يصدون قريشا ومن تبعها :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

وانطلق سراقة مع أصـــحابه إلى بدر يقـــودهم نبى الله محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ، صلوات الله وسلامه عليه ٠

واصطدم الشرك بالتوحيد ، والكفر بالإيمان ٠

وعلت كلمة «الله أكبر» على كل ما سواها ، ودوت حتى بلغت عنان السماء ٠

وما يكون لغير « الله أكبر » مكان حيث يكون المؤمنون ٠

وأعز الله جنده ، ونصر حزبه ، وخذل عدوه ٠

ونكست راية الكفر ، وعلت راية الاسلام فى هذا اليوم الأغر الميمون المشهود ٠

●●●

وعاد المسلمون إلى المدينة ٠

عادوا منتصرين والأسرى من العـدو كثيرون ٠ وعجب الناس من أولئك الذين ظَـلموا بالأمس واستكبروا وتجبروا فأذلهم الله وأهلك منهم طائفة ، والله لا يهدى القوم الظالمين ، فسحقا لأصحاب السعير ، يوم تفتح لهم جهنم آبوابها وتقول هل من مزيد ٠

وسجد سراقة بن عمرو لله أنه كان فى صفوف المسلمين مسلما مؤمنا ٠

وقالت كتب المغازى إنه شهد بدرا من بني مبذول إثنان، كان سراقة بن عمرو أحدهما ٠

وعاد سراقة إلى المسجد وإلى مجلس رسول الله ٠

ثم تطاول الكفر ليثأر ليوم بدر فى يوم أُحُد ٠٠ وكان ما كان فى هذا اليوم !!

وكان ما كان من بعض الرماة المسلمين من قصـــور وخروج على طاعة المجتبى ﷺ ٠

وكان لسراقة فى هذا اليوم جهاد مشكور وبطولة غـير منكورة ٠

وخرج صاحبنا سراقة من هذا اليوم كمـا خـرج جميع الذين قدرت لهم الحياة وفيه جراحات ، ولكنه خرج مؤمنا بأن المضرة إنما تكون فى عدم اتباع أوامر من اجتبـاه الله هاديا ، وبعثه بشيرا ونذيرا ٠

وراح سراقة يقارن بين جراحات بدنه وجراحات نفسه، فإذا الثانية آشد رمضا ٠

وإذا به يجمع العزم على آن يظل فى الساحة مجاهدا حتى يكتب الله النصر التام للإسلام ، ولينصرن الله من ينصره ٠

ومضى سراقة يستعد ليوم آخر بعد يوم أحد ، يكون فيه ممن سينصرون الله إذ ينصرون دينه ويطيعون رسوله ، ويكون هو فى طائفة من المؤمنين الذين لا يألون جهدا فى مجالدة الكفار ومحاربة الشرك ٠

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾

صدق الله العظيم

● ● ●

ثم جاء هذا اليوم ٠

وكان هذا يوم الخندق ٠

يوم تجمعت الأحزاب : أحزاب الكفر والشرك والنفاق لينالوا من الإسلام والمسلمين ٠

وانطلق يهود بنى النضير ــ وهم أهل كتاب ــ ونفر من بنى وائل يُحزّبون الأحزاب على رسول الله ﷺ إذ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ، وراحوا يدعونهم إلى محاربة المؤمنين والرسول وقالوا لهم : « إنا سنكون معكم إلبا على محمد حتى نستأصله » ٠

ولقيت دعوتهم السمجة اللئيمة ترحيبا من قريش التى استدرجت اليهود حتى جعلتهم ينحرفون إثما عما ينبغى أن يكونوا عليه ، وهم أهل كتاب ، إذ قالت قريش لهم :

« يا معشر يهود ٠٠٠ إنكم أهل الكتاب الأول وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ٠٠٠ أفديننا خير أم دينه ؟ » ٠

فقالت اليهود فى الرد على قريش قالة كذب وبهتان تزلزل إيمانهم وهم أهل الكتاب إذ أجابوهم :

« بل دينكم خير من دينه ٠٠ ، وأنتم أولى بالحق منه » ٠

●●●

هكذا قالوا كذبا ، فتبا لما قالوا وبئس ما نطقت به ألسنتهم ٠

وسفههم الحق تبارك وتعالى إذ قال فيهم وفيما قالوه وهو أصدق القائلين :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾

هكذا قالت يهود قالة السوء والفحش يسترضون بها قريشا فكانوا معهم حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان كان مدحورا ، ونسوا قوله جل من قائل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

●●●

وانكفأ وفد اليهود إلى المدينة وقد اطمأنوا إلى قريش ، واطمأنت قريش إليهم ٠

ومضى اليهود ــ وهم أهل الكتاب ــ إلى غطفان من قيس عيلان يدعونهم إلى محاربة النبى العربى القرشى عليه الصلاة والسلام ، وأخبروهم بما كان من خبر قريش معهم ، وأنهم صاروا يدا واحدة ضد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأصحابه ٠

وهكذا تجمعت أحزاب الشرك والكفر والنفاق وغرهم بالله الغرور .

وعلم المسلمون بما كان من أمر القوم الظلمة الفاسقين .

هذه قريش وغطفان ومن لف لفهم ويهود المدينة أصبحوا جماعة واحدة تعمل للشر وتسعى إلى الضلالة ، واجتمعت كلمتهم ، ووسوس لهم الشيطان أن يضربوا المسلمين فى المدينة المنورة من الأمام ومن الخلف .

واكفهر الجو ... وأنذر بضر مستطير ... وفتح الشر فاه ، وحار المسلمون ما يفعلون .

ولكن رب العزة والجلالة يأبى إلا أن تكون يد الكفر هى السفلى ويد الإسلام هى العليا ، فضرب المسلمون الخندق على المدينة ، وعملوا فيه جميعا وعمل معهم رسول الله ﷺ بيديه الطاهرتين .

وكشف حفر الخندق عن شرذمة من المنافقين جعلوا يتسللون إلى أهلهم بغير علم رسول الله عليه الصلاة والسلام

وأما المؤمنون فكانوا على العكس من ذلك ، كان الواحد منهم إذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد منها يذكر خبره للمصطفى ﷺ فيأذن له ثم يرجع رغبة فى الخير .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢)

صدق الله العظيم

● ● ●

وكان سراقة بن عمرو من فريق المؤمنين الصادقين ·

كان يعمل فى الخندق عملا موصولا ، وكلما أحس بالتعب نظر إلى سيد البشر المجتبى فرآه يعمل فيما يودّ هو العمل مثله فى الخندق ·

وشاهد سراقة آية رآها المسلمون أيضا وحدث هو بها فى كل مجلس يكون فيه ·

رأى صخرة فى الخندق ، فشكى أمرها مع مَن شكوا الى النبى عليه الصلاة والسلام ، وذكروا له كيف عجزوا عن هذه الصخرة ·

فدعا البشير الهادى إليه بإناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء أن يدعو ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الصخرة · وقال سراقة فيمن قالوا :

« فوالذى بعثه بالحق نبيا ··· لقد انهارت الصخرة ، لا ترد فأسا ولا مسحاة » ·

●●●

وحدث « سراقة بن عمرو » بمثل ما حدث به آخرون فى هذا الموقف ·

آية من الله العلى العظيم إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الله ناصر جنده على الأحزاب ··· وكان الأمر كذلك بإذنه تعالى ·

وخذل الله عدوه ، ودبت الفرقة والشحناء بين الأحزاب فتفرقوا ، وساور الشك المريب كل فريق منهم فى الآخر ، الثقة بين بعضهم والبعض الآخر ·

ورد الله كيد المشركين ، وأذهب ريح المنافقين ·

وشاهد « سراقة بن عمرو » كل هذا فتحدث به ، وأبصر فإذا حزب الله هم المفلحون ، وحزب الشيطان هم الخاسرون ·

واطمأنت المدينة المنورة وصانها الله من كيد كل فاجر لئيم ، مناع للخير معتد أثيم ٠

وحمد سراقة الله تعالى على ما كان فى يوم الخندق ٠

فهل كان ذلك اليوم هو آخر مشاهده التى شارك فيها ؟

كلا فإن سيرته لم تنته ، فقد كان له جهاد بعد الخندق كجهاده يوم الخندق وما قبله ٠

●●●

لقد نذر سراقة لئن عاش ليمضين حياته إلى جانب نبى الرحمة وشفيع الأمة ، وليوقفنّها على الجهاد فى سبيل الله ومصاولة الكفر والنفاق ، فشارك فى كل مشهد شارك فيه المصطفى عليه الصلاة والسلام ٠

لقد شارك فى بدر وفى أحد وفى الخندق ٠٠٠ ورأى فى كل يوم من هذه الأيام الخوالد فى ذاكرة الزمان آيات زادت من إيمانه ، وعمقت يقينه ، وجعلته يدرك أن النصر إنما يكون من الله يؤتيه من صدق بعهده ، ونصر ربه ، وأطاع نبيه ٠

وكانت هذه الأيام تدعيما لقوة الإسلام وتثبيتا لأركانه ٠

وحدّث سراقة بكل ما رأى وما سمع ، فكان ما روى حديث صدق ويقين ٠

وأبصر سراقة الإسلام يتدرج فى معارج القوة والبأس مع الرحمة والفلاح ، فخرج فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة الشريفة بصحبة النبى العظيم معتمرا ، يوم خرج عليه الصلاة والسلام مع رفاقه معتمرين لا يريدون حربا ولا قتالا ٠

واستنفر النبى صلوات الله وسلامه عليه من حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وقال ابن اسحق

فى السيرة إنه فعل ذلك وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ·

ثم خرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ·

وساق الهدى ·

وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من الحرب ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له ، وليس بمحاربه · وهل يكون للمعتمر أن يحارب ؟ ·

هكذا تكلم التاريخ صادقا عن هذا الخروج العظيم ·

وكان سراقة ممن خرجوا لأداء العمرة مع رفقته من الصحابة ومعهم نبى الرحمة ·

ورأى سراقة رجلا يقول للرسول عليه الصلاة والسلام : « يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعوا بخروجك فلبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم أبدا » ·

وأطال الرجل الحديث عما رآى من قريش وما سمع ·

وسمع سراقة بن عمرو ما قاله الرجل ، وانتظر ما يفعله رسول البر الذى قال :

« يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ·· !! ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ؟ ·

« فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا ··· وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا الإسلام وافرين » ·

ثم قال : « والله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » ·

ويصف سراقة بعد ذلك ما كان من محاولة الرسول تجنب اللقاء مع قريش وجها لوجه ، كما يصف ما نال المسلمين من مشقة وقد نزلوا واديا لا ماء فيه يرتوون منه هم وما معهم من دواب ، ولكن الله أكرم نبيه ، فكان ثم بئر رمى فيه أحدهم بسهم الرسول فتفجر الماء عذبا زلالا ، وارتوى الجميع ·

ولقد فشلت محاولات خزاعة فى حمل قريش على إدراك أن المسلمين إنما جاؤوا زائرين للبيت ، معظمين لحرمته ، ولم يجيئوا للحرب ، وأن الأولى بقريش أن تدعهم وما جاؤوا من أجله ·

ولكن قريشا آخذتها العزة بالإثم وقالت :

« إن كان محمد جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ، ولا تحدث بذلك العرب عنا » ·

وأصمّت قريش آذانها عن كل كلمة حق تقال لها ، ثم لجت فى سفهها فأرسلت رجالا رموا فى عسكر المسلمين بالحجارة والنبل ، لكن هؤلاء الرجال وقعوا فى أيدى الصحابة فأمسكوهم ، غير أن رسول الرحمة عفا عنهم وردهم سالمين ·

ورأى الشفيع الهادى أن يبعث أخيرا الى قريش بعمر بن الخطاب ليبلغ أشرافها علة حضور المسلمين ، فاستعفى عمر ، فبعث الرسول مكانه عثمان بن عفان فمضى ، فطالت غيبته عندهم ، ثم جاءت الشائعة أنه قتل ، فدعا النبى عليه الصلاة والسلام من معه إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان ·

بايعه أصحابه ومن معه على الموت وعلى ألا يفروا ·

وبايع النبى لعثمان اذ ضرب احدى يديه بالأخرى كأنما هو حاضر ·

وكان ممن بايعوا فى هذا الموقف العظيم صاحبنا الصحابى الأنصارى سراقة بن عمرو .

وكان لبيعة الرضوان هذه تاريخ وأى تاريخ .

وكان لها أثر كريم وأى أثر .

وكان لها قدر كبير عند الله تعالى إذ نزل فيها وفيمن بايع قول الحق سبحانه :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [1]

هكذا كان سراقة يوم البيعة مؤمنا ممن رضى الله عنهم .

وكانت البيعة سطرا من نور يتلألأ فى كتاب حياة سراقة .

ثم قدر الله له أن يشهد فى مدى قصير ثلاثة أحداث ضخمة فى تاريخ الجزيرة العربية وفى تاريخ الاسلام شارك فيها جميعا ، ولقى الشهادة فى ثالثها .

أما أول هذه الأحداث فهو مسير المسلمين إلى خيبر ، وكان ذلك فى المحرم من السنة السابعة للهجرة الشريفة ، وكان صاحبنا فى مسيرة الخير هذه .

ويروى أخ لسراقة عنه ما قاله الرسول العظيم حين أشرف على خيبر فاستوقف أصحابه وقال لهم : « قفوا » ثم دعا بهذا الدعاء :

« اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، ... إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » .

ثم قال : « آقدموا باسم الله » ·

ويزيد أخوه أبو معتب بن عمرو على ذلك فيقول : « كان رسول الله ﷺ يقول هذا الدعاء لكل قرية دخلها » ·

فهل معنى ذلك أن هذه كانت أول مرة يسمع فيها سراقة ابن عمرو هذا الدعاء النبوى الكريم ؟ أم أن أبا معتب يقصد أنه عليه الصلاة والسلام دأب منذ خيبر على قول هذا الدعاء عند دخوله كل قرية بعد خيبر ؟

ذلك مالا نعرفه ·· وإن كان الذى ندريه أن صاحبنا سراقة ذكر هذا الدعاء ، رغم أن البعض أخطأ فقال إنه لا رواية له وهذا هضم لحقه · وإنه لهضم كبير لحق صحابى كبير ومحدث خطير ·

● ● ●

ثم كانت عمرة القضاء التى نزل فيها قول الحق تبارك وتعالى :

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

وكانت عمرة القضاء مكان عمرته عليه الصلاة والسلام التى صدته قريش عنها ·

وهكذا كتب الله لسراقة بن عمرو أن يؤدى العمرة : عمرة القضاء مع النبى العظيم بعد أن جمع العزم على العمرة من قبلها ، ولكن التفاخر بالجاهلية وعنجهية قريش والظلم الذى ارتكبته حالت كلها بين المسلمين وبين ما كانوا قد نهضوا من أجله ·

لم تنقض ثلاثة أشهر على عمرة القضاء هذه حتى كان خروج جند الرحمن إلى « مؤتة » من أرض البلقاء بالشام ، والتى ينعتها السهيلى بغزوة الأمراء ويقول إن هــذا صــار اسمها ٠

وكان على الجيش الخارج لمحاربة الروم زيد بن حارثة ، وفيه أيضا جعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة وكثيرون غيرهم ممن على هذا النمط الكريم ٠

وكان فى هذا الجند الكثيف صاحبنا سراقة بن عمرو ٠

ولقى الشهادة فى هــذه الوقعــة الأمراء الثلاثة : زيد وجعفر وابن رواحة ٠

وكأنّ ثالث الثلاثة كان يدرى أنه غير ملاق النبى عليه الصلاة والسلام بعد هذا الخروج فقال له وهو يودعه :

إنى تفرست فيك الخــير نافلة

فراســة خالفت فيك الذى نظروا

أنت الرســول فمن يحــرم نوافله

والوجه منه ، فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حســن

فى المسلمين ونصرا كالذى نصروا

وكان حقا كل الذى قاله عبد الله بن رواحة ٠

واستشهد فى يوم مؤتة ثمانية من الصــحابة الــكرام رضوان الله ورحمته عليهم، وكان «سراقة بن عمرو» أحدهم، فكانت خاتمته خير خاتمة لحياة ثرة خيرة فى ظل الاسلام منذ أن أسلم ونطق بالشهادتين ، وهكذا استشهد سراقة فى مؤتة وهو يحارب البيزنطيين ٠

وهكذا ضم ثرى الشام جثمان ابن المدينة المنورة ليربط بين البلدين برباط أقوى من الموت على مر الزمن :

اذا أديتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشهى الثواء
هنالك لا أبالي : طلع بقل ولا نخل أسافلها رواء

فرحم الله سراقة بن عمرو صحابيا أنصاريا خزرجيا بدريا، شارك في المشاهد التي شارك فيها نبي الرحمة ، وكان صادق الرغبة في الجهاد ، حسن الإيمان ، ومات في أرض كانت تحت حكم الروم ، ليروي بدمه ودم الشهداء ترابها ، فزكى التراب ، وأطلع إسلاما اعتزت به بلاد الشام :

يا دمـــاء الشـــهيد ما أنت الا
ذائب الطيب يا دماء الشهيد

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

صدق الله العظيم

الأرقم بن أبي الأرقم

صاحب دار الإيمان

كان على الصفا بمكة المكرمة دار اتخذها الرسول صلوات الله وسلامه عليه مركزا لدعوته أيام غلبت السرية على الدعوة فى بادىء الأمر ، وكان يُعلِّم فيها الإسلام لمن أراده عن طيب خاطر ، فكانت أول دار دعوة إسلامية يرِدُها كل من يسعى إلى ارتشاف الحق من نبع النبوة الصافى الدفاق .

وقد شهدت هذه الدار رجالا هزوا الدنيا بكريم فعالهم فأكرمتهم الدنيا إذ خلدتهم ، ولم تستطع يد النسيان أن تمحو من الأذهان مجيد أعمالهم بعد أن طواهم الثرى ومرت القرون ، فقد ملأوا سمع الزمان بأعظم الأحداث وأروعها وأمجدها ، وغيَّروا مسيرة التاريخ ، وحسبهم أن يكون النبى العربى محمد عليه الصلاة والسلام أولهم وإمامهم وقائدهم ... تلك هى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى الذى فاخر ابنه عثمان (وحق له الفخر) بأن أباه سابع سبعة كانوا طلائع من اعتنقوا هذا الدين القيم ، وإن قيل فى رواية أخرى إنه الثانى عشر فى عداد المسلمين الأوائل الذين أسلموا وجوههم لله وهم محسنون .

ولقد أوردهم ابن إسحق بعد النفر الثمانية الذين سبقوا الناس كلهم إلى الإسلام ، وصدقوا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واتبعوا الحق الذى جاء به من عند ربه ،

فكان لهم من ربهم جنات النعيم ، ويكرمهم الله يوم الجمع يوم يسعى نورهم بين أيديهم ، وإنهم يومئذ لمن المفلحين .

جعل الأرقم داره مركزا للدعوة ، وكفاه فخرا أن ذهبت فى التاريخ ــ حتى يرث الله الأرض ومن عليها ــ بأنها الدار التى كان يغشاها رسول الإنسانية ونبى الرحمة، والتى اسلم فيها بين يديه من فتح الرحمن قلوبهم للهدى، فأمنوا بذلك أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ، فلا عجب إذن إن عرفت بدار الإسلام ، ثم جعلها الأرقم صدقة على ولده وحرما لا يباع ولا يورث ، وأشهد على ذلك اثنين هما هشام بن العاص وآخر كان مولى له ، فظلت كما ارادها « صدقة قائمة يقيم فيها ولده ، ويؤاجرون ويأخذون عليها » كما قال ابن سعد ، حتى إذا جاء ابو جعفر المنصور وقعت فى نفسه فاشتهاها فابتاعها بعد جهد جهيد . فقد رفض ولد الأرقم ما أراده المنصور ذو الحول والطول، فلوح لأحدهم بالخلاص من الحبس ، وفتن الباقين بالمال الكثير ، فتم له ما أراده ، ونال ما اشتهى وتمنى ، وانتقلت الدار إلى العباسيين فكانت للخيزران .

●●●

لقد أسلم الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ــ عن يقين ــ فى وقت كان الداخل إبانه فى الإسلام هو القابض على الجمر بيده ، تصيبه قريش بأنكى أنواع العذاب وتتفنن فى إيذائه، ولا تتورع عن أن ينال هذا الأذى من قد تربطهم به صلة ما داموا لم ينهوه عما هو فيه ، أو يزجروه عن اتباع هذه الملة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام .

وكانت قريش لا يردها عن صب الأذى أن يكون من تؤذيه شيخا أو امرأة أو غلاما ، ولا تقيم حرمة لكبير أو تعطف على صغير ، بل تطاردهم بشتى سبل المطاردة ، ولا تتورع عن قتل من تقدر عليهم منهم ، فهى قد تقتله جهرا ، حتى ولو كان امرأة ضعيفة إلا من إيمانها .

وأحب الأرقم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبادله رسول الرحمة حبا بحب ، وكان جهاد الأرقم أول ما كان حين جعل داره مكانا يستخفى فيه من أسلم درأ لغضبة المشركين والكفار ثم جعلها وقفا على المؤمنين ، ·· ولقد فعل الأرقم ذلك وهو على يقين من أن قريشا لو علمت بما فعل لنكلت به ، وكان عجيبا ألا تعلم قريش بأمر الدار وهى تمر بها كل يوم وكل لحظة وهى فى طريقها إلى الكعبة ··

وتجمع فى الدار ثلة قليلة من المؤمنين قبل أن تعلم قريش بها ، حتى إذا صاروا أربعين بعمر بن الخطاب خرجوا غير مبالين بقريش تمسكا بقول الحق تبارك وتعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » ·

ثم علمت قريش أن المسلمين يتخذون من دار الأرقم هذه ندوة لهم ، فغاظهم ما علموا ··· ولكن ماذا يعنى المسلمين أن يتملك الغيظ قريشا ··· ألا قل موتوا بغيظكم ·

وأمات الله الكفر وأظهر الإيمان برجال كانوا البذرة الأولى الطيبة لشجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها فى السماء أظلت العالمين ، وستظلهم إلى يوم الدين ، فيرفعون برحمة الله راية التوحيد ، وقد أفلح من استعلى ·

ذلك كان أمر الدار وأمر من كانوا فيها ·

●●●

أما صاحبها الأرقم فقد شهد بدرا فى خمسة من بنى مخزوم ، ونفله الرسول عليه الصلاة والسلام يومذاك سيفا ، ثم ندبه ليكون أحد رجال سرية أبى سلمة بن عبد الأسد التى خرجت إلى « قطن » على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة ·

ثم شهد الأرقم بعد ذلك المشاهد كلها فكان له أجره على بما شهد ٠

ولما هاجر الأرقم إلى المدينة المنورة آخى الرسول عليه الصلاة والسلام بينه وبين طلحة بن زيد الأنصارى كما قاله صاحب أسد الغابة فى ترجمة طلحة وإن لم يذكره فى ترجمة الأرقم ، كذلك أقطعه دارا هناك فى بنى زريق ٠

لقد هاجر الأرقم تاركا ما كان فيه من المال والدار ، وهجر كل شىء إلا الإيمان بالله ، والجهاد فى سبيله بالمال والنفس والأهل والولد ، وإلا حب رسول الله ﷺ ، فكان بما عمل عظيما ٠

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

●●●

ولقد عمر الأرقم حتى أدرك مروان بن الحكم على المدينة ، وأوصى ــ إذا حضرته الوفاة ــ أن يصلى عليه سعد بن أبى وقاص ، وكانت داره بالعقيق فى المدينة ، فلما قبضه الله تعالى احتبس على القوم سعد وتأخر فى المجىء ، فقال مروان بن الحكم وقد أراد الصلاة عليه : « أحبس صاحب رسول الله ﷺ لرجل غائب ؟ » ، فأنكر ذلك عليه بنو مخزوم و « قام كلام » كما تقول الكتب ٠٠

وكان لبنى مخزوم ما أرادوه من تحقيق وصية صاحبهم ٠

وتأخرت الصلاة على صاحبهم الأرقم بن أبى الأرقم ــ أحد العشرة المبشرين بالجنة ــ حتى جاء أخوه فى الإسلام سعد بن أبى وقاص الذى لم يفد الرسول عليه الصلاة والسلام أحدا سواه بأبويه ٠٠٠ وجلّ الفداء من نبى الأمة ، فصلى سعد بن أبى وقاص على الأرقم ٠

لقد كانت وفاة الأرقم صاحب الدار المعروفة باسمه سنة خمس وخمسين وقد جاوز الثمانين بخمسة أعوام .

مات الأرقم مطمئن النفس ... مرضيا عنه ، مبشرا من سيد البشر بما لا مزيد عليه من ما بعدها نعمة .

مات بعد أن جعل داره منزلا للمؤمنين يغشونها فيزيدهم الهادى هداية ويرحمهم الله ، ويكون وليهم رب العزة فهم من أهل الجنة ، وأما من كفروا فلهم السعير .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)

صدق الله العظيم .

سعد بن الربيع

رجل نصح لله ورسوله حيا وميتا

الصحابى سعد بن الربيع بن عمرو من بنى مالك الأغر، وهو أنصارى خزرجى عقبى بدرى ، وحسب من كانت هذه صفاته أن يعد غرة فى جبين الدهر .

آمن سعد بن الربيع بالإسلام وبدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام فى الإخاء الذى قل أن يجاريه فيه أحد فدل على رسوخ الدين فى أعماقه ، ومدى فهمه للاخوة التى دعى إليها النبى صلوات الله وسلامه عليه ، إذ كانت أخوة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ، وكانت ولا تزال رباطا غليظا يربط المسلمين بعضهم ببعض .

وقد أراد الله لسعد الخير حين خرج مع نفر من قومه فى الجاهلية للحج ، فأسعدهم الله بأن يلتقوا عند العقبة برسوله المجتبى ، وقال بعضهم لبعض : « ما لنا لا نستمع إلى ما يقوله هذا الرجل : محمد بن عبد الله ؟ » ، فأقبلوا إليه واستمعوا فحدثهم فآمنوا بما قال ، وقرأ عليهم القرآن فخشعوا ، وأخبرهم بنبوته فصدقوا ، ودعاهم إلى شرعة الحق فاستجابوا ، والتمس منهم مناصرته فلم يضنوا عليه بها ... فكتب الله لهم بذلك خير الدارين ، وفتح الرحمن بينهم وبين قومهم بالحق ، وكان فضل الله عليهم عظيما .

أسلم سعد بن الربيع منذ ذلك الوقت ، ومن ثم فإسلامه قديم ، وإيمانه قوى متين .

ثم كانت العقبة الثانية يوم سأل الرسول عليه الصلاة والسلام اليثربيين الذين أسلموا أن يخرجوا له منهم إثنى عشر نقيبا ، فأخرجوهم ، فكان سعد بن الربيع أحدهم .

فى هذا اليوم بايعهم رسول الرحمة على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم فبايعوه ، وفاخروا بأنهم أبناء الحرب وأهل الحلقة ، ورثوها كابرا عن كابر .

وفى هذا اليوم الأغر العظيم قال لهم النبى : « أنا منكم وأنتم منى ، ... أسالم من سالمتم » .

وبايعه النقباء الإثنا عشر عن قومهم .

وفاخر الأنصار بهؤلاء النقباء ، وفاخروا بسعد بن الربيع أنه موف بعهده للرسول عليه الصلاة والسلام فقالوا :

ألا ابلغ أبيا أنه ـ فال رأيه

وحان غداة الشعب ، والحين واقع

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدى لنا

بأحمد نور من هدى الله ساطع

ودونك فاعلم أن نقض عهودنا

أباه عليك الرهط حين تتابعوا

وما ابن ربيع ان تناولت عهده

بمسلمه : لا يطمعن ثم طامع

وكان سعد بن الربيع فى الجاهلية من « الكملة » ، يعرف الكتابة بالعربية ، وكان العارفون بالكتابة يومذاك قلة .

ولما هاجر النبى عليه الصلاة والسلام ودخل المدينة ود سعد بن الربيع لو أن ينزل الرسول الكريم دارهم، فاعترض القصواء (- ناقة النبى -) فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج ، فأمره الشفيع الهادى أن يخلى سبيلها لأنها مأمورة ، فأطاعه سعد وأطاعه الجميع ، فما كان قوله ﷺ إلا عن حكمة سامية ، وما كان ينطق عن هوى ، إن هو إلا وحى يوحى ٠

●●●

ويقبل عبد الرحمن بن عوف مهاجرا إلى المدينة فينزل على سعد بن الربيع ، ويؤاخى بينهما النبى عليه الصلاة والسلام فى الله عملا بقوله : «تآخوا فى الله أخوين أخوين» ٠

ويعرف سعد معنى الإخاء ويعظمه ، فينطلق بعبد الرحمن بن عوف إلى داره فيدعو بالطعام ويقول له : « انى أكثر الأنصار مالا » ٠

ثم يكون حوار بين الرجلين يأبى فيه عبد الرحمن بن عوف أن يكون كلا على سعد فيقول لابن الربيع :

« بارك الله فى أهلك ومالك ٠٠٠ ولكن دلونى على السوق » فدلوه عليه فانطلق متاجرا فتاجر ، فكسب حلالا وأثرى ، حتى صار من أغنى من رأتهم يثرب ٠

●●●

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يجل سعد بن الربيع ويحبه ويدرك بطولته الفذة ٠ ويشاهده يوم أحد وقد أصاب من المشركين رفاعة بن أبى رفاعة بن عايد فأهلكه وقتله وعجل به إلى الجحيم ٠

وأبلى سعد فى هذا اليوم البلاء الحسن ٠

وكان يوم أحد يوم بلاء وتجربة وامتحان للمسلمين ٠

وفى هذا اليوم لا يلتفت النبى الكريم إلى جراحه ولكن يقول لمن حوله : « من يأتينى بخبر سعد بن الربيع ؟ » .

ويستجيب له رجل ـ يقال إنه أبىّ بن كعب ـ يذهب فيطوف بين القتلى ، ويلمح الرجل سعد بن الربيع قد أثخنته جراحه حتى ما يستطيع حراكا .

ويسأله سعد ما شأنه ، فيخبره الرجل بأن النبى عليه الصلاة والسلام بعثه يسأل عنه ، فيقول له :

« اذهب إليه فاقرئه منى السلام .

« وأخبره أنى قد طعنت اثنتى عشرة طعنة » .

ثم يحمّله سعد بن الربيع رسالة إلى المسلمين الذين مع القائد الملهم ويقول له :

« اذهب إلى قومك وقل لهم ، يقول لكم سعد بن الربيع :

« الله الله ما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة .

« فوالله ما لكم عند الله عذر إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف » .

قال الرجل : « فوالله لم أبرح مكانى حتى مات فرجعت إلى النبى ﷺ فأخبرته فقال :

« رحم الله سعدا ... نصح لله ولرسوله حيا وميتا » .

وكأن سعد يأبى إلا أن يكون ذا عمل بناء فى الإسلام حتى بعد موته ، فقد ترك ابنتين أخذ ميراثهما أخ له ، وكانت امرأة سعد حاملا ، وكان الناس يتوارثون على ما كان عليه أهل الجاهلية . فأعطى الرسول صلوات الله وسلامه عليه البنتين الثلثين مما ترك سعد .

وقيل بل كان ذلك فى أوس بن ثابت .

●●●

هكذا كان سعد على أحسن ما يكون المسلم ·

ويعرف أبو بكر الصديق قدر سعد فيصرّح به حين دخلت ابنة سعد على أبى قحافة فألقى لها ثوبه فجلست عليه فتعجب عمر مما فعل الخليفة الراشد فيسأله :

من تكون هذه المرأة يا أبا بكر ؟

فيجيبه : « هذه ابنة من هو خير منى ومنك » ·

فيعود ابن الخطاب يسأله : « ومن هو يا خليفة رسول الله ﷺ » ؟ ·

فيقول أبو بكر :

« رجل مضى على عهد رسول الله ﷺ وتبوأ مقعده من الجنة ، وبقيت أنا وأنت » ·

رحم الله سعد بن الربيع فقد كان أمة فى إسلامه وفى إيمانه ·

وكان بطلا فى مبايعته وعهده وجهاده ·

وكان صحابيا جليلا دانى المكانة من قلب النبى صلوات الله وسلامه عليه ·

ثم لقى ربه شهيدا مبرورا ·

وخلف للمسلمين مجدا رفيعا ، وجهادا غير منكور ، وصورة زاهية مشرقة الجوانب للمسلم التقى الورع ·

ثم ذهب إلى رحمة ربه ليلقى الجزاء الأوفى ·

رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

صدق الله العظيم ·

عبادة بن الصامت

رجل تبرأ إلى الله ورسوله من حلف الكفار وولايتهم

نطالع فى هذه الصفحات رجلا كان فى الصحابة عقبيا بدريا ، وكان أحد خمسة من الأنصار الذين جمعوا القرآن الكريم زمن النبى عليه الصلاة والسلام كما يقول بعض من ترجموا له .

ولما كتب يزيد بن أبى سفيان إلى عمر بن الخطاب أن أهل الشام فى حاجة إلى من يعلمهم كتاب الله ويفقههم فيه أرسل إليه ثلاثة كان صاحبنا عبادة بن الصامت هذا أحدهم .

وكان عبادة يوم العقبة نقيب « القواقل » الذين نعتوا بذلك كما قال ابن هشام لأنه كان إذا استجار بهم أحد فى يثرب دفعوا إليه سهما وقالوا له « قوقل به بيثرب حيث شئت » مما يدل على مكانة هذا الفرع من الخزرج فى المدينة .

كانت صورة إسلامه أنه اسلم أيام كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى الموسم على قبائل العرب ليسمعهم ما عنده ، فإن كان خيرا آمنوا به .

ولقى محمد عليه الصلاة والسلام في ذلك اليوم رهطا من الخزرج كانوا من موالى يهود ، فراح يحدثهم عن الإسلام عسى أن يشرح الله صدورهم له ، وأخبرهم أنه نبى الله وخاتم رسله ، وأن ليس به ضلالة ولكنه رسول من رب العالمين ،

فلما سمعوا ما قال تذكروا فى لحظتهم هذه ما يتهددهم به يهود يثرب من استنصارهم بنبى آن أوانه وأظل زمانه ، وأنهم سوف يسبقونهم فى الإيمان به ، ويستظهرون به عليهم .

فألهم الله هؤلاء الخزرجيين أنه هو النبى الموعود .

ثم أجمعوا أمرهم على أن يحدّثوا قومهم بخبره فحدّثوهم عنه حين فرغوا من حجّهم وعادوا إلى يثرب، فآمن معهم طائفة وافوا الرسول الكريم فى الموسم التالى عند العقبة ، وكان فيهم عبادة بن الصامت نقيبا لبنى القوقل ، وبايعوه بما عرف ببيعة النساء .

تلك كانت العقبة الثانية التى وصفها عبادة بقوله :

« بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ... وألا ننازع الأمر أهله ... وألا نقول إلا الحق أينما كنا ... وألا نخاف فى الله لومة لائم » .

هكذا قال عبادة ، وهكذا حفظ التاريخ ما قال ، ووالله ما قال عبادة إلا صدقا، وما نطق إلا حقا يفصح عن المثل العليا السامية فى أعلى مراتبها ... وإنها والله لقيم أخلاقية لا تدانيها فى السمو قيم أخرى .

على هذا النمط الكريم كان إسلام عبادة .

إنه إسلام عميق الجذور فى نفس رفرف النور فى جوانحها ، ونزع الله منها كل شك فى صدق الدين ، ولم تخالجها قط ريبة فى نبوة الرسول المصطفى الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

●●●

وشارك عبادة فى يوم بدر مشاركة فعالة ٠

ولما اختلف المسلمون فى الأنفال لم يرضه ذلك الاختلاف، ثم أنزل الله جل جلاله سورة الأنفال فحسمت كل خلف ، واخرست كل تأويل ، ووضعت الأمور فى نصابها ، وفى ذلك يقول عبادة بن الصامت :

« فينا معشر أهل بدر نزلت الأنفال يوم اختلفنا فى النفل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت أخلاقنا ، وردّه على رسول الله ﷺ فقسمه على السواء ٠ وكان فى ذلك تقوى الله وطاعته وطاعة رسول الله ﷺ وصلاح ذات البين » ٠

● ● ●

وكانت لعبادة بن الصامت مع المنافقين واليهود أخبار دلت على صدق إيمانه ، ونزلت فى ذلك آيات محكمات ٠

أما عن اليهود فقد كان حليفا لبنى قينقاع، فلما أخذوا فى محاربة الرسول عليه الصلاة والسلام تشبث بأمرهم رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، وقام دونهم ، واذ ذاك مضى عبادة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ٠ وكان عبادة أحد بنى عوف الذين لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله السلولى ، فخلعهم عبادة إلى رسول الله عليه أزكى الصلاة الصلاة والتسليم ، وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسوله من حلفهم وقال له :

« يا رسول الله : أتولى إلى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم » ٠

فنزل القرآن مشيرا إلى ذلك فى قوله عز من قائل :

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦﴾

وأمره الرسول العادل أن يجليهم فجعل بنو قينقاع يقولون لعبادة :

« يا أبا الوليد : أمن بين الأوس والخـزرج ـ ونحن مواليك ـ فعلت هذا بنا ؟ » فقال لهم عبادة « لما حاربتم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم وبرأت اليـه منكـم ومن حلفكم » .

وكان عبد الله بن ابى المنافق حـاضرا المجلس فلامـه قائلا :

« تبرأت من حلف مواليك يا عبادة ...؟ ما هذه بيدهم عندك يا آبا الوليد !! » .

فقال له عبادة :

« يا آبا الحباب ... تغيرت القلوب ، ومحا الإسـلام العهد ، آما والله إنك لمعتصم بأمر سترى غيه غدا » .

فلما أدرك بنو قينقاع مكانة الجد فيما قضى به رسول الله ﷺ من الرحيل قالوا :

« يا محمد ... إن لنا دينا فى الناس » .

فأجابهم « تعجلوا وصفوا » .

ثم آخذهم عبادة بالرحيل والإجلاء، ثم طلبوا الراحة أو « التنفس » كما قالوا فأجابهم :

« والله ولا سـاعة من نهار ... لـكم ثلاث لا أزيدكم عليها ... هذا أمر رسول الله ﷺ ، لو كنت أنا مانفستكم» .

فخرجوا بالذرية والنساء وقد حملوهم على الإبل آما الرجال فكانوا يمشون .

●●●

وكان الخبر قد جاء رسول الله ﷺ بأن عبدالله بن أُبَىّ السلولى زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن منها المسـلمين ، فانكر

السلولى هذا المقال وأصر على إنكاره وهو كاذب فى دفاعه عن نفسه ، فجاءه عبادة بن الصامت وقال له :

«يا أبا الحباب ... إيتِ رسول الله ﷺ يستغفر لك» .

فلم يجبه عبد الله بن أبى استخفافا ، ثم لوى رأسه ساخرا ، فقال له عبادة :

« آما والله لينزلن فى لَىِّ رأسك قرآن يصلى به » .

وكان الآمر كما قال عبادة فقد نزلت فى ابن أبىّ سورة « المنافقون » كلها .

ودمغ الحق الباطل ، فاذا الباطل زاهق .

وكانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

وكان الخزى والعار والفضيحة للمنافقين الذين يخادعون الله وهو خادعهم ، ويشهد الله أنهم كاذبون ، ويجعل لهم عذابا أليما .

●●●

هذه قصة إسلام عبادة بن الصامت وقصة مسيرته فى الإسلام .

وهذه بعض أخباره نقيبا عقبيا مؤمنا حتى يتوفاه الله فى الرملة سنة أربع وثلاثين ، وهذا هو عبادة الذى قال له عمر : « قبح الله أرضا لست أنت فيها ولا أمثالك !!» وصدق عمر الذى كان خير من يعرف أقدار الرجال ، وما كان قدر عبادة ليخفى عليه .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾

صدق الله العظيم

عبد الله بن رواحة

رجل يدعو المؤمنين إلى إحدى الحسنيين الظهور أو الشهادة

انى تفرست فيك الخير أعرفه
والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبى ومن يحرم شفاعته
يوم الحساب فقد أزرى به القدر

أخي المسلم : هل تعرف من قائل هذين البيتين منذ خمسة عشر قرنا من الزمان ؟ ، وهل جاءك خبره ؟ :

إن كنت لا تعرف فاسأل تاريخ الصحابة الأمجاد ينبئك أنه عبد الله بن رواحة رضوان الله عليه .

وإن فتشت عن خبره حدثك التاريخ بكل ما يشرح قلب المؤمن ، وتقر له النفوس الطيبة .

إن البيتين لعبد الله بن رواحة يخاطب رسول الله ﷺ .

وإن هذين البيتين ليفصحان عن مقدار حبه وتقديره له وإدراكه لمكانته كرسول للإنسانية ، وشفيع للناس يوم لا شفيع سواه ، وإن له لبيتا ثالثا يقول له فيه :

فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ، ونصرا كالذى نصروا .

فلما سمعه نبى الرحمة وشفيع الأمة أجابه : « ثبتك الله يا ابن رواحة » .

إنه دعاء كريم ... استجابه الله فكتب له الشهادة بعد جهاد طويل فى سبيله ، فقد كان ممن جاهدوا الكفار والمنافقين وأغلظوا عليهم ، ولم يخافوا فى الحق لومة لائم ، فصار خبره سيرة تتعطر بها الدنيا وتسكب نغما حلوا فى أسماع الأبناء والأحفاد فيعتزون به وبأمثاله من الصحابة الكرام .

● ● ●

لقد رزق الله عبده ابن رواحة القدرة الفائقة فى النظم، الذى جعله عبد الله لسانه فى الذب عن رسول الله ﷺ ورد الأذى عنه ، ومن ثم استثنى هو وحسان بن ثابت من طائفة الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون ، والذين يتبعهم الغاوون .

● ● ●

وصحابينا الشاعر المحارب الصنديد والبطل المغوار ، والمحب للرسول، المطيعله فى السر والعلانية كان أحد النقباء الاثنى عشر ... ليلة جاء أولئك النفر اليثربيون إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فرغبهم فى الإسلام وحدثهم عنه ، وبايعهم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم فبايعوه ، وصدقت بيعتهم ، وكان لذلك حديث طويل وخبر كريم إنتهى بأن طلب الرسول منهم أن يخرجوا إليه منهم إثنى عشر نقيبا ليكونوا شهودا على قومهم فأخرجوهم إليه ، فكان منهم عبد الله بن رواحة ... مسلما مقرا بالحنيفية ، جابا للشرك ، مصدقا لمحمد عليه الصلاة والسلام ورسالته ، مؤمنا بنبوته ، ملتصقا بعمود الدين عن رضا وطيب خاطر ، فما مال عنه ولا انحرف عن سمته .

ولازم عبد الله بن رواحة الرسول عليه الصلاة والسلام فكان بدريا ، كما شهد احدا والخندق والحديبية ، ومشاهد الرسول العظيم ، إلا الفتح وما بعده اذ كان قد نعم بالشهادة يوم موته أميرا للنبى المختار .

وإن الرسول عليه الصلاة والسلام ليبعثه يوم بدر بشيرا إلى أهل «العالية» فى المدينة بما فتح الله جل جلاله على المؤمنين، وكيف هلك أقطاب قريش والملأ من رجالها ، فأثار ذلك حفيظة كعب بن الأشرف فقال :

« لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم (يعنى سراة قريش) يوم بدر فلبطن الأرض خير من ظهرها !! » .

لم يقل ابن الأشرف هذا القول حبا فيمن هلك ولا حزنا عليهم ، ولكنه قاله حقدا على الإسلام ورسوله الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

لقد قال ابن الأشرف ما قال رغبة منه فى إثارة الأحقاد وطلب الثأر ، ونتيجة كراهية سوداء للدين أن ينتصر ...

إنه يقول ما يقول متربصا بالعرب كلهم الدوائر ... ألا عليه دائرة السوء وباء بغضب الرحمن ولعنه الله .

وإنّ عبد الله بن رواحة ليغضب لما نال زينب بنت الرسول عليه الصلاة والسلام يوم أرادت اللحاق بأبيها فتربص لها الكفر يريد ردها ، وروّعها مشرك فدم حتى طرحت ذا بطنها ، فقال ابن رواحة يخاطب أبا سفيان :

فأبلغ أبا سفيان إمّا لقيته

لئن أنت لم تخلص سجودا وتسلم

فأبشر بخزى فى الحياة معجل

وسربال قار ، خالدا فى جهنم

ويدرك الرسول صلوات الله وسلامه عليه أى رجل يكون عبد الله بن رواحة هذا حتى انه ليستعمله على قسمة ثمار خيبر فكان كما قال التاريخ وقال مترجموه : « يعدل على أهلها » ٠

●●●

ثم كان الخروج إلى مؤتة وهى قرية من أرض البلقاء فى الشام ٠

ومؤتة وحدها يوم ضخم من أيام الاسلام فى جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة ٠٠٠ حيث أمَّر الرسول الكريم على جند الله زيد بن حارثة ، وأوصى أنه إن أصيب زيد فليحمل الراية جعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب جعفر فليتلق الراية عبد الله بن رواحة ٠

فإن قتل ابن رواحة فليختر المسلمون من بينهم رجلا يجعلونه أميرا عليهم ٠

وخرج جيش الإيمان ، حتى إذا كان عند « معان » من أرض الشام جاءه الخبر بأن إمبراطور بيزنطة جمع لهم مائة ألف من الروم ٠

فيالله ما أكثف هذا العسكر يجمعه طاغية الروم !!

وماذا يفعل المسلمون وهم قلة إزاء هذا الحشد الضخم الذى جمعه هرقل وكأنما كان يريد به فتح الدنيا ٠

وأبصر ابن رواحة من المسلمين رغبة فى مكاتبة الرسول عليه الصلاة والسلام بالخبر ، ولم يكن ذلك نكوصا منهم عن الحرب والجهاد ، ولكنهم تخوفوا من هذا العدد الكثيف من جند الروم وممن ضموه اليهم من لخم وخذام وبلى وغيرهم من القبائل العربية ٠

ان العسكر الاسلامى أراد مكاتبة الرسول القائد حتى يمدهم بالرجال أو يأمرهم بما يرى فينطلقون إذ ذاك طائعين منفذين ما يشير به عليهم ٠

ولكن عبد الله بن رواحة ينكر ما أراده العسكر الإسلامى فيقف فيهم خطيبا قائلا :

« يا قوم ٠٠٠ إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبـون الشهادة ٠

« وما يقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ٠

« وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ٠

« فانطلقوا ... فانما هى إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة » ٠

كان الموقف عصيبا ، وكان كل ما فى الجو يوحى بالخوف

ولكن ابن رواحة لم يكن بالرجل الذى يخاف أو يرهب أن يقاتل الأعداء وهم كُثر ٠

وآتت كلماته أكلها ، فانطلق للحرب وانطلق المجاهدون بعده فى آثره ٠

انطلق ابن رواحة وهو يرى جثمان أخويه فى الإسلام الشهيدين زيد وجعفر ، رحمهما الله٠٠ فما زاده استشهادهما إلا رغبة ملحة فى القتال وفى الثأر وفى الانتصار ٠

وما يحسب المسلم الصادق الإيمان من مات فى سبيل الله ميتا ولكنه حى يرزق عند ربه ٠

وآثاره مرآى الشهدين زيد وجعفر مجندلين فأنشد :

يا نفس ان لم تقتلى تموتى
هـذ حمـام الموت قد صليت
وما تمنيت فقـد أعطيت
ان تقتلى مثلهما : هـديت

ثم طوح بعيدا عنه عرقا من لحم كان فى يده ، وتقـدم بسيفه فقاتل وقَتل حتى قُتل هو شهيدا .

هكذا كان إسلام عبد الله بن رواحة أول سطر فى كتاب جهاد طـويل منير إلى جانب رسـول الله العظيم من أجل الملة الطاهرة السمحة .

وهذا هو عبد الله بن رواحة الذى طعن يوم مؤتة فتفجر دمه فاستقبله بيده ودلك به وجهـه ... وظل يقـاتل بين صفى المؤمنين والكافرين .

ورأى الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرى النائم وقبل أن يصله خبر المعركة أن زيدا وجعفر وابن رواحة قد رفعوا له فى الجنة على سرر من ذهب .

فأكرم بما رآه الأمين المأمون ، والصادق الصدوق .

وطوبى للذين آمنوا وعملوا الصالحات فكان لهم حسن المآب . وإن لهم كرامة الشهداء بما قدموا للدين الذين دافعوا عنه ، وأورثونا إياه فكان نعم الإرث لمن تمسـك به دنيـا وأخرى .

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾

صدق الله العظيم

حجاج بن علاط السلمي

الساخر من قريش وجاهليتها

كان حجاج بن علاط السلمي ــ ويكنى بأبى كلاب ــ قد سكن المدينة طويلا حتى عده الناس من أهلها ، ولما أسلم بنى بها مسجدا ودارا عرفت باسمه ٠

وقد أسلم حجاج حين خرج بركب من قومه ، فلما دخل عليهم الليل سألوه أن يحرسهم وهم نيام فجعل يطوف حولهم وينشد :

أعيذ نفسى وأعيذ صحبى
من كل جنى بهذا النقب
حتى آؤوب سالما بركبى

وبينما هو ينشد هذا النشيد إذا به يسمع من يرتل فى صوت شجى يأخذ بمجامع القلوب ٠

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾

فتملكته الدهشة أن يسمع هذا الكلام فى مثل هذا الوادى السحيق وليس به من أحد ٠

ودخل الركب مكة ، ومضى ابن علاط السلمي إلى دار الندوة حيث تجتمع قريش على مألوف عادتها ، وكان علاط

معروفا عندهم ، يألفهم ويألفونه ، ولا يكتمون عنه خبرا من أخبارهم ولا يكتم هو عنهم أمرا ، فقد كان مثلهم فى جاهليتهم ، فأخبرهم بما سمع ، فما كان جوابهم إلا أن أنكروا عليه ما قال وما حدث به ، وداخلهم الخوف عليه أن تكون به جنة ، ثم التفتوا إليه وقال له قائلهم :

« صبأت والله يا أبا كلاب ·

« إن الذى تقول لما يزعم محمد أنه نزل عليه » ·

فحاجَّهم وأقسم لهم قسما صادقا غير حانث فيه أنه سمع الذى يرويه لهم الآن ، وسمعه كذلك من كانوا معه ، فلم يزدهم ما قاله الا انكارا ، ولم يزدد هو الا اصرارا ·

وانكفأ عن مجلسهم وسار فى طريقه ، ولكنه مطمئن القلب ، لا يدرى كيف نزلت عليه هذه الطمأنينة ، إلا أنه يحسها تغشاه من فوقه ومن تحته وتملؤ جوانحه ، لا سيما كلما ردد الذى سمع والذى أفضى به لقريش ·

وأدرك أنه الإسلام ··· فأسلم ·

ورحب به الرسول الكريم مؤمنا جديدا ينضم إلى ركب المؤمنين المجاهدين ·

وكان المسلمون فى خيبر قد فتحوها يوم جاء حجاج هذا إلى النبى عليه الصلاة والسلام وقال له :

« يا رسول الله : إن لى بمكة مالا، وإن لى بها أهلا· وإنى أريد أن آتيهم وأخاف إن علم القوم باسلامى أن يذهبوا بمالى الذى عند صاحبتى أم شيبة بنت طلحة » ·

ثم سأله أن يأذن له أن يمضى ليخلص ماله ، فأذن له النبى بما أراد ·

كما أذن له أن يقول لهم ما يريد أن يقوله فيه هو ذاته ، وأنه فى حل مما يقوله لهم ·

وجاء حجاج بن علاط إلى ناحيـة وجـد عنـدها قوما يتحسسون الأخبار لقريش ، فسـألوه عسى أن يجـدوا لديه ما ينقلونه إلى قريش من أنباء المسـلمين ، وعرف حجـاج هدفهم فادعى عندهم بما ليس بواقع ، اذ زعم لهم أن النبى عليه الصلاة والسلام هزم أقبح هزيمة ، وأن أصحابه قتـل أكثرهم وفر الباقون عنه ، وزاد فادعى أنه هو ذاته أخـذ آسيرا لكنه استطاع الفرار ٠

فلما سمعوا ذلك منه آخذوه إلى مكة فرحين ، وحدثتهم نفوسهم أنه ما هى إلا أيام ويقع النبى عليه الصلاة والسلام فى أيديهم فيقتلونه ٠

وصور لهم خيالهم السقيم ما شاء أن يصور ٠

ثم صرحوا علانية بذلك كله فى أهل مكة ٠

وعرف حجاج أنهم صدّقوا ما زعمـه لهم ، وأدرك أن سخريته بهم جازت عليهم ، فقال لهم لينال بغيته دون أن يثير شكوكهم :

« أريد أن ألحق بخيبر فأشترى مما أصبت قبل أن يأتى التجار ٠٠٠ فأعينونى على جمع مالى » ٠

وجازت حيلته عليهم مرة آخرى ، وصدقوه فيما زعمه ، وأسرعوا إلى تلبية طلبه ، وبادروا فجمعوا له ماله وأعطـوه إليـــه ٠

وتناقل الناس فى كل ناحيـة ما قاله حجـاج بن علاط السلمى ، ووصل ما قاله إلى سمع العباس فجـاء إلى حجـاج مهموما حزينا على ما أصاب ابن أخيه نبى الرحمة ، والتقى به فى خيمة تاجر من التجار فسأله العباس ما الخبر ، فانتحى به حجاج ناحية بعيدة ، واتفق معه على مكان غير هذا المكان، وساعة غير هذه الساعة ضربها له ٠

وهنـاك فى السـاعة والمـكان المتفق عليهما قال له الحجاج :

« يا أبا الفضل ... الذى يسرك أن ابن أخيك قد فتح الله عليه خيبر » . ثم أخبره بما كان من ظهوره على أهلها ، وانه عرّس بابنة ملكهم ، وزاد فقال :

« أما أنا فقد أسلمت ... وما جئت الا لآخذ مالى .

« فاكتم على يا أبا الفضل الخبر ثلاثا » .

وزال الهم عن العباس ، وملأت الفرحة الغامرة جوانحه المضطربة وقرت نفسه ، واستجاب لما طلبه السلمى .

حتى اذا انقضى اليوم الثالث على هذا اللقاء لبس العباس حلة زاهية وتخلق بأحسن الطيب ، ثم تناول عصاه وخرج إلى المسجد واستلم الركن .

ورأته قريش فأقبل بعضهم على بعض يتسارون وقد ارتابوا فى ما قد يكون دفعه إلى الظهور على هذه الصورة : ثم أقبلوا عليه وقالوا له :

« يا أبا الفضل ... هذا والله هو التجلد على حر المصيبة » .

فرد عليهم العباس ردا بدد فرحتهم ، وكان فى رده النبأ المفجع الممض لهم إذ قال :

« كلا والذى حلفتم به .

« لقد فتح محمد خيبر وصارت له ولأصحابه ، وتزوج بابنة ملكها » .

ونظر بعضهم إلى بعض وقد عقدت الدهشة ألسنتهم وألجمتهم فما عادوا يعرفون ماذا يقولون .

يا للهول أن يكون هذا الخبر صحيحا ، وانهم لم يعرفوا فى العباس إلا الرجل الجاد الصادق فيما يحدث به ، لذلك سألوه من أين له علم ذلك ؟ ومن ذا الذى أفضى به إليه ؟ فرد عليهم بجواب زاد من فجيعتهم وحسرتهم وكاد يميتهم غيظا إذ قال :

« الحجاج بن علاط السلمى ، ولقد أسلم وتابع محمدا على دينه ، وما جاءكم حجاج إلا ليأخذ ماله ثم يلحق بمحمد» .

حينذاك استبد الغضب بقريش ، وهاجهم النبأ فحزنوا وكادت مرائرهم أن تنشق غيظا مما سمعوا .

اذن فمحمد لم يهلك ، ولم يهزم !! .

وإن الحجاج سخر بهم حين زعم لهم ما زعم فصدقوه .

ثم زاد فى الهزء بهم حين سخرهم فجمعوا له المال فى يسر .

ثم تمادى فى العبث بهم وبما يعبدون إذ أسلم واتبع محمدا !! .

ولكن ماذا يفعلون ، وهل لهم حيلة فى دفع ما جرى ؟ .

ان آيات نصر الله لنبيه لتترى وهم لا يملكون لها دفعا ولم يجدهم استهزاؤهم به :

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

صدق الله العظيم .

سعيد بن زيد العدوى

الذى اهتدى الفاروق على يده

صحابى هذه الصفحات ابن لرجل لم يدرك الإسلام ، ومع ذلك فقد ترحم عليه النبى ﷺ إذ قال : « رأيته فى الجنة يسحب ذيولا » .

وأثر عنه ﷺ وهو الصادق المصدوق أنه قال أيضا : « إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » .

أما الإبن الصحابى فهو :

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى القرشى .

وأما الأب فزيد بن عمرو الذى كان فى الجاهلية يطلب الدين قبل ظهور النبى عليه الصلاة والسلام ، وكره الوثنية، وأنكر عبادة الأصنام والتقرب إلى الأوثان ، ولم يقبل على النصرانية ، وكان لا يعبد ما تعبده آباؤه ، ولا يأكل ذبائحهم .

وقال هو ذاته عن نفسه : « إنه خالف قومه واتبع ملة إبراهيم وما كان يعبد وإسماعيل من بعده ، ويوجه صلاته إلى القبلة » .

وكان ينتظر نبيا من ولد اسماعيل يُبعث فيؤمن به .

وكان يسأل من يلقاهم ويتحدثون اليه ويتحدث هو اليهم أن يقرئوا ذلك النبى المرتجى بعثه السلام إن طال بهم العمر فرأوه ، وقصر به هو الأجل فلم يسعفه لقاؤه .

●●●

وكان ابنه سعيد يسمع ذلك منه .. فتدبر ما سمع .. ووعى ما قاله أبوه ، ومن ثمّ ما كاد يسمع بدعوى الإسلام حتى اعتنقه وذلك قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم .. وقبل أن يدعو فيها . ومن هنا كان قديم الهجرة إلى الله جل جلاله وإلى رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

لم يكن يضير سعيدا أن تعلم قريش بإسلامه فتصبّ عليه الإيذاء الشديد .

ولكن ما أعذب العذاب وأحلاه إن يكن من أجل العقيدة ليستريح الضمير ، ويهدأ الخافق الوثاب فى الصدور .

ولقى سعيد أحسن الجزاء لقاء ايمانه ، اذ قال عنه الرسول الكريم إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة .. وحسبه هذا من نعمة ما بعدها نعمة !! .

لقد كان يخشى الرحمن بالغيب فله مغفرة وأجر كريم .

ولقد تفاخر المسلمون بسعيد بن زيد حتى إن أهل الكوفة ليقولون إنه مات عندهم ، وصلى عليه واليهم ... والحق أنه مات بالعقيق ، فاستصرخ عليه وقد ارتفع الضحى ، فأقبل عبد الله بن عمر وترك الجمعة فغسله وحنطه وصلى عليه ، ثم حمل إلى المدينة فدفن بها .

وكان له من العمر يوم مات بضع وسبعون سنة .

ومع أنه قديم الإسلام إلا أنه لم يشهد بدرا ، إذ كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد بعثه قبل خروجه من المدينة بعشر ليال مع طلحة بن عبيد الله يتجسسان أخبار عير قريش حتى مرّت بهما وهما عند الحوراء ، فعادا فلم يجدا الرسول ﷺ ولكنهما قابلاه قافلا من بدر قد نصره الله وأخزى الكفر، فضرب لهما عليه الصلاة والسلام بسهميهما وأجرهما فى بدر ، فكانا كمن شهدها .

●●●

ولقد تم في بيت سعيد إسلام عمر بن الخطاب الذى كانت أخته فاطمة بنت الخطاب تحت سعيد بن زيد ، وكانت هى وزوجها مسلمين مؤمنين .

وشهد سعيد ما بعد بدر فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما شهد اليرموك وحصار دمشق فيما بعد .

وكان سعيد مقدما فى حياة النبى ﷺ ، فكان هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى قاص وابن عوف أمام الرسول فى القتال ، ووراءه فى الصلاة دائما .

●●●

وكان سعيد مستجاب الدعوة ، فقد شكته امرأة إلى مروان ابن الحكم يوم كان مروان واليا على المدينة لمعاوية ، وقالت المرأة وكانت تدعى أروى بنت أويس ، إنه ظلمها أرضا واغتصبها بغير حق ، فلما سمع سعيد هذه المقالة النكراء قال:

« أظلمها ؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : من ظلم من الأرض شبرا طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين » ؟ .

« فلتأت فلتأخذ ما كان لها من الحق » ٠

ثم دعا سعيد ربه أن يميتها عمياء إن كانت هى الظالمة، وأن يجعل قبرها فى بئرها ، فكان الأمر كما دعا ، إذ ذهب بصرها وكانت بئر دارها قبرها فقد وقعت فيها ٠ وكان أهل المدينة إذا دعى أحدهم على عدوه دعا أن يذهب بصره كما أعمى أروى ٠

●●●

هذا بعض خبر سعيد بن زيد الذى كان يتخفى هو وزوجته فى دارهما ليقرئهما خباب بن الأرت القرآن الكريم، فعلم بخبرهما أخوها عمر بن الخطاب وكان على جاهلية نكراء ٠ فجاءهما الفاروق وهو كافر وبطش بختنه سعيد ، فلم يزدهما بطشه إلا إيمانا وإصرارا على التمسك بهذا الدين السمح ، وإلا المجاهرة بإسلامهما أمام عمر ، والتصريح به على رءوس الملأ فى غير خوف ولا وجل ، وفى تحدى الواثق القوى ٠

فعجب عمر منهما ، ثم نظر فى المصحف وفى الصفحة بعد أن تطهر ، وكان فيها سورة طه فقرأ صدرا فيها فأعجبه ما قرأ ٠

وأكرمه الله فأسلم فى بيت سعيد بن زيد الذى نسى جراحه فرحا بإسلام عمر الذى اعتز به الإسلام منذ تلك اللحظة ، واعتز به المسلمون ولم يعودوا يخشون بطش قريش ٠

●●●

لقد كان سعيد بن زيد منذ إسلامه يتقلب فى نعيم الإيمان ، ويسعد به حتى مات خير ميتة ، ليحيى حياة خالدة مبشرا بها ٠

هذه قصة المؤمن القانت العابد القارىء سعيد بن زيد ٠

فاللهم اجعلنا على غراره ، وأيدنا بروح من عنـــدك لنقتدى به فالقدوة به هداية ، واجعلنا مثله ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ٠

إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا
يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

صدق الله العظيم

حارثة بن شراحيل الكلبي

رجل جاءه الخير من حيث لا يحتسب

رب ضارة نافعة !!

لم يكن هذا المثل أصدق فى تطبيقه منه فى قصة حارثة ابن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبى الذى ابتلى بضياع ولده زيد ، فآمضَّه الحزن ، ثم خرج يلتمسه فى كل موضع ، فأدى خروجه وراءه فى البحث عنه إلى هدايته هو ذاته الى الاسلام ·

كان حارثة من بنى كلب ، وكان قد تزوج امرأة من بنى معن بن طى ، ولهما من الولد وحيدهما زيد يباهيان به أهلهما ، فكان قرة العين ، وريحانة النفس ، وسعد الطالع ، والواحة التى يفىء الوالدان إليها فيشعران بالغبطة والأمان ·

وكانت الأم « سعدى بنت ثعلبة » لا تفارق صغيرها فى غدو أو رواح ، ولا فى بدو أو حضر ، ولا بليل أو نهار ، فهى تصحبه فى حلها وترحالها ، ولا تتركه يغيب عن ناظريها ، وإنها لتضيق نفسا ـ أن تمر لحظة دون أن تتملى منه وهو يلعب ويلهو ، أو وهو يقظان أو نائم ، أو وهو مقبل عليها فى غضبه وأنسه ، أو وهو يعبث بما تصل إليه يداه ·· فكان لا يعنيها شىء إلا أن تراه هانئا فتغمرها السعادة ، ويهزها الفرح ، وتستبد بها النشوة ·

كان هو حسبها من الدنيا وما عليها وما فيها من متع ·

●●●

ثم كان صباح وقد التأم فيه شمل الأسرة ، واستقبلوا هذا الصباح كما كانوا يستقبلون كل صباح سالف ، وما علم أحد منهم ماذا يخبؤه لهم مساؤه .

إنهم ليستقبلون يومهم كأحسن ما يستقبلون به اليوم .

وها هو ذا قرة العين وريحانة البيت زيد ابن الثامنة يثب هنا وهناك فلا يزجره أحد ، ثم زاد الطفل الحبيب من فرحته إذ علم أنهم ماضون لأخواله ، وهناك سوف يلهو مع أبناء أخواله ما شاء أن يلهو .

ويقبل زيد الطفل إلى أمه يحدثها بما سوف يفعله بأبناء أخواله ، فترد عليه ضاحكة ، وتضحكه ، وتحذره أن يغيب عنها فإن لهم عودة سريعة لبيتهم ... وإنها لترجو أن تعود به عاجلا .

وخرج زيد في صحبة أمه سعدى بنت ثعلبة ، وانطلقا حتى بلغا مشارف خيام إخوتها .

ولاحت للطفل على البعد خيام أخواله ، فصفق قلبه في صدره ، وزغردت الفرحة البريئة في جوانبه ، وانطلق قلبه يسابقه في لهفة عارمة وطفولة حلوة ، كأنما يريد كل منهما أن يبلغ هذه الخيام قبل الآخر .

ثم بلغ الطفل الخيام ومعه أمه سعدى .

وأقبل الأهل والعشيرة يرحبون بأختهم وابن أختهم زيد بن حارثة .

وأقبل الصغار على الصغير ، ومضوا يلعبون ويمرحون ما شاءوا أن يلعبوا ويمرحوا . لا يصدهم أحد ولا ينهاهم ثم ناه عما هم آخذون به أنفسهم من لهو ومبارزة وضحك وجرى وسباق ... ولماذا يصدهم أحد عما هم فيه وهذه صحراء بنى طى أمامهم شاسعة فسيحة !!

وأبعد الصغار فى الجرى والتسابق ، وراح بعضهم يختفى هنا والبعض هناك يظلهم المرح والسرور .

وبينما هم على هذه الحال من الغبطة إذا بكوكبة من الفرسان تلوح للناظرين من بعيد .

وانطلق الصغار ما بين راكض وواثب ومختبىء وقاذف الرمل بكفيه .

وانطلق الصغير زيد بن حارثة نحو هذه الكوكبة من الفرسان وقد أعجبه منظر الخيل عليها أصحابها ، واطرب سمعه صهيل الجياد فراح يقلدها .

وانطلق فأبعد وأمه عنه غافلة .

لكن ما لبث الصياح أن علا فى خوف ... إنها خيل « القين بن جِسر » ...

إنها خيل الطائفة التى تغير للسلب والنهب ثم تفر بما وصلت إليه أيديها ظلما وجورا .

وصادف أهل الخيل زيد بن حارثة الصغير وقد بعد عن خيام بنى معن فأخذوه ... أو قل اختطفوه ، وأصابه سباء ثم كروا عائدين به من حيث جاؤوا .

وانطلقوا بعيدين ... وغابوا عن العيون ... وغاب معهم الطفل الصغير زيد بن حارثة وراء الأفق ، وخرج بنو معن وأم زيد يبحثون عن زيد بن حارثة ... فلم تجد سعدى ابنها وحشاشة قلبها .

وانطلقت فى كل ناحية تلتمسه فلم تقف له على أثر ، كأنما الأرض انشقت فابتلعته وغيبته .

وانطلقت سعدى تصرخ وتعول وتلطم خديها وتشق ثيابها ، فما أجداها شيء من ذلك فتيلا ، ولم تستطع أن تقف على أثر لحبيبها الغالى زيد ٠

وعادت الأم كسيرة القلب ، محزونة باكية مهمومة ٠

عادت وحيدة إلا من النار ترعى فى صدرها ٠

ثم عادت إلى خيام زوجها لتفجعه بالنبأ الفادح والكارثة الكبرى ٠

واستمع إليها حارثة بن شراحيل وهو لا يملك سوى الدمع الهتون تذرفه مقلتاه فما من أحد أعز أو أغلى من الولد ٠٠٠

ومضى يجوب كل حى ينشد ابنه ، ويرسل البكاء شعرا فيه ويقول :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحى يرجّى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدرى وان كنت سائلا
أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل

فيا ليت شعرى هل لك الدهر رجعة
فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل

تذكّرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه اذا قارب الطفل

سأعمل نص العيس فى الأرض جاهدا
ولا أسأم التطواف أو تسأم الابل

حياتى ، أو تأتى على منيتى
وكل امرىء فان وان غره الأجل

ثم تجرى الأحداث بما ليس فى الحسبان حين يحج بعض ناس من بني كلاب فيصادفون الصغير زيد بن حارثة ، ويتأكدون منه ...

فلما أتموا حجهم وعادوا إلى ديارهم حدثوا أباه حارثة بن شراحيل بخبره ، فانطلق من ساعته وقدم مكة من أجل ولده زيد فوجده .

●●●

ونترك الأب والإبن زيدا لنعرف ماذا كان من خبر الغلام منذ اختطافه حتى هذه اللحظة ، وكيف وصل إلى مكة .

ذلك أن الذين اختطفوه انطلقوا به إلى سوق عكاظ فباعوه ، فاشتراه منهم حكيم بن حزام ثم وهبه لعمته خديجة أم المؤمنين ، فوهبته هى الأخرى للنبى عليه الصلاة والسلام ... فأعتقه النبى وتبناه .

ثم عرف حارثة بن شراحيل بمكان ولده فقد أخبره به أولئك الحجاج الكلبيون ، فمضى من ساعته إلى رسول الرحمة ، وسأله أن يرد عليه ولده زيدا .

وقال له : « يا ابن عبد المطلب ، ويا ابن هاشم ، ويا ابن سيد قومه ، جئناك فى ابننا عندك ، فامنُن علينا وأحسِن إلينا فى فدائه » .

ولكن زيد بن حارثة كان أثيرا عند النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وكان قريبا إلى قلبه كل القرب ، يحنو عليه حنو الأب الرحيم على ولده ، فقال المختار المجتبى :

« أدعوه وأخبره فإن اختارك فذاك !!

« وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحدا » .

●●●

وجيء بزيد بن حارثة فاختار صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام الذى وقف إذ ذاك وقال : « اشهدوا ان هذا إبنى : وارثا وموروثا » ٠

يحدث هذا كله أمام حارثة بن شراحيل الذى تعجب مما يرى ومما يسمع ، ثم طابت نفسه مما رأى ومما سمع ٠ وأيقن ان ولده زيدا واجد عند محمد بن عبدالله النبى القرشي خيرا مما يلقاه عنده ٠٠٠ وأنه واجد فيه البر والرحمة ، وكيف لا وهو رسول البر والرحمة ؟

ثم دعى النبى عليه الصلاة والسلام حارثة للإسلام فأسلم ، وأشهد على نفسه أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله ٠

واطمأن قلب حارثة بالايمان ٠

واطمأنت نفسه على ولده زيد بن حارثة ٠

ونزلت السكينة على فؤاده إذ رأى السكينة تغشى ولده ، ورأى اطمئنانه إلى حياته فى رعاية النبى محمد عليه الصلاة والسلام ٠

وهكذا كان ضياع زيد بن حارثة صغيرا سببا فى أن يجد كل من الأب والإبن نفسيهما فى الإسلام ٠ فأحسن الله خاتمتهما وصانهما من الضياع ٠ وسكن الإيمان قلب الوالد والولد ٠

هكذا كان اختطاف زيد سبيلا مؤديا إلى الرحمة الالهية، وإلى حياة برة سوية ما كان يعلمها إلا علام الغيوب ٠

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

صدق الله العظيم

خُـرَيْم بن فاتك الأسـدى
الناهى ولده عن قتل مسلم

اختلف الناس فيما بينهم منـذ القـديم متى كان إسلام خريم بن فاتك الأسدى الذى هو من خزيمة الأسـد ، فزعم بعضهم أنه أسلم يوم فتح مكة ، ولكن هذا خطأ يصححه انه شهد بدرا ، ويؤكد هذا ما رواه ابنه أيمن من أن آباه وعمه شهدا بدرا ، وآن آباه عهد إليه يومذاك ألا يقاتل مسلما ، فدم المسلم على المسلم حرام •

ولقد كان إسلام خريم فى المدينة بين يدى الرسول عليه الصلاة والسلام وفى أوائل هجرته •

وصدق إسلام خريم فساهم فى بدر وأبلى فيهـا البلاء الحسن •

وحارب يومها إلى جانبـه ابنه ايمن وأخوه سَبرَة بن فاتك •

وشهد البخارى بما يشهد بصدق شهادة الأخوين بدرا ومسـاهمتهما فيها ، وقال إن ذلك ثبت عنـده بعـد فحص وتمحيص •

●●●

ولإسلام خريم بن فاتك قصة لا نجدها فى تاريخه أو فى أى ترجمة من تراجمه ، ولكنا عثرنا عليها فى كلام حَدّث به غيره ، ذلك هـو مالك بن مالك الجنى سـماعا من خـريم ،

ومؤداها أنه كانت له ابل ترعى فضلت فهامت على وجهها فلم يجدها صاحبها حيث تركها ، فراح يطلبها فى كل مكان يظنها فيه فلم يعثر لها على أثر ، حتى إذا بلغ المسير به ماء لأسد بن خزيمة يدعونه « ابرق العزاف » فى الطريق الواصل من البصرة إلى المدينة أبصرها ترعى ، وكان التعب قد نال منه ، وأجهده طول السعى والبحث ، فود لو يستريح ويستجم إذ إطمأن إلى عثوره على إبله ، فتوسد ذراع بكر منها .

وقيل إن ذلك كان فى أول خروج النبى عليه الصلاة والسلام .

ولما اطمأن خريم بن فاتك إلى إبله واستراح فى رقدته هذه قال : « أعوذ بكبير هذا الوادى » .

قال هذا فيما بينه وبين نفسه وهو فى هذه الفلاة الشاسعة التى ليس فيها من أحد سواه .

ولكن الدهشة بلغت أقصاها منه ، بل قد إن الذعر استبد به وتملكه الخوف حين سمع عزيفا لم يتبين مصدره .

وأصاغ خريم السمع وأرهف أذنيه ، فإذا بهاتف يهتف فى صوت قوى رددته الصحراء ، واستحال الصمت المخيم إلى صوت يجلجل فى الأفق الفسيح ويقول :

« ويحك عذ بالله ذى الجلال
منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبالى
ما هول ذى الجن من الأهوال »

ورددت جنبات الصحراء هذا النداء مرات متعددة دون انقطاع .

ثم خيم الصمت من جديد فعاد كل شىء ساكنا ، وكان الأمر فى الصمت وفى غير الصمت يبعث الرهبة فى النفوس .

وتلفت خريم حوله فلم ير على امتداد البصر شيئا فقال :

يا أيها الهاتف ما تخيل
أرشد عندك أم تضليل ؟

فأجابه الهاتف بصوت مجلجل فزعت منه الإبل فهبت واقفة مضطربة واصطدم بعضها ببعض :

« هذا رسول الله ذو الخيراتِ
جاء بياسين وحاميمات
وسور بعد مفصلات
محرمات ومحللات
يأمر بالصوم وبالصلات
ويزجرُ الناس عن الهنات

ثم تلاشى الصوت كأن لم يكن ، وأعقبه صمت ليس من بعده صمت ، وحينذاك قال خريم وهو لا يدرى لمن يوجه كلامه : « من أنت يرحمك الله ؟ » .

فأجابه الصوت : « أنا مالك بن مالك الجنى ... بعثنى رسول الله ﷺ على جن أهل نصيبين » .

فقال له خريم : « لو كان لى من يكفينى إبلى هذه لأتيته حتى أومن به » .

فأجابه الصوت : « أنا أكفيكها حتى أؤديها إلى أهلك سالمة إن شاء الله تعالى » .

حينذاك اعتقل خريم بن فاتك بعيرا من ابله ، ثم انطلق به حتى دخل المدينة على نبى الرحمة ، ووافق دخوله المدينة يوم جمعة والقوم فى الصلاة .

وبينما هو ينيخ راحلته إذا بأبى ذر الصحابى الجليل يخرج إليه ويقول له : « يقول لك رسول الله ﷺ : آدخل » ، فيدخل خريم على الرسول الذى ما كاد يراه حتى قال له :

« ما فعل الشيخ الذى ضمن أن يؤدى إبلك إلى أهلها ؟ آلا إنه قد أداها إلى أهلك سالمة » .

فقال خريم : « رحمه الله » .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « أجل ، رحمه الله »

وإذ ذاك نطق خريم بالشهادتين ، ودخل فى عداد المسلمين ، وصار صحابيا .

ولقد شهد خريم الحديبية ، وكانت له صحبة .

وروى عن الشفيع الهادى بضع أحاديث ، منها ما قاله عليه الصلاة والسلام إذ رآه : «أى رجل أنت لولا خلتان فيك»

قال : « وما هما يا رسول الله ؟ » .

قال : « تسبل إزارك وترخى شعرك » .

فقال : « لا جرم » .

ثم ذهب فجز شعره ورفع إزاره .

وعرف خريم الإسلام ، وحببه إلى نفسه ما يرمى إليه من تأكيد الأخوة ، وأن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، حتى لقد نهى ابنه أيمن عن قتال أى مسلم نهيا بلغ حد التحريم ، وأوصاه بحسن الخلق .

وتأكد ذلك حين طلب مروان بن الحكم من أيمن بن خريم أن يقاتل الضحاك بن قيس يوم مرج راهط ، فذكر له أيمن أن أباه نهاه أن يقاتل مسلما ، وأنه متبع وصية أبيه لا يحيد عنها فيضل السبيل ، وأنه لا يحارب أحدا يشهد أن لا إله إلا الله .

فألح عليه مروان وأغلظ فى السؤال فلم يجد أيمن مفرا له مما يرغمه عليه ابن الحكم إلاّ أن يقول له : « إن جئتنى يا ابن الحكم ببراءة من النار قاتلت معك » .

فلم يتمالك مروان بن الحكم نفسه من الغيظ وسب أيمن ، فكان جواب أيمن بلسان مؤدب أدّبه به الاسلام وتعالى عن اللفظ النابى برد به على مروان ، ولم يخرج عما علمه أبوه وقال :

ولست مقاتلا رجلا يصلى
على سلطان آخر من قريش .
له سلطانه وعلى إثمى
معاذ الله من سفه وطيش
أأقتل مسلما فى غير جرم ؟
فلست بنافعى ما عشت عيشى

هكذا أدب الأب ابنه فى صغره فانعكس روحا إسلامية خالصة يوم الامتحان .

●●●

ويروى صحابينا عن الرسول تصنيفه للناس إذ سمعه يقول :

« الناس أربعة : موسع عليه فى الدنيا والآخرة
وموسع عليه فى الدنيا ، مقتور عليه فى الآخرة .
ومقتور عليه فى الدنيا موسع عليه فى الآخرة .
وشقى فى الدنيا والآخرة » .
وصدق الرسول الهادى والمؤدب العظيم .

وبعد فهذا خريم بن فاتك ..

هداه الله فاهتدى ، وهدى غيره ، وحسن عمله منذ اهتدى •

وحسبه تزكية أن قال فيه الأمين المأمون « نعم الرجل خريم الأسدى » ، فيا نعماه اذ نعت بهذا النعت من الصادق البشير الذى لا ينطق عن الهوى •

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾

صدق الله العظيم •

دُعثور بن الحارث

ترك قومه كافراً وعاد إليهم مؤمناً

كان دُعثور بن الحارث بن محارب في بداوته وجاهليته كارها للإسلام وللرسول عليه الصلاة والسلام ، يتربص بالمؤمنين الدوائر ، وكان دعثور رئيسا في قومه غطفان ، مسموع الكلمة فيهم ، يكره أهل الايمان .

ولذلك أخذ يحرض منّ حوله لمحاربتهم ، وانضم إليه جمع من « ثعلبة » حتى إذا تكاثرت جموعهم تأهبوا للإغارة على المسلمين .

وكان خطر « دُعثور » أنه يقيم على أطراف النواحي التي يوجد فيها المسلمون ، ومن ثم كان قادرا على ضربهم وإنزال الأذى بهم ثم يهرب لا تناله يد بالعقاب ، ويعجز عن اللحاق به مطاردوه إن هم أرادوا دفعه أو تأديبه .

وعلم النبي الكريم بمن جمعهم دُعثور وما أعدوه من سلاح لقتاله ، فنادى في المسلمين بالخروج إليهم فأطاعه أصحابه وخرجوا ، وكان هو على رأسهم وجعلوا وجهتهم « ذا أمر » وهي من ديار غطفان .

وسمعت الأعراب بمقدم الرسول عليه الصلاة والسلام في جند الرحمن ، وأدركوا أنهم غير قادرين على الوقوف في وجوه المسلمين ، فانطلقوا الى ذرى الجبال يعتصمون بها

وإن لم يكن لهم عاصم يومذاك من آمر الله ومن قوة المسلمين إلا من رحم الله فاهتدى فكان من الناجين ، والله ينجى الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ·

وعلم النبى الكريم بهروب العدو إلى الجبال من رجل أمسكه المسلمون بذى القصة ـ وهو موضع قريب من المدينه تلقاء نجد ـ ، فلما جىء بهذا الرجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم دعاه للإسلام فأسلم ، وأتم الله نعمته على هذا الرجل على غير انتظار ، فاهتدى ثم قال لرسول البر والتقوى :

« يا محمد ، إن قومى لن يلاقوك ·· لقد سمعوا بمسيرك فهربوا إلى رؤوس الجبال ، وأنا سائر معك ، ودالك على عوراتهم » ·

●●●

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام بالرجل وضمه إلى بلال فأخذ به طريقا أدى إلى كثيب ، فلما رأى الأعراب المسلمين هرب باقيهم إلى الجبال وغيبوا سرحهم وذراريهم هناك ، فلم يصادف الرسول منهم أحدا ·

وكان العدو بقيادة « دعثور بن الحارث » الذى ظن أنه آمن فى هذا المكان الذى لجأ اليه بمن معه ، وطيب خاطر من لفوا لفه بأن المسلمين لابد وأن ينالهم التعب والسأم ، ولا مناص لهم إذاك من الانطلاق للعودة إلى المدينة ، وحينذاك ينزل عليهم « دعثور » بمن جمعهم ، وتكون له ولمن فى ركبه الغلبة على أهل الحق ·

آلا ساء ما قدر « دعثور » وخاب فأله ، وطاش سهمه وما النصر إلا من عند الله لجنده وليكبت الذين كفروا فينقلبوا خائبين ·

●●●

وتريث المسلمون فى « ذى أمر » ..

وأمطرت السماء مطرا غزيرا ، وذهب النبى لحاجته وقد جعل الوادى بينه وبين أصحابه ، وأبعد فما يراه أحد منهم ، ولا هو براء أحدا منهم .

وبل المطر ثياب النبى صلوات الله وسلامه عليه فنزعها ونشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها ... كل ذلك والأعراب ينظرون إلى ما يفعل ، وحينذاك جاؤوا الى صاحبهم « دعثور » وقالوا له :

« قد أمكنك محمد من نفسه .

« انه انفرد عن أصحابه فلو أنه استغاث لم يغثه أحد منهم ، وانهم البعيدون عنه لا يجيئونه حتى تكون قد أنفذت أمرك فيه وقتلته ... وإنك إن تقتله يتفرق أصحابه وإذ ذاك نكرّ عليهم ونسلبهم وننهبهم » .

تأمل دعثور ما قالوا ، وأدرك صحة ما أخبروه به ، وان كان ماقالوه رجسا وإثما، ومن ثم اختار سيفا صارما من سيوفهم ، ومضى وقد أجمع العزم على قتل رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، وانطلق حتى بلغه وهو نائم على التراب ، فسل سيفه والموت يبرق فى حده ، ووقف على رأس المصطفى وقال له :

« يامحمد ... أنا دعثور بن الحارث ... قد عرفتنى وعرفتَ بأسى وبطشى ونكالى .

« انه ليس عليك من ثياب سوى قميصك ، وما فى يدك من سيف ، وليس حولك من أحد .

« ولئن استصرخت فلن يغيثك أحد من أصحابك فقد بعدت عنهم ...

« أنظر يا محمد هذا السيف فى يد ما اضطربت أبدا ولا هوت به إلاّ قطعَت .

« فمن يمنعك منى اليوم ؟ » .

وصدق دعثور فيما قال إلا فيما قاله عمن يمنع النبى منه ﷺ ، فقال له رسول الرحمة : « الله عز وجل » .

وما كان لدعثور أن يفهم معنى الذى قاله النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

وما كان له أن يدرك أن الله مانع رسوله منه .. ففؤاده غلف ، ولم يعرف الهدى حتى يدرك صدق مقال الأمين المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام .

وصدق الله نبيه ... فحفظه ...

وجاء جبريل عليه السلام فدفع « دعثور بن الحارث » فى صدره دفعة جبارة اضطرب لها ، ووقع السيف من يده فتناوله الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم قام على رأس دُعثور وقال له : « من يمنعك منىّ اليوم يا دُعثور ؟ » فأجابه : « ولا أحد يا محمد !! » .

ثم كانت قالة الحق الكبرى أجراها الله على لسانه إذ قال :

« أنا أشهد أن لا إله إلا الله » .

« وأشهد أنك يا محمد رسول الله » .

●●●

هكذا أسلم دعثور بن الحارث ، وعلى هذه الصورة كان إسلامه ودخوله فى سلك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم عاد دعثور إلى قومه فسألوه من منعه من أن يقتل محمدا وقد أمكنه محمد من نفسه ، فقال لهم :

« والله لقد كان الذى تقولون .

« ولكنى نظرت إلى رجل أبيض طويل دفعنى فى صدرى فوقعت لظهرى ... فعرفت أنه ملك .

وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

والله يا قوم لا عدت أكثّر عليه .

« ولقد علمتم من أنا فيكم .. فاسمعونى .. وأسلموا وأطيعونى » .

فأطاعوه ودخلوا ــ كما دخل هو ــ **دين الله** ، ونزل ــ كما قيل ــ **قوله تعالى :**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)

صدق الله العظيم .

هذه قصة إسلام دعثور بن الحارث .

خرج كافرا شريرا وعاد مؤمنا خيرا . وحسنت عاقبته، فرجع إلى قومه وقلبه يفيض بالإيمان والرحمة والخير .

فأحسن اللهم عاقبتنا مثلما أحسنت عاقبة دعثور ، وأفض علينا رحمتك إنك أنت العلى القدير .

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧)

صدق الله العظيم .

أنس بن النضر

خادم النبي شهيد أحد

أنس بن النضر بن ضمضم : صحابي أنصاري من بني عدي ابن النجار ، ومن أسرة أنجبت أكثر من صحابي ، وان كان منهم مالك بن النضر الذي ضرب الله على قلبه فلم يهده للإيمان ، فكان عبدا للخمر التي ترك من أجلها الأهل والزوجة والولد ، وهاجر هجرة ملعونة فترك البلد ، فأهلكه الله بسبب سوء طويته ، وافتقاره إلى الهدى .

غضب الله عليه ، ومن غضب الله عليه فإنه ملعون في الدنيا والآخرة وأعد له عذابا عظيما .

هكذا كان حال هذا الرجل وأما أنس بن النضر فهو عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ .

وكان أنس بن النضر في جاهليته موقرا في قومه ، مسموع الكلمة فيهم ، نافذها بينهم ، إذا تكلم فالجميع من حوله يستمعون الى رأيه ، ويكبرون حصافته ، فان هو أشار عليهم بشيء فعلوه فكانت اشارته أمرا ، ومن ثم سمي أخوه ولده باسمه تيمنا به ، عسى أن يكون الولد كعمه ، وصح ما تمناه فكان الإثنان في الإسلام — حين أشرق نوره — من أفاضل الصحابة .

وقد أسلم العم قديما اذ هو من الأنصار الذين آمنو أول الدعوة ، والتزم بعمود الدين ، وعد الجهاد في سـ الله طريقا لمرضاة الله عز وجل ، والراحة التي ما بعدها

راحة لنفسه ، ومن ثم فقد دافع عن الدين دفاع المؤمن الصادق لا يرجو الا أن تعلو رايته ، ويخفق لواؤه عاليا ، ويهدى الله به الناس حتى لا يكونوا للجحيم وقودا ٠

لذلك كان حريصا غاية الحرص على أن يشترك فى المشاهد التى شارك فيها رسول الله ﷺ ، وهو وإن فاته بدر فلم تفته أحد ، فشارك فيها فخصه الله بأكرم ميتة فقد استشهد وهو يحارب الكفر ، ويقاتل الطاغوت ٠

لقد عز عليه أنه لم يساهم فى بدر ، وأحزنه أنه غاب عنها وعن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأخذ يلوم نفسه ، ثم وهب هذه النفس للبارىء جل وعلا، وللجهاد ان مكنه الله فى جهاد بعد هذا اليوم ، حتى انه ليقول للنبى صلوات الله وسلامه عليه :

« يا رسول الله ، لقد غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين ٠

«والله لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع» ٠

وصدق أنس بن النضر فيما قاله للرسول ، ولم يكن مرائيا فيما قال ولا مغاليا ولا منافقا ٠ فلقد ترجم عما فى نفسه ، وهل كان فى نفسه غير الصدق والوفاء ؟

وشاء الله أن تتحقق أمنية أنس بن النضر المجاهد المسلم، والصحابى الصادق الإيمان وكان ذلك يوم أحد ٠

رأى أنس بن النضر أعداء الله قد جمعوا عسكرهم لمحاربة عسكر الله ، وساروا تحت راية الكفر ولواء الشرك ، وكان الشيطان يصرخ فيهم مثيرا جاهليتهم فأطاعوه واستجابوا له ، وصموا آذانهم عن دعوة الحق فعميت منهم القلوب ٠

وأقبل أنس يخوض المعركة بروح الفارس المعلم ٠٠٠

وأبلى أنس يومذاك بلاء أكبره فيه المسلمون وغاظ به الكفار فخافوا منه ، وودوا لو يكسرونه ، وإذ ذاك ينتقمون منه ميتا بعد أن أعياهم حيا ، ودوخهم فأذلهم ٠

وراحوا يترقبون فرصة تواتيهم فيمثلون به ٠

لقد كان اليوم يوم أحد ، وكان يوما أوله للمسلمين وآخره عليهم ٠

لم يظهر فيه عدوهم عليهم لقوة يغلبهم بها ، ولكن لعدم امتثال البعض منهم لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد بارح هذا البعض (وكانوا كثيرين) أماكنهم على غير أمر من القائد الملهم فانكشفوا ٠٠٠ وانكشفت بقية إخوانهم ، فجازاهم الله على تقصيرهم ٠

●●●

وصرخ الشيطان بالكذب أن قد قتل محمد ٠

وسمع المسلمون ما قاله ، وكان حريا بهم أن يستعيذوا بالله منه ومما سمعوا ، لكن اضطربت صفوفهم ، وراح بعضهم يحارب بعضا وهم لا يدرون أنهم إنما يقتل بعضهم بعضا ٠

ورأى أنس بن النضر المسلمين وقد انكشفوا عن رسول الله ﷺ فهاله ما يرى ٠٠٠ وخاف مغبة هذا التقصير ، وخشى أن يبلغ المشركون غايتهم الشريرة ، واذ ذاك يرفعون رأسهم ويرفعها معهم الكفر والشرك ، وحينذاك تزغرد الجاهلية الكلحاء زغاريدها التى هى أقبح من فحيح الأفعى ٠

حينذاك صرخ أنس بن النضر فى المسلمين وقد انكشفوا عن نبيهم ٠

وأبصر أنس رهطا من المسلمين فيهم رجال أمثال عمر بن الخطاب وطلحة قعودا ، فسألهم ما بهم فقالوا : « قتل رسول الله ﷺ » ٠

فقال لهم قالة حق أذهبت عنهم الجزع وردت اليهم رشدهم فثابوا الى الحق اذ قال :

« لئن قتل محمد فما تصنعون بالحياة بعده ؟ ٠

« قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ » ٠

ثم صاح بصوت مدو ردد الأفق صداه ، وأنصتت له الأرض والسماء :

« اني أعتذر اليك يارىي مما صنع هؤلاء المسلمون » ٠

« وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون !! » ٠

ثم اخترط سيفه وهزه هزة الكمى البطل والمغوار الصنديد، وتقدم غير هياب ولا وجل، واستقبله سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال له أنس :

« يا سعد ٠٠٠ هذه هى الجنة ٠٠٠ ورب أنس إنى لأجد ريحها فيما وراء أحد » .

●●●

هكذا تقدم أنس وهو مدرك أنه ملاق الموت

تقدم محاربا وهو يرجو الشهادة ويسعى إليها ٠

تقدم وهو يدرك أن الشهادة طريقه الى الجنة ، ونعم الطريق ، وطوباها من خاتمة ٠

وقاتل أنس وقاتل ٠٠٠ لم يلق سيفه ، ولا تراجع أمام عدو كافر ، ولا وهن عزمه ٠

قاتل أنس الكفار ــ قاتلهم الله ــ فأبلى خير بلاء ٠

ويصف لنا سعد بن معاذ كيف صنع أنس فى هذا اليوم وما قام به من دور بطولى فيقول :

« فما قدرت والله على ما صنع أنس ٠

« ولا استطعت الذى استطاعه أنس » ٠

وصدق سعد بن معاذ المؤمن الكريم ، فقد دخل أنس بن النضر بين صفوف الأعداء المشركين يعجل بمن يصادفه إلى جهنم وبئس القرار ، فجاءه منهم سفيان بن عويف فضربه فقتله فمات شهيدا .

● ● ●

ولما فرغ الجانبان من القتال وراح كل فريق يجمع قتلاه عثر المسلمون على صاحبهم أنس بن النضر بين الشهداء وبه — كما نقل ابن الأثير — بضع وثمانون ضربة ، ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم .

ولم يكتف المشركون بذلك بل راحوا يمثلون به أبشع تمثيل حتى خفيت معالمه ، فلم يعد أحد بقادر على أن يتبينه سوى أخته التي عرفته ببنانه ، فدلت عليه ، فوجدوه على ما ذكرنا أشلاء ممزقة .

● ● ●

وقال أنس بن مالك : كنا نظن أو نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه وهي قوله تعالى :

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

صدق الله العظيم

هذا هو أنس بن النضر كان صحابيا مؤمنا ، وعاش في هذه الدنيا مسلما صادقا ، ومات — حين قضى الله له أن يموت — مجاهدا شهيدا .

وهذا هو أنس بن النضر الذي قال عنه عمر بن الخطاب وقد رأى خاتمته : إني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده يوم القيامة » .

لقد أراد الكفر له العاجلة فكان له ما أراد، وأراد آنس الآخرة فطوبى له ما أراد :

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

صدق الله العظيم .

أبو بصير بن أسيد

لقد جعل الله له وللمستضعفين فرجا

الصحابى الكريم أبو بصير ذو شأن كبير فى حدث ضخم فى تاريخ الإسلام والدعوة الإسلامية ونعنى به صلح الحديبية • ومع ضخامة دوره إلا أن الناس اختلفوا فى إسمه ، فمنهم من قال إن اسمه « عبيد » ، وقال آخرون بل هو « عتبة » ، فتلاشى الاسم وبقيت الكنية ، وصار بها علما لا يحتاج إلى تعريف •

ومهما يكن الأمر فهو أبو بصير بن أسيد (بضم الهمزة وفتح السين ، وقد يقال بفتح الهمزة وكسر السين) بن جارية (وقد يكون بالراء أو الزاى) ، وكان حليفا لبنى زهرة ، وحين يتكلم عنه بعض المؤرخين يتركون ذلك كله ليقولوا فى التعريف به : « رجل من قريش ••• ثقفى » •

ومع أن هؤلاء لم يبعدوا إلا أنهم لم يضعوه فى مكانه اللائق به ، فأمثاله من الرجال قليلون فى كل زمان ومكان ، فإن كان الحديث عن الصحابة فقد أوجد الإسلام من هذه القلة كثرة ، وما أبو بصير إلا نمط من رجال تمسكوا بمبادئهم ودافعوا عنها ، لم يضرهم أن ينالهم ضر قد يصل بهم إلى الهلاك ، فقد كان صاحبنا من المتمسكين بدينهم ، ولا يكتمه بل يجاهر به ، ويقذف بالحق فى وجه الكفر والظلم فيدمغه فإذا الكفر زهوق •

كان أبو بصير قرشيا اعتنق الإســلام فى مكة فى وقت لا ندريه ، لــكن الأغلب أنه اعتنقه فى وقت كان الرســول عليه الصلاة والسلام إبانه لا يزال بالبلد الحرام جاهدا يدعو الناس إليه، وكان أنصاره يومذاك رهطا قليلا فى مجتمع كله كفار ، ولكن ســوف يقدر لهــذه القلة أن تكون هى تاريخ الإسلام : دينا ودولة ، وحــكومة وفكرا ، وعقيدة وفقهــا ، وجهادا وأخوة صادقة ٠

كان أبو بصير لا يزال بمكة حتى فى الوقت الذى هاجر فيه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة ٠

لكنه كان عــلى الحنيفية يعيش كما يعيش كل من فى البلد الحرام من أمثاله ، زادُهم التقوى وهى خير زاد ، يتلمسون الدين الذى ارتضاه الله لخلقه منذ أن برأ الله الخليقة ٠

وكان أبو نصير من آحاد الناس ، وهذا سر قولَ المؤرخين عنه إنه رجل من قريش ولا يزيدون على ذلك فى الوقت الذى تحدى فيه قريشــا حتى أرغمها عــلى أن تطأطىء هامتهــا ، وتناشد الرسول الكريم الله والرحم أن يبعث الى أبى بصــير حتى لا يعرض لعيرهم ، وهو الذى أرغم قريشا على أن تقول لمحمد عليه الصلاة والسلام إنها لا تصر على أن يرد إليها من جاءه من ناحيتها بغير إذن وليِّه ، معلنا اليه إسلامه ٠

كان إسلام أبى بصير إسلاما صادقا ٠

وكان إيمانه بالله ورسوله إيمانا عميقا ٠

وكان كفره بالشرك والمشركين واضحا قويا ٠ ذلك لأن الحلال بين والحرام بين ، ولا مهادنة بينهما أبدا ٠

لقد كان بين المسلمين وقريش صلح فى السنة السادسة للهجرة هو صلح الحديبية ، اصطلح فيــه الجانبان عــلى أن يضعا الحرب عشر سنين ، يأمن فيها النــاس ، ويكف بعضهم عن بعض ٠

وتضمَّن هذا الصلح أن من جاء محمدا عليه الصلاة والسلام من قريش بغير إذن قريش رده النبى إلى قريش ٠

ومن جاء قريشا ممن مع محمد صلوات الله وسلامه عليه لم يردوه على النبى ٠

●●●

وقبل الرسول الحكيم الصلح ، وأنكره عمر فى نفسه فقد ظن ان فيه إعطاء الدنية فى الدين ، فرده آبو بكر قائلا له : « الزم عزرك يا عمر » ٠٠٠

فاستغفر عمر ربه ٠

وكان أبو بصير من المسلمين الذين حبسوا فى مكة عن الهجرة إلى المدينة ، حتى هيأ الله له فرصة يفر فيها إلى رسول الله المجتبى ٠

وانطلق أبو بصير إلى المدينة المنورة راجلا لم يجد ظهرا يركبه ، ولم يكن له أنيس فى رحلته سوى ايمانه ٠٠٠ والإيمان سلاح المسلم الصادق الذى لا يفل ٠

ودخل أبو بصير على الرسول الكريم وأصحابه المسجد على غير توقع من أحد ، فزغردت الفرحة به فى قلوب اخوانه المؤمنين ورحبوا به ٠

ها هو ذا أبو بصير يجىء إليهم ولكن من غير إذن قريش ٠

ولكن كان بينهم وبين قريش عهد أن يردوا إليها من جاءهم من عندها بغير إذن وليه ٠

وتحير المسلمون ٠٠٠ أيردونه إلى قريش ٠٠٠ ؟

إنهم إن يفعلوا ذلك فقد أسلموه بأيديهم إلى الكفر والى الكفار يعذبونه لاسلامه ٠

وبينما هم يفكرون فى الأمر ما يصنعون اذا برسول من آزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفى يدخل على

الرسول وأصحابه ، وقد بعثاه الى النبى الطاهر الأمين ليرد عليهما أبا بصير إذ خرج من مكة دون إذن قريش ·

وقدم مولى المشركين : الأزهر بن عوف والأخنس بن شريق على رسول الله ﷺ ومعه كتاب منهما بشأن أبى بصير ·

ودعا الرسول إليه ابى بن كعب ليقرأ له الكتاب الذى يقولان فيه « قد عرفت ما شرطناك عليه ، فابعث الينا بصاحبنا » ·

عبارة موجزة لكنها تنطوى على أمر وخيم العاقبة ان رد المسلمون أبا بصير ، ووخيم العاقبة أيضا إن هم حجزوه عن قريش ·

وعرف المسلمون الكتاب ··· وعرفوا أن الكفار يتمسكون بالشرط الذى بينهم وبين المسلمين فى أن يرد عليهم النبى أبا بصير الهارب من عذاب الكفر إلى جنة الإيمان ورسول الإيمان ·

●●●

وجاء عليه الصلاة والسلام الى صاحبه أبى بصير وقال له :

« يا أبا بصير ··· إنا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ···

« ولا يصح لنا فى ديننا الغدر ·

« وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ·

« فانطلق إلى قومك » ·

كانت لحظة عصيبة قاسية أن يسلم الأخ أخاه المسلم للسفاك يسفح دمه أمام عينيه وهو لا يستطيع له دفعا ·

وقال أبو بصير للنبى الشفيع : « أتردنى يا رسول الله الى المشركين يفتنوننى فى دينى؟» فقال الهادى : «يا أبا بصير

... انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » .

وصدق رسول الله ﷺ .

وستثبت الأيام والأحداث صدق كلمته ، وبُعد نظره ، وسداد رأيه .

●●●

ما كان لأبي بصير أن يخالف أمرا قضى به النبي عليه الصلاة والسلام .

وما كان لأبي بصير إلا أن يصدع لما يؤمر به ... وأقبل يقول فيما بينه وبين نفسه :

« ومن تكون أنت يا أبا بصير وقد أمرك النبي عليه الصلاة والسلام بما أمرك ؟ .

« وهل كنت يا أبا بصير إلا سامعا ومطيعا لنبي الأمة ؟ .

« لقد وعدك الصادق الأمين بأن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

« فليكن لك يا أبا بصير من إسلامك جنة .

« ولتصبر يا أبا بصير وما صبرك إلا بالله ، واستعن على ما أنت فيه بالصبر والصلاة ، ولا تتخاذل أمام القوم الكافرين فتتردد فيما أمرك به محمد فتتردى في الجحيم إذ تعصى أمرا قضى به الرسول ﷺ .

« وإن لك في رسول الله أسوة وعبرة .

« وإن لك فيما فعلته قريش بالرسول يوم كان بمكة عظة ... فلتسر على دربه ، ومن سار على دربه فالله هاديه ، والنجاح حليفه ... والعبرة بالخواتيم » .

بمثل هذا راح أبو بصير يفكر .

●●●

وانطلق أبو بصير مع الرجل الذى جاء إلى الرسول الكريم فى طلبه ومعه آخر ، فأما أحد الوفد فكان رجلا من بنى عامر بن لؤى وهو خنيس بن جابر ، وأما الآخر فمولى يقال له كوثر ٠

واتجه الركب نحو مكة ٠

والطريق بين مكة والمدينة طويل وليس معهما من ظهر يركبه أبو بصير ٠

وخرج الرجلان القرشيان وهما يظنان أن قد بلغا الغاية التى جاءا من أجلها ، وأدركا ما سوف تكون عليه فرحة الأزهر بن عوف والأخنس بن شريق إذ رد أبو بصير الآبق إليهما وإن كان رده جرحا للمسلمين ٠

وبلغ ثلاثتهم ذا الحليفة ٠

وتذكر أبو بصير كيف كان وداع إخوانه فى الدين إياه حين فارقهم بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

ويرن فى أذن أبى بصير صوتهم وهم يسرون إليه :

« يا أبا بصير ٠٠٠ أبشر فإن الله جاعل لك مخرجا ٠٠٠ وإن الرجل الواحد قد يكون خيرا من ألف » ٠

وأنهوا إليه أن يفعل ما فيه نجاته ٠

وتوقف الركب الماضى إلى مكة وفيه أبو بصير ، وكان توقفه عند ذى الحليفة كما قلنا ٠

ودخل أبو بصير مسجد ذى الحليفة فصلى ركعتين صلاة المسافر ، ثم مال إلى جدار المسجد وأخرج زاده وجعل يأكل ٠

ودعى رفيقى رحلته للأكل فأقبلا ولكن بعد تمنع ٠

ثم جاءا بما معهما من زاد فإذا هو كسرة خبز فأكلوا ٠

وتحدثوا ٠٠٠ فسرهما حديث أبى بصير وإنسانيته ٠

وأسند العامرى سيفه الى حجر فى جوار المسجد ، فسأله أبو بصير أن يريه إياه فلم يبخل عليه بما طلب ، وناوله الحسام .

وكانت لحظة العمر إذ ذاك ... فقد أمسك أبو بصير بقائم السيف وهوى به على العامرى حتى لفظ أنفاسه ، وخرجت روحه النجسة .

●●●

ورأى كوثر مولى العامرى ما حل بصاحبه العامرى ، فاستبد به الذعر فانطلق يسابق الريح نحو المدينة فدخلها وقد أعجز أبا نصير أن يلحق به .

ولكن أين يتجه ... ؟

لقد اتجه المولى العامرى إلى المسلمين وهم على غير دينه ، فقد كانت الجاهلية دينه ... ان كانت الجاهلية دينا .

ودخل كوثر على الرسول الكريم فزعا فقال الهادى اذ رآه : « هذا رجل قد رأى ذعرا » .

وقص كوثر الخبر .

وما هى إلا ساعة حتى جاء أبو بصير ممتطيا بعير العامرى ومتوشحا سيفه ومعه سلبه ، وقال لرسول الله ﷺ .

« يا رسول الله ... وفت ذمتك وأدى الله عنك . وقد أسلمتنى بيد العدو ، ولكنى امتنعت بدينى من أن أفتتن » .

فقال رسول الرحمة : « ويل أمه ... محش حرب لو كان معه رجال !! » .

وصدق الصادق الأمين، محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

لقد كان أبو بصير كما نعته الأمين المأمون محش حرب ، وأظهر من البسالة ما أعجز قريشا ودوخها ، وأرغمها على الركوع على قدميها سائلة متوسلة ، وقد أدركت خطأها .

●●●

وخرج أبو بصير حتى أتى العيص يترصد عيرا لقريش في طريقها إلى الشام .

خرج وليس معه من الزاد غير كف من تمرات أقام بهن صلبه ثلاثة أيام ، وكان يأتى الى البحر حيث يصيب حيتانا قد ألقاها البحر فيأكلها .

وسمع المسلمون الذين حبسوا بمكة بأمر صاحبهم أبى بصير ، فراحوا يتسللون واحدا إثر الآخر حتى صاروا سبعين نفرا اجتمعوا عند أبى بصير وأمروه عليهم ، فكان يصلى بهم، ويبين لهم الحرام من الحلال .

وقوى بهم أبو بصير بل قوى بهم المسلمون أنى كانوا . وأزعجوا قريشا وباتت لا يقر لها قرار ، ولا يهدأ لها بال .. وكيف يهدأ بالها وهى ترى رهط أبى بصير يزداد يوما بعد يوم ، وسبل تجارتها مهددة ، والذين يخرجون مع هذه التجارة مخاطرون لا يأمنون على أنفسهم وعيرهم وما معهم من تجارة من أن يعرض لهم أبو بصير ورفقته ، ويترصدونهم هنا وهناك ... والتجارة عصب حياة قريش .

ثم كانت دية العامرى المقتول فتنازع سهيل بن عمرو وأبو سفيان أمرها .. ورفض أبو سفيان أن تديه قريش ، وأصر ألا تخرج قريش دية للعامرى .

وكادت الفتنة أن تقع بين رؤوسهم .

●●●

ثم راحوا يتدبرون ما كان من أمر أبى بصير ، وأدركوا خطر الذى جرى من هذا الرهط المسلم ٠

ها هو ذا محمد قد أوفى بعهده ، والتزم بشرطه الذى اشترطوه عليه ٠٠٠ فرد إليهم أبا بصير ٠٠٠ وبذلك لم يخن العهد ولا شجب الصلح ٠

لقد أرسل محمد أبا بصير كما طلبت قريش ولم تعد له قدرة عليه فهو فى أيدى الرجلين وبالتالى فى يد قريش ٠

ولكن أبا بصير راح يناوىء قريشا ، وازداد الذين معه ومن على شاكلته ممن يناوئون قريشا وممن أفسدوا عليها طريق تجارتها فلم يعد آمنا ٠٠٠ والتجارة هى شريان حياتها ، وانها لترفع من قدرها عند العرب عامة ، فكيف حالها الآن وقد أصبحت مهددة ٠

وأخذت قريش تبحث الأمر فيما بينها وبين نفسها ، واجتمع ملؤها وانطلقوا يستعرضون ما جرى ، وأدركوا الخطر الجسيم الذى ألحقه بهم هذا الرهط المسلم فكتبوا الى الرسول عليه الصلاة والسلام يستحلفونه ألا يعيد اليهم أبا بصير وأصحابه ٠

وبعث الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى أبى بصير يخبره بما كان من شأن قريش ويسأله أن يحضر إليه هو ومن معه ٠

ووافى الكتاب أبا بصير وهو يلفظ أنفاسه ٠

ومات وبين يديه كتاب الأمين الهادى ٠ وإذ ذاك قبره أصحابه حيث مات ٠٠٠ وصلوا عليه ، وصدق رسول الله إذ بشر أبا بصير والمستضعفين أن سوف يأتيهم من الله فرج ومخرج ٠

وصدقت فراسة النبى الملهم حين رضى أن يرد إلى قريش من جاءه من عندها بغير إذن وليه ٠

لقد هدى الله آبا بصير المسلم إلى الطريق الذى كان درسا لقريش ونصرا للإسلام وخذلانا للكفر .

فسلام الله على أبى بصير فى إسلامه وفى حياته وموته .

وسلام الله على كل مجاهد فى سبيل دينه ووطنه وأرضه .

فَإِذَا
بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا
ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ
أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)

صدق الله العظيم .

عبد الله بن سهيل العامرى

رجل أحب الله ورسوله فوق حبه للأهل والولد

كان لعبد الله بن سهيل بن عمرو العامرى صحبة ، وكان أبوه سهيل من أشراف قريش وممن قاموا ضد المسلمين ٠

وقد تأخر إسلام الأب إلى يوم الفتح ، فلما أسلم حسن إسلامه ، والتصق بعمود الدين حتى قيل إنه لم يكن أحد أكثر منه صلاة ولا صوما ولا صدقة ، وصار رقيقا عند تلاوة القرآن ٠

أما الإبن عبد الله فقد أسلم مع من أسلموا من المسلمين الأوائل ٠

وهاجر مع الذين هاجروا إلى الحبشة ، ثم عادوا فعاد معهم ٠

ولما كان إيابه من الهجرة الثانية ورجع إلى مكة أخذه أبوه عنده وكان لا يزال على الكفر ، وجعله تحت عينه حتى لا يفر إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، وراح يفتنه فى دينه بالترهيب أونة وبالترغيب أخرى ، فما لان عبد الله ولا استكان ، ولا تبرأ من الإيمان ، ولا كفر قلبه برسوله ، فقد استمسك بالحق فغفر الله من ذنوبه ما تقدم ، وأجاره من عذابه ٠

لكن صاحبنا الصحابى عبد الله بن سهيل رأى أن يتظاهر بما أراده الكفار منه ، وإن كان الإيمان الصادق كل الصدق فى أعماقه ٠

وكان أبوه سهيل لا يدع وسيلة يظنها تصرفه عن إسلامه إلا عمد إليها واتبعها معه .

وتظاهر عبد الله بن سهيل بما ظنه الكفار إنصرافا منه عن محمد ودينه .

وجازت الحيلة على أبيه سهيل وعلى ملأ من قريش ، فظنوه قد برأ مما يكرهون .

لكن خاب ظن الكافرين الكاذبين . وما علموا أن الإسلام قد جرى فى قلبه مجرى الدم وانه لن يكفر أبدا .

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

صدق الله العظيم

وجاء يوم بدر ... ، وما أدراك ما يوم بدر ... يوم رفعت راية الإسلام خفاقة منصورة .

وخرجت قريش بجموعها فى ذلك اليوم وقواتها ورجالها وخرج معهم صحابينا عبد الله بن سهيل الذى لم يرتب فيه أحد من الكفار ، وأيقنوا ـ جاهلين ـ انه قد جب ما كان قد حوله عن دينهم وآلهتهم .

وربما أقبل بعضهم على بعض فى ذلك اليوم يرون أن كل الذى كان منه : من الاسلام ومن الهجرة الى الحبشة انما كان نزوة طارئة عبرت ، وسحرا بطل ، ووهما تبدد .

ونزل عسكر الشيطان وجند الرحمن عند بدر ، ووقف المصافان وجها لوجه ، واستعد كل فريق للفوز على خصمه .

حينذاك رآها عبد الله بن سهيل فرصة العمر التى لن يجود الزمان بمثلها ثانية ... إنها فرصة يهاجر فيها عبد الله بن سهيل مرة ثانية إلى الله ورسوله ، فإذا به ينطلق من صفوف المشركين ، ويمضى قدما إلى كتيبة المسلمين المجاهدين .

وكان ما فعل طعنــة للكفــار فقــد حز فى نفوسهم ، وطعنهم فى كبريائهم ، ومرغ أنوفهم فى الوحل أن يروه قد انفصل عنهم دون أن يستطيعوا منعه ٠

اذن لقد كان عبد الله يسخر بهم طوال هذه الفترة ٠

فياذلة كبرياء الإثم وقريش وقد صفعها عبد الله وآذلها ٠

ويا للطعنة النجلاء تدمى قلوبهم فى يوم هو الفصل !!

وكتب الله لعبده المؤمن عبــد الله بن ســهيل النجاة من أيديهم الآثمة وتدبيرهم النجس ٠

وآكرمه الله ليشهد بدرا فى صفوف جند الإيمان ٠

فكان هذا منه إسلاما جديدا لإسلام لم ينقضه ، ولــكن أخفاه تقية ٠

وماذا كان فى استطاعته أن يفعل يوم أوثقوه وتكالبت عليه جموعهم وهم يظنون أنهم غلبــوه وما علموا أنه هــو الذى غلبهم بإذن الله ٠٠٠ ألا إن جند الله هم الغالبون ٠

●●●

ولما كان صلح الحديبية جاء وفد قريش وعــلى رأســه سهيل بن عمرو وكان لايزال على الكفر ، وتراضى الجانبان فى كتاب بينهما على أن يضعا الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، كما تعرض الكتــاب لمن يأتى إلى أحد الطرفين من الجانب الآخر ٠

وشهد شهود من الطرفين على الكتاب ٠

وكان عبد الله بن سهيل أحد الشهود فى صلح الحديبية ٠

فسبحان الله العظيم جلت قدرته ، وعلت كلمته ، ونفذت مشيئته ، وارتفعت رايته ٠

وسبحان الله أن أنعم على عبده التقى المؤمن عبد الله بن سهيل بالإسلام ٠

وسبحان الله أن أمد عبده عبد الله بن سهيل بالقوة يواجه بها نكير الكفر وعذاب قريش له ٠

وسبحان الله أن يخرج عبدالله مع أبيه ومع قريش بقصد القضاء على المسلمين فإذا بعبد الله بن سهيل ينحاز إلى المسلمين وهم إخوته فى الإيمان ٠

ثم تعظم السخرية بقريش إذ يكون عبد الله بن سهيل أحد الشهود يوم الحديبية على صلح الحديبية فى شهادة تلتزم بها قريش ٠

هذه قصة من حياة عبد الله بن سهيل ٠

قصة جهاد ضد الكفر ، وصبر على مقارعة الأهوال ٠

قصة رجل آمن بيوم يأتى الناس فيه ربهم ، فما تكلم نفس إلا باذنه ، وهو يوم لا ينفع الناس فيه مال ولا بنون إلا من أتى ربه بقلب سليم ٠

وهذا عبد الله بن سهيل الذى استرخص كل غال لينضم إلى ركب الإيمان ٠

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠)

صدق الله العظيم

●●●

أبو لبابة الزنبري

عاقب نفسه حتى عفا الله عنه

نحن في هذه الصفحات مع صحابى جليل ، زل بالإشارة عن غير قصد فعد نفسه خائنا للرسول عليه الصلاة والسلام، وعاقب نفسه عقابا صارما حتى أنزل الله توبته على نبيه قرآنا مجيدا ، ذلك هو :

رفاعة بن عبد المنذر بن رفاعة بن زنبر

وقيل بل اسمه « بشير » (بالتصغير) وقيل بل « رافع » ولكنه عرف بأبى لبابة كنية له ، فغطت الكنية على الإسم أيا كان هذا الإسم الذى اختلف فيه المؤرخون وكتاب التراجم والسير .

أسلم أبو لبابة على يد النفر الستة الأوائل الذين لقوا الرسول عليه الصلاة والسلام بمنى فى العقبة لأول مرة ، ثم خرج مع من أسلم من أهل يثرب فى الموسم التالى ، وكان المسلمون يومذاك قلة ، فكان فى الرهط من الأوس الذين بايعوا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هناك ، ثم كان نقيبا ، ثم زاد بعدئذ فيما يمدح به فكان بدريا ... ومن ثم كان إسلامه قديما جدا .

ولقد شهد أبو لبابة مع الرسول الكريم كل المشاهد التى شارك فيها نبى الأمة ، وخرج إلى بدر فرده رسول الرحمة من الروحاء حيث استعمله على المدينة أثناء غيابه عنها .

لقد كان أبو لبابة أحد خمسة من الأنصار لم يشاركوا في بدر ، ولكن النبى عليه الصلاة والسلام ضرب لهم يومها بأسهمهم كأن قد حضروها ، وصار لهم مثل بقية الذين حاربوا فيها ، فكان لهم من غنائم ذلك اليوم ما لسواهم من إبل ومتاع وأنطاع وثياب ·

لذلك قيل فيه إنه شهد بدرا ، لأن استخلاف الرسول إياه على المدينة وهو خارج إلى بدر جعله كمن شهدها تماما ·

واستخلفه النبى عليه الصلاة والسلام مرة أخرى على المدينة حين خرج فى غزوة السويق ، وكان هذا تقديرا من النبى الكريم له ، فما كان عليه الصلاة والسلام ليستعمل إلا الفطن اللبيب القادر الصادق الإيمان ·

وتجلى هذا مرة ثالثة حين نهض المسلمون إلى بنى قينقاع ·

● ● ●

كان أبو لبابة كبقية الأنصار قد فتح بيته لينزل عليه بعض إخوانه المهاجرين ، ومنهم عمر بن الخطاب وزيد وسعد ابن زيد وكثيرون غيرهم ·

وكان أبو لبابة شديد الإيمان بنصر الله يؤتيه لنبيه ولرجاله فى بدر ·

وكان نصر الله لجنده فى بدر ضربة قاصمة لليهود والمنافقين من أهل مكة والمدينة ، كما أنه أغاظ قريشا ·

حدث أن جاء زيد بن حارثة إلى المدينة على ناقة النبى عليه الصلاة والسلام مبشرا بالنصر يذيعه على الناس قبل حضور جند الإيمان ·

ومضى زيد الى المصلى ، وذكر ــ وهو على الناقة ــ من هلكوا من أعيان قريش وسراتها الذين كانوا ملأ السمع والبصر فى رحاب الجزيرة كلها ·

وذكر زيد خبر وقوع سهيل بن عمرو ومن معه في أسر المسلمين .

وأقبل إلى أبي لبابة رجل من المنافقين يسعى وقد كشف القناع عن نفسه السوداء .

جاء هذا الرجل ووجهه يطفح بالبشر إذ ظَنَّ ظنَّ السوء بالمسلمين وقال لصحابينا الزنبرى :

« يا أبا لبابة ... تَفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده أبدا ... وقتل صاحبكم محمد وأتباعه ... وهذه ناقته تعرفونها ونعرفها .. وهذا زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرعب ! » .

فكان ردّ أبي لبابة عليه قوله له : « يكذب الله قولك يا عدو الله !! » .

سمع أبو لبابة ما يأفكون فما تزعزع يقينه في نصر الله لرسوله ، ولم يصدق كلمة مما قاءته أفواه الناقمين على الإسلام ، ولا اعترف بما جرى على ألسنتهم الدنسة .

ثم ما لبث المنافقون والكفار والمشركون أن رأوا النصر العظيم قد أتاه الله لجنده ، وذلك حين شاهدوا كفار قريش أسرى يدخلون مطأطىء الرؤوس ، قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، فبهت من هذا المنظر الذين كفروا والذين أولياؤهم الطاغوت .

ثم كانت لأبي لبابة قصة مع بني قريظة ليست تحاكيها قصة ، يوم سأل بنو قريظة الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبعث إليهم أبا لبابة يستشيرونه فيما حزبهم من أمرهم ، فأرسله النبي فلما رأوه قال له رجالهم : « أترى أن ننزل على حكم محمد يا أبا لبابة ؟ » .

قال : « نعم ... إنه الذبح !! » .

كلمة واحدة قالها أبو لبابة وأشار فى الوقت ذاته بيده إلى حلقه .

وانتبه صحابينا إلى ما قاله وما فعله .

ولنسمع إليه يحكى الخبر فيقول : «فوالله مازالت قدماى ترجفان حين عرفت أنى قد خنت الله ورسوله » .

وانطلق على وجهه يرمضه ما أحسه من خطأ جسيم ارتكبه اذ قال ما قال .

وربط نفسه إلى عمود من عمد المسجد وقال : « لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ مما صنعت » .

وعلم نبى الرحمة بالخبر فقال : « أما لو جاء لاستغفرت له ... وأما إذ فعل ما فعل ، ما أنا بالذى يطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » .

ومر بذاكرة أبى لبابة حلم رآه والمسلمون محاصرون لبنى قريظة ، وكأنه هو فى حمئة آسنة يكاد يموت من نتن ريحها ، ثم رأى نهرا جاريا فاغتسل فيه ، فتطهر ، فطابت ريحه ، فسأل أبا بكر تفسير الذى رأى فى نومه فقال له الصديق :

« لتدخلن يا أبا لبابة فى أمر تغتم له ثم يفرج عنك » .

فكانت قصته مع بنى قريظة ترجمة جزء من هذه الرؤيا .

وظل أبو لبابة مربوطا الى عمود المسجد خمس عشرة ليلة ، وقيل سبعا بين يوم وليلة ، وكان العمود عند باب أم سلمة رضى الله عنها .

وكانت بنت لبابة تأتيه كل يوم بتمرات هى كل زاده .

وكانت تطلقه عند وقت الصلاة ، فإن كانت له حاجة توضأ .

ثم أنزل الله توبته اياه على النبى صلى الله عليه وسلم ، فحدث بها أم سلمة ، وأذن لها أن تبشر أبا لبابة ، فبشرته ، فأبى أن يبرح موضعه وقال : « لا والله لا آبرحن موضعى هذا الذى أنا فيه حتى يأتى رسول الله ﷺ فيكون هو الذى يطلقنى » .

فخرج إليه الشفيع الهادى فأطلقه .

وعفا الله عن آبى لبابة وتاب عليه ليمضى قدما فى موكب المسيرة الإسلامية المشرفة ، رحمه الله وإيانا والمسلمين .

وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

صدق الله العظيم

سنان بن محصن الأسدى

المبايع على الفتح والشهادة

سنان بن أبى سنان بن محصن الأسدى : صحابى قديم الصحبة ، شهد هو وأخوه وابنه وعمه عكاشة بدرا ٠

وكان سنان مثلهم قديم الدخول فى الدين ، وقد أحسن السيرة فيه والاخلاص له ولرسوله وللمسلمين عامة ٠

وكان له موقف رائع يوم بيعة الرضوان ٠

وله أخبار فى الأخبـار عن خـروج طليحة بن خـويلد الأسدى ٠

أسلم سنان بن أبى سنان وصدق إسلامه ، ومن ثم بادر إلى بدر محاربا الكفـار ومجاهــدا فى ضربهم ، وكانت له سيرة فى هذا اليوم الأغر أكدت أنه محارب صنديد من نمط رائع ، ومقاتل لا يحجم عن أى موطن ولو كانت فيه خاتمته إن يكن هذا الموطن لخدمة الاسلام ٠ والحق أن أصحاب النبى الذين شهدوا مشاهده كلها أو بعضها دلوا علىأنهم أقدموا على المساهمة فيها عن يقين صادق ، وإيمان عميق ، وحب للدين ، وتفان فى نصرة الملة ، وطاعة لرسول الله قد تنزهت عن كل هوى دنيوى ، الا أن يهزموا الـكفر ، ويقهروا الشرك ، ويمحقوا الوثنية ، ويعلوا راية التوحيد ٠

ولقد شارك سنان بن أبى سنان فى المشاهد التى شهدها رسول الله ﷺ ، ولم يتخلف عن واحدة منها ٠

ولما كان يوم الحديبية لم يترك النبى عليه الصلاة والسلام طريقا يجنبه قتال قريش إلا سلكه . ولم ينهج صلوات الله وسلامه عليه هذا النهج عن ضعف أو خوف ، فعنده من الصحابة أمثال سنان الكثيرون ممن تمرسوا بالحروب وقتال الكفار، ولكنه ﷺ يعرف أن الحج أو العمرة لا يجوز فى أحدهما القتال ، فلما أعيته السبل يومذاك ، ولجت قريش فى سفهها بعث إليهم بذى النورين عثمان بن عفان فجاءهم بمكة وأقام فيهم ثلاثة أيام يدعوهم ، ثم جاء الخبر الى النبى وأصحابه ان قد قتل عثمان ، فدعا الى البيعة وقال : « إن الله أمرنى بالبيعة » فلم يتأخر أحد من الصحابة عن مبايعته .

وتصف أم عمارة هذا اليوم وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد مر ببيتها فتقول :

« أقبل الناس يبايعونه فى رحالنا حتى تدارك الناس فما بقى لنا متاع إلا وطىء ، وبايعوه ﷺ ووقف الرسول يبايعهم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه آخذ بيده » .

وتقدم فى هذه اللحظة سنان بن أبى سنان بن محصن لمبايعة الرسول ﷺ ، وقيل إنه كان أول من بايعه وقال للنبى المختار :

« يا رسول الله .. ابسط يدك أبايعك » .

فسأله على ماذا ؟

قال : «أبايعك يا رسول الله على ما فى نفسك ونفسى» .

فقال النبى : « فتح وشهادة ؟ » .

قال : « نعم » .

فبايعه ، وخرج المسلمون يبايعونه على بيعة سنان ... البيعة على الموت وعلى ألا يفروا .

وعُرفت هذه البيعة التاريخية ببيعة الشجرة وبيعة الرضوان ، وكانت حدثا ضخما فى تاريخ الاسلام والمسلمين وفى مسيرة الدين .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾

صدق الله العظيم

هذه البيعة هى والله بيعة ضخمة لأنها بيعة الله لله :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

صدق الله العظيم

وقال البعض إن الذى بايع على هذه الصورة إنما هو أبوه ، ولكن الأرجح أنه هو سنان بن أبى سنان الذى كان أول من بايع ، وتتابع الناس فى إثره وفيهم أبو سنان .

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام إلى حنين فخرج معه سنان ، وليس فى الخروج شىء غريب ، ولكن الذى حدث كان أمرا غريبا وكبيرا ، وهو ما حدث به سنان إذ قال إنه كان لكفار قريش ومن سواهم من العرب على طريق حنين شجرة عظيمة خضراء يقال لها « ذات أنواط » .

كانوا يؤمونها كل سنة ، يعلقون عليها أسلحتهم ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما ، وكان من حج منهم وضع رداءه عندها ثم يدخل عريانا تعظيما لها .

ومر النبى عليه الصلاة والسلام بأصحابه وهم فى الطريق إلى حنين بهذه الشجرة ، فقال له بعض المسلمين : « يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط » ، فقال النبى المجتبى :

« الله أكبر . الله أكبر » .

« قلتم ـ والذى نفسى بيده ـ كما قال قوم موسى :
« إجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ...
وإنها سنن من كان قبلكم » .

بهذا حدث سنان بن أبى سنان .

وبهذا استل النبى صلوات الله وسلامه عليه كل خاطرة سوء فى نفوس المسلمين .

●●●

وحدث لما خرج طليحة بن خويلد الأسدى أن كان سنان ابن أبى سنان أول من كتب للرسول يخبره .

هكذا كان سنان لسان صدق عند النبى عليه الصلاة والسلام .

وكان فى حياته مثلا للمسلم الصادق الايمان .

وكان سنان صحابيا بكل ما تعنيه كلمة الصحابى من معان كريمة نيرة .

وقد مات يرحمه الله فى السنة الثانية والثلاثين من الهجرة النبوية الشريفة بعد حياة شريفة أثرى بها تاريخه فى ظل الإسلام ، سعيا منه إلى جنة عرضها السموات والأرض .

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

صدق الله العظيم

أَوْسُ بن خَوْلِي

رجل يؤثر الإيمان على ذوي قرباه

كان أوس بن خولى حفيدا لإبن عبد الله بن اوس بن الحارث بن عوف ، واختلفت المراجع في تسميته ولكنه كان يكنى بأبى ليلى ، ثم إنه كان ممن تعارف الناس فى يومه على نعته بالكامل لمعرفته الكتابة فى الجاهلية ، وكان العارفون بها يومذاك قلة نادرة ، كما كان يتقن السباحة ويحسن الرمى .

فلما جاء الاسلام وعاد أهل العقبة إلى المدينة المنورة يبشرون به اغتنم أوس بن خولى الفرصة واعتنقه ، فقد كان له من رجاحة عقله ، وحسن بصيرته ، وفكره الثاقب، ما هداه إلى أنه دين الفطرة ، وأنه الطريق الحق الهادى إلى الرشاد ، فأسلم وحسن إسلامه ، وقدّمه إيمانه فى مجتمعه الجديد بين الأنصار من قومه الذين كانوا يوقرونه ويحترمونه ، ويستمعون إلى رأيه ويأخذون به فى جميع الأمور : جليلها وصغيرها ، ويقدمونه فيهم ، ويتجلى ذلك أنه لما قبض عليه الصلاة والسلام وأرادوا غسله جاءت الأنصار بباب النبى صلوات الله وسلامه عليه حيا وميتا ، وكان عند الباب الإمام على كرم الله وجهه وآخرون يتهيأون لغسله فإذا بالأنصار تنادى على الباب :

« الله الله آل البيت ...

« ناشدناكم الله . لقد علمتم أنا أخواله عليه الصلاة والسلام !

« فليحضر بعضنا غسله ، فأدخلوا معكم واحدا منا » .

فقيل لهم : « لبيكم معشر الأنصار لبيكم .. لبيكم أخوال رسول الله ﷺ ، اجمعوا على رجل منكم يشهد غسله صلوات الله وسلامه عليه » .

فقال الأنصار : « قد أجمعنا على أوس بن خولى » .

ودخل أوس بن خولى ، وحضر غسله وكفنه ، وتولى مع أهل بيته دفنه ، كما نزل أيضا فى قبره .

وقيل فى صفة غسله ــ صلاة الله سلامه عليه ــ إن عليا كان يسنده إلى صدره ، وعليه ﷺ قميصه ، وعلى يدلكه من ورائه ، لا يفضى بيده إلى رسول الله ، ولم يُرَ منه ﷺ شىء مما يرى من الميت .

وكان إجماع الأنصار على « أوس بن خولى » دليلا ناطقا وبرهانا جليا على مكانة صاحبهم « أوس » فيهم ، ومنزلته الكريمة التى لا ينافسه فيها أحد .

والحق يقال إن « أوس بن خولى » كان قمينا بذلك ، وكان أهلا لإجماعهم .

● ● ●

ولما هاجر المسلمون إلى المدينة ، وفتح الأنصار للمهاجرين قلوبهم وبيوتهم آخى عليه الصلاة والسلام بين الجانبين ، وآخى بين « أوس بن خولى » وبين شجاع بن أبى وهب الذى شهد المشاهد كلها مع نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكان رسوله إلى الحارث بن شمر ، وإلى جبلة بن الأيهم الغسانى «ملك تخوم الشام» كما يسميه ابن أسحق ، فخرج شجاع يدعوهما إلى الإسلام .

لقد شهد صحابينا « أوس بن خولى » المشاهد التى

شارك فيها النبى العظيم ، وأبلى صاحبنا فيها البلاء الحسن الكريم ، وكان فيها نعم المجاهد والمحارب الأمين ، ولم يشنه ولم يعبه أن يكون عبد الله بن أبى السلولى - وهو رأس المنافقين - خاله ، فقد كانا على طرفى نقيض ، فقد عاب « أوس » على خاله نفاقه ، وانبه عليه ، وكان عنيفا فى لومه اياه .

وتذكر بعض المراجع أن « أوس بن خولى » كان فى سرية حمزة بن عبد المطلب وهى أول سرية أنفذها رسول الله عليه الصلاة والسلام لرصد عير قريش .

هكذا ذكر الواقدى فى معرض من ذكرهم ممن شاركوا فى هذه السرية .

والرأى عندنا أن هذا القول من الواقدى بعيد عن الصحة ، وأن أوسا لم يشارك فى هذه السرية ، لان المجتبى عليه الصلاة والسلام لم يأذن لأحد من الأنصار أن يكون فى أول سرية للمسلمين .

إذا لم يشارك « أوس بن خولى » فى سرية حمزة فإن الصحيح الذى لا يرقى إليه الشك هو أن صاحبنا شهد « بدرا » ... وبدر ، كما نعرف - كانت من الأنصار والمهاجرين ، ويؤكد ابن هشام هذه المشاركة فقد عده فى السيرة أحد رجلين من بنى عوف ساهما فى بدر .

● ● ●

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقدر أوسا التقدير الذى هو أهل له ، ويتجلى ذلك فى مواقف كثيرة ، فقد كان « أوس » أحد الثلاثة الذين وكل اليهم المصطفى حراسة المسلمين يوم « الحديبية » وهم نيام ، فاستجاب « أوس » ولم يقصر ولم تغمض له عين .

كما أنه في الليلة التي آسفر صبحها بعد خروج النبى الى الغزوة المعروفة بغزوة « حمراء الأسد » كان « آوس بن خولى » أحد من باتوا على باب المسجد ، وظل ساهرا يقظا لا تغفل له عين حتى آمر الرسول الهادى بلالا آن ينادى فى القوم آنه يأمرهم بطلب عدوهم ٠

● ● ●

ويظهر تقدير النبى العظيم لأوس بن خولى فى أنه عهد إليه بكتابة الكتاب الذى بينه وبين قريش يوم « الحديبية » ، لولا أن رفضه « سهيل بن عمرو القرشى » الذى كان رسول قريش إلى المسلمين فى عقد الهدنة بين الجانبين ، وكان فى سهيل حدة الجاهلية وعنفها ، فقد كان على مذهبها ، لكنه لما آسلم لم يكن هناك ــ كما قال الواقدى ــ أحد أكثر منه صلاة وصوما وصدقة ، ولا أقبل على مايعنيه من أمر الآخرة ٠

والذى يعنينا هنا هو أن هذه الثقة الكبيرة النبوية فى « أوس بن خولى » لتتجلى أيضا يوم غزوة القضية ، يوم خلف النبى عليه الصلاة والسلام مائتى رجل على السلاح ، وجعل عليهم صحابينا « أوس بن خولى » ٠

كذلك خلفه رسول الله ﷺ فى عمرة القضاء ليمنع كيدا قد تكيده قريش للمسلمين ، أو تمكر بهم فيصيبهم الضر من مكرها ٠٠٠ فأنجز «أوس» ما وكل اليه خير انجاز وآصدقه، فلم تغمض له ــ كما قلنا ــ عين ، وكان نعم الرقيب ٠

● ● ●

ولم تكن قرابة عبدالله بن أبى السلولى له بحاملة إياه على أن يحيد عن الحق ، فمواقفه فى نصحه لخاله بل وفى محاولته تقويم ما اعوج من سلوكه كثيرة ٠

ذلك أنه لما نقل « زيد بن ارقم » إلى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ما تقول به خاله السلولى فى مجلسه مع المنافقين من نهيه إياهم ان ينفقوا على من عند محمد ﷺ حتى ينفضوا من حوله ، وما فاه به من النيل من المهاجرين، واقسم لئن « رجع الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» ، ولما تحدث الناس بذلك واستشاع الخبر ولاكته الألسن قام نفر من الانصار فجاءوا إلى عبد الله بن أبى ـ وفيهم « اوس » ـ فنصحوه ، ونصحه « أوس » بقوله :

« إذا كنت قد قلته فأخبر النبى ﷺ يستغفر لك الله ولا تجحده ، وإلا أنزل الله فيك ما يكذبك ·

« وإن كنت لم تقله فأت الرسول ﷺ واعتذر إليه واحلف له ما قلته » ·

هكذا كان « أوس بن خولى » لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، ولا شىء من ذلك فى دين الله وصدق رسوله الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره من فى قلوبهم مرض ·

لقد كان الاسلام عند « أوس بن خولى » فوق القرابه ، فلو أن وشيجة القربى كانت مضيعة لحق من حقوق المسلمين، أو كان فيها اجتراء على الدين فتبا لهذه الوشيجة ·

ثم نزلت سورة « المنافقون » ··· ودمغت ابن أبى السلولى بالنفاق ، وصدق كتاب الله كلام زيد بن أرقم ، وحفظ المسلمون ما نزل به الوحى فى هذه المسألة ·

وحينذاك مر « أوس بن خولى » بالسلولى فلم يقرئه السلام ، فقال له عبد الله بن أبى : إن هذا الأمر إنما تم بليل ·

فرجع إليه « آوس » و « عبادة بن الصامت » وانباه وبكتاه بما صنع ، وذكراه بما نزل من القرآن تكذيبا له ،

ثم قال له أوس : « والله لا أذب عنك أبدا حتى أعلم أن قد تركت ما أنت عليه وتبت الى الله ... إنا أقبلنا على زيد بن أرقم نلومه ونقول له : كذبت على رجل من قومك حتى نزل القرآن بتصديق حديث « زيد » وقد كذبك » .

●●●

وانه ليلومه جهرا يوم قلل من عمل « ناجية بن جندب » حين رمى بسهم النبى ﷺ فى البئر فتفجرت ماء ، ويقـول له أوس :

« يا أبا الحباب ... أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه ؟ .

« أبعد هذا شىء ؟ .

« قبحك الله وقبح رأيك !! » .

هذا هو أوس بن خولى الصـحابى الـكريم ، ابن أخت عبد الله بن أبى السلولى ، ولـكن شتان ما بين الاثنين ، وما أوسع الهوة التى تفصلهما عن بعضهما خلقـا وإيمانا بالله وحبا فى رسوله .

لقد كفر « أوس » بالشرك وبأهله حتى ولو كانوا من ذوى قرباه طمعا منه فى ألا يكون من الظالمين .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

صدق الله العظيم

●●●

عُمَيْر بن سَعد

غلام صدقت أذنه فانكشف النفاق

كان عمير بن سعد بن عبيد أوسيا أنصاريا من أسرة أخلصت لله إذ أخلصت لرسوله صلوات الله وسلامه عليه وذلك أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله وفاز فوزا عظيما ·

أسلم عمير صغيرا وصدق إسلامه ، وما يضيره أن يكون قد أسلم وهو صبى فقد كانت فيه فطنة وألمعية ، وكان فيه ذكاء وقاد ، وقد توجد الحكمة فى الشيب والشباب على السواء ·

ونشأ « عمير بن سعد » على محبة الرسول ﷺ فكان يغشى مجالسه الشريفة ، ويحرص على أن لا يفوته منها مجلس ، وبذلك توفرت لصاحبنا صحبة طويلة كريمة صادقة ·

وقيل انه شهد بدرا وما تلاها من المشاهد ·

وذاق « عمير بن سعد » اليتم صغيرا ، وكان أبوه يعرف «بالقارىء» نسبة للقراءة ، وأخطأ من قال انه من «قارة» ، فالقارة – كما ينص الروض الأنف – من بنى خزيمة ، أما صاحبنا فمن بنى عوف ، وشتان ما بين البطنين ·

ويقال انه كان أول رجل من الأوس الأنصار جمع القرآن المجيد ، وقد قال ابن مندة إن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ · وان كان فى ذلك نظر عند بعض الفقهاء ·

ذاق صاحبنا « عمير بن سعد » اليتم صغيرا كما قلنا ، فتزوجت أمه من الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصارى. فكفل « عميرا » ولم يدخر وسعا فى توفير أسباب الحياة الكريمة له ، وشهد « عمير » للجلاس بذلك شهادة صدق إذ

قال له ذات يوم «والله يا جلاس انك لأحب الناس إلى واحسنهم عندى يدا ، وأعزهم على ان يصيبه شىء يكرهه » ، فدل بذلك على عظيم تقديره ليده عليه ، فكان له على الدوام مطيعا إلا فى أمر واحد فقط ما كان له أن يطيعه فيه •

وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يعرف ذلك فيه فيفسح له فى مجلسه ، ويقبل عمير بن سعد فى غبطة يستمع إلى ما يقوله الرسول العظيم ، ويستمتع بما يسمعه أو يراه ، ويعى وعى فاهم كل ما تنطق شفتاه ، مما يوحى به اليه الله جل جلاله ، وينزله عليه من قرآن يتلوه على أصحابه فيحفظونه وتحفظه الأجيال فى صدورها لتعمل به ، وتسير فى هديه •

وكان « عمير بن سعد » نسيج وحده : صدقا وامانه وتمسكا بالدين ، وكان نسيج وحده أيضا فى الخلق الطيب، وكان فى الذروة فى كل ذلك ••• فهو بحق من فضلاء الصحابة الأجلاء •

● ● ●

ولقد أبلى « عمير بن سعد » فى حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه أحسن البلاء : محاربا ، ومسالما ، ومحدثا ، وفقيها • ولم يقصر فى ذلك قط أبدا حتى بعد المبعوث رحمة للعالمين ، فقدر فيه الخليفتان أبو بكر وعمر ذلك الجانب الكريم ، فكان بعض تاريخهما جزءا من تاريخ صحابينا الذى كان تاريخه فى عهديهما امتدادا لقصة إسلامه ، حتى لقد كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول : « وددت لو أن لى رجالا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين » •

وهذا القول من عمر بن الخطاب يجعلنا ندرك اى رجل كان « عمير » الصحابى الزاهد الذى شهد فتح الشام وشارك فيه ، والذى بعثه خالد بن الوليد بالاخماس يوم رمى أبو بكر الروم به فكانت رمية صائبة طاشت لها احلام الأعداء .

ولقد تم على يد عمير بن سعد فتح بعض أعمال الشام سنة ثمانى عشرة للهجرة الشريفة ، كما صار عامل عمر على حمص .

ولقد دل موقفه من الجلاس بن سويد زوج أمه ــ يوم نافق الجلاس وإن تاب واعتذر وقبلت توبته ــ على حسن إسلام ربيبه الصغير عمير ، وما شهادتنا لعمير بن سعد ــ وقد شهد له الشفيع الهادى ــ وبعد أن نزل فى صدقه آيات بينات من كتاب الله الذى لا يؤتيه الباطل أبدا !!

وخبر هذا أن الجلاس كان ــ على قول البعض ــ ممن تخلفوا يوم تبوك وراح يثبط من همم الناس وقال : « لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير » .

هكذا قال الجلاس بن سويد ...

ألا كبرت كلمة تخرج من فيه .

وسمع « عمير بن سعد » ــ ربيب الجلاس ــ ما تفوه به الجلاس ، فأغضبه من زوج أمه وكافله وولى نعمته أن يقول الذى سمعه منه ، وكان كل منهما شديد الحب للآخر ، فعمير ابن سعد ــ كربيب للجلاس ــ لا يحب أن يقول شيئا فيه مضرة لكافله ، ولكنه إن سكت عن الافصاح عما سمعه منه فقد خان عقيدته ، وآزرى بنفسه وبايمانه وأصبح آثما قلبه ، ومن ثم قال له :

« يا جلاس ... لقد كنت أحب الناس إلى ، وأحسنهم عندى يدا ، وأعزهم على أن يصيبك شىء تكرهه .

« ولكنك يا جلاس قلت مقالة لئن ذكرتها لأفضحنك ..
ولئن كتمتها لأهلكن ويهلكن دينى ..
« ولإحداهما أيسر على الاخرى »

ثم مشى عمير إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يكتمه الخبر الذى سمعته آذناه . ولم يشأ النبى الحكيم ان يسمع فى الجلاس ما يقوله عمير فيه دون أن يسمع من الجلاس نفسه ما عنده من هذا الخبر من تأكيد أو نفى ، فاستقدمه إليه فأنكر الجلاس ما قاله عمير ، وزاد فحلف حانثا أنه ما قال الذى بلغ الرسول ﷺ ، ثم زاد فزعم أن ربيبه كاذب .

وعز على عمير بن سعد أن يرمى بالكذب وهو منه برىء .

وعز عليه أن يكون شانئه هو الجلاس ، فقام ودعا الله صادقا دعاء خاشع ذى نفس منكسرة أن يظهر الحق ، دعا وهو يعلم أن دعاء المظلوم يجد سبيله إلى العلى العظيم ميسرا فيستجيب له رب العزة والجبروت .

وهتف عمير بن سعد رافعا وجهه إلى السماء : «اللهم انزل على نبيك بيان ما تكلمت به » . وأنزل الله جل شأنه على نبيه وحبيبه المصطفى قوله عز من قائل :

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

صدق الله العظيم

هكذا جاء الدليل البين على صدق عمير بن سعد ، وجاء القرآن بالحق فبرأ ساحته ، وحينذاك قال نبى الرحمة وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليه لعمير : « لقد صدقت أذنك يا غلام » .

وهكذا كانت قولة عمير مقالة الحق والنجاة للجميع .

وتاب الجلاس عما وسوس به إليه الشيطان من قول كريه يجرح صدق إيمانه ، واطمأن للصفح عنه إذ استغفر ، وحسبه أن يسمع قوله تعالى :

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾

سماك بن خرشة

صاحب العصابة الحمراء

كان اليوم يوم أحد وقد التحم عسكر الكفر بجند الرحمن ، فالطغاة يدعون باللات والعزى ، وما يدعون إلا إلى النار ، وأما المؤمنون فيعلمون أن الله جل جلاله إنما يدعو إلى الجنة والمغفرة ، وهم يكبرون تكبيرة الإيمان « الله أكبر . الله أكبر » فيرن هذا النداء فى أذن الزمان فتصفق له الدنيا ، ويخترق سمع الآثمين الفجرة فيصرعهم وما لهم من نجاة .

ولو كنت شاهد هذا اليوم الأغر لرأيت فى صفوف المسلمين رجلا قد عصب رأسه بعصابة حمراء ، يهز السيف فى يمينه فيبرق حده ويبرق الموت فيه ، ويميل واحد من هؤلاء المسلمين المجاهدين على الذى بجانبه يسأله : من يكون هذا الرجل صاحب العصابة الحمراء ؟ فيجيبه مستنكرا سؤاله هذا ويقول : وهل تجهل حقا يا أخى من يكون هذا الرجل .. ؟ إنه يا صاح سماك بن خرشة الخزرجى الأنصارى » فيرد السائل وكأنما كان فى غفوة فصحا منها : « أهو أبو دجانة يا صاحبى !! » فيرد عليه صاحبه قائلا : « انه والله هو ... وما هو بأحد سواه » .

● ● ●

ان صاحب هذه العصابة الحمراء هو صحابينا الخزرجى أبو دجانة الذى اعتنق الإسلام مع الرعيل الأول من أهل يثرب الأخيار الذين دخلوا الدين طوعا لا كرها ، وعن فهم وإدراك

رفيعين ، ووجهوا وجههم حنفاء للذى فطر السموات والأرض ، وآخلصوا له سرا وعلانية ، وتابعوا رسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه فكانوا مهتدين وهادين .

ولازم أبو دجانة رسول البر والتقوى ، وشهد معه بدرا والمشاهد كلها ، لم يتخلف عن أى واحدة منها ، وكيف يتخلف وهو الحريص على أن يؤدب المشركين يوم أحد وبدر ، ويلقن الكافرين والمنافقين ومن فى قلوبهم مرض يوم الخندق درسا يذكره له التاريخ ولا ينسونه هم أبدا ، ليعلموا أنهم على ضلال ، ويرجو أبو دجانة أن يكون هذا الدرس رسالة سوية عسى أن يرعووا ويتوبوا ويؤمنوا فتصلح أحوالهم دنيا وآخرة ، وانهم والله لو تابوا وآمنوا لكان ذلك خيرا لهم ، والا فقد ساء صباح المنذرين .

● ● ●

ثم يأتى يوم أحد : يوم الدرس العظيم فى الطاعة والامتثال لأمر القائد الملهم والنبى الصادق الأمين .

ويحدث قبل أن يلتقى المصافان بعضهما ببعض أن تتكشف السرائر ، وتظهر خفايا الصدور حين ينخذل المنافقون ومن ضل ضلالهم وكبيرهم « عبد الله بن أبى السلولى » ، ويصرون على أن ينصرفوا ، وهنا ينكشف الستر ويظهر لكل ذى بديهة أنهم أعداء الله وأولياء الشيطان ، وقد أغنى الرحمن نبيه عنهم فلم يكن انسحابهم بمثبط له ولمن معه همة ، وهل يقنط من روح الله إلا البائسون .

فى هذا اليوم عبأ الرسول الهادى رجاله والرماة ، وأمرهم أن يثبتوا فى أماكنهم وألا يبرحوا مواضعهم سواء أكان النصر للمسلمين أم كانت الحرب عليهم وأن ينضحوا خيل المشركين بنبالهم حتى لا يأتيهم الكافرون من خلفهم ومن وراء ظهورهم فتكون الطامة .

وكان فى جيش الشرك يومذاك خالد بن الوليد وعكرمة ابن أبى جهل ... وما أدراك من خالد وعكرمة !! ... محاربان صنديدان ، وبطلان عظيمان فى الجاهلية والاسلام على السواء .

أليس خالد هذا هو الذى تنعته كتب التاريخ بأنه كانت إليه « القبة واعنة الخيل » فى الجاهلية ؟ .

أليس خالد هذا هو القائل بحق : « حضرت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية » .

وصدق خالد فقد كان هو الرجل الذى يكبره التاريخ فى جاهليته وإسلامه .

ثم هذا عكرمة بن أبى جهل ... الذى كان حربا على المسلمين عصبية لأبيه ، ثم لما أسلم قام إليه نبى الرحمة فاعتنقه وقال له : مرحبا بالراكب المهاجر ... ثم كانت له مواقف نيرة فى إسلامه حتى قال فيه الزهرى يصفه يوم فحل (بكسر الفاء وسكون الحاء) « إنه كان أعظم الناس بلاء وانه كان يركب الأسنة حتى جرحت صدره ووجهه » .

لقد كان هذان البطلان : خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فى جيش الكافرين فى هذا اليوم الذى أمسك فيه الرسول ﷺ بسيفه ورفعه أمام رجاله الأشاوس وقال فيهم : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » ـ فبادر إليه الكثيرون من صحابته ممن معه ، وكل منهم يقول له : أنا يا رسول الله ﷺ » ، ولكنه يمسكه عنهم جميعاً .

انه سيف محمد ... وما يكون سيف محمد إلا فى يد تعرف قدره حق المعرفة ، فإن ضربت ضربت فى سبيل الله فأصابت فأهلكت وأدبت .

ثم يقوم أبو دجانة ويقول للنبى المجتبى : « وما حقه يا رسول الله » ؟ فيجيبه أن تضرب به العدو حتى ينحنى .

فيرد عليه أبو دجانة في صوت الواثق من نفسه باذن الله : « أنا آخذه بحقه يا رسول الله » فناوله إياه وهو مدرك أنه أعطى القوس ـ كما يقولون ـ باريها ، والسيف لصاحبه الصنديد الذى هو أهله .

ان يكن سيف النبى فى يد أبى دجانة فويل للكافرين والمشركين ... ثم ويل لهم منه ، وبشرهم بعذاب أليم !!.

ويمضى أبو دجانة فيتقلد السيف وقد عصب رأسه بعصابته الحمراء التى كانت الأنصار تسميها « عصابة الموت » ... ولم يجاوز الأنصار الحق فيما قالوا، فقد خبروا أبا دجانة وعرفوه وصحت تسميتهم اياه بتلك التسمية .

لئن يكن هذا المقاتل أبا دجانة ...

ولئن كان سيف رسول الله ﷺ فى يده ...

ولئن كانت العصابة الحمراء على رأس سماك بن خراشة ... فويل للشرك إن وقف فى طريقه ، وإن جهنم لتفتح أبوابها للمشركين كلما ألقى فيها فوج منهم قال خزنتها ألم يأتكم نذير .

وتقول النار لهم : هل من مزيد ؟ » .

ويدرك أبو دجانة فى هذه اللحظة أى شرف أولاه إياه الرسول ﷺ إذ اختصه بسيفه فينشد راجزا :

أنا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر فى الكبول
أضرب بسيف الله والرسول

ويرفع أبو دجانة السيف فى يده ويضرب به فى العدو ذات اليمين وذات الشمال فلا يلقى أحدا من رجال الكفر

إلا صرعه ورده الى أمه الهاوية ، ثم يوغل فى صفوف العدو فاذا به يجد سيفه يكاد يقع على رأس « هنـد بنت عتبـة » فتصرخ مولولة فيكف عنها ويمسك عن ضربها ، فلما سـئل بعدئذ ولم ذلك وهى صاحبة التاريخ الدامى مع المسـلمين والفعل المستنكر مع حمزة الشهيد فيقول : « اكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة » .

هذا ما كان منه فى هذه اللحظة بالذات ، ويشهد به له الجميع ، وما من أحد ينكر هذا القول أو يجادل فيه .

فهل لنا إلا آن نقول رعاك الله يا أبا دجانة فأنت ربيب الاسلام ، وخريج مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنت الحريص على الدين والخلق القويم والـكف عن الضعيف ، واحترام المرأة فلا تنتهك حرمتها ولا انسـانيتها ولو كانت مثل هند .

فليـكن فى هـذه الوقفة من أبى دجانة عظة لـكل من يفترى الكذب على الإسلام .

●●●

ولما كان يوم اليمامة اعتصم بنو « حنيفة » بحديقة لهم يقاتلون من ورائها مَن هم أمامها ويرمون المسلمين فيكثرون فيهم القتـل ، ولا يستطيع المسلمون الوصـول اليهم ، ولا يوفقـون فى اقتحامها واقتحـام الناحيـة التى وقف العـدو خلفها .

وينظر أبو دجانة حوله ويدرك حرج موقف المسلمين .

وتحدثه نفسه : أيهزم الـكفر اخـوانك يا أبا دجانة وتنتصر الردة الكالحة الوجه ؟ .

« أتدور الدائرة على رفاقك فى الله فيتضع شأن الدين وتسقط رايته وتصبح فى موطىء الأقدام ؟ » .

ويعصر الألم نفسه على مصير اخوانه ومصير الدين إن انتصر الكفر والردة ... قاتلهما الله .

ويأكل الغيظ صدر أبى دجانة فيقول لنفسه : « وماذا يكون من شأن الملة إن كانت الغلبة للردة ... ؟

وهل للحياة من معنى أو طعم ان انتصر المرتدون ..؟»

ويقول لنفسه فى صوت المؤمن : والله لئن يفتح باب الحديقة ليكونن النصر ان شاء الله تعالى لأوليائه المؤمنين .

وحينذاك يستدير ابو دجانة إلى رفاقه الأبرار ويناديهم آن يقذفوا به إلى الحديقة : حديقة الموت ... ففعلوا ، وانكسرت رجله ولكنه ظل يقاتل الكفار على الباب حتى آزاحهم عنه ، وإذ ذاك دخل المسلمون حديقة الموت لتكون حديقة النصر ، وارتفعت راية الحق والتوحيد ، وردد الأفق تلك الصيحة الحلوة :

الله أكبر ... الله أكبر .
لا اله الا الله ... لا اله الا الله .
محمد رسول الله ... محمد رسول الله .

وكان هذا هو النصر الذى وعد الله به من ينصره فأظهرهم على الكفار وثبت أقدامهم . وإنه للفوز العظيم الذى يكون أصحابه أعظم درجة عند الله .

لقد اقتحم المسلمون بفضل الله وشجاعة أبى دجانة حديقة الموت، وقاتلوا المرتدين فقتلوهم وساء يوم الظالمين، وحسن يوم المؤمنين الذين نصروا الله فنصرهم وثبت أقدامهم، واستجاب الله لدعائهم اذ نادوه بقلوب مخلصة أن يفرغ عليهم صبرا وينصرهم على البغاة الظالمين .

وحاق المكر السيء بأهله ، وهلك الكفر والكفار الذين إن ماتوا على كفرهم لاقوا العذاب الأليم ولن يجدوا لهم من ناصرين ، ويقول الكافرون يومذاك يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، فلا يجد يهم

وجاؤهم ، فيجيؤهم الجواب : ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ٠

وارتفعت يومذاك راية الاسلام ، واندحر المرتدون الظالمون فى أرض سقى ثراها دم أبى دجانة وأصحابه الصادقين ٠

ذلك هو أبو دجانة الأنصارى البطل الذى أعز الله به الإسلام مع من أعزه بهم ٠

وانا لنفخر بأنه أحد أجدادنا فى الدين ، وان كان بيننا وبينه أربعة عشر قرنا من الزمان ٠

فسلام على صاحب العصابة الحمراء يوم يبعث فى الآخرين ٠

وسلام على إخوانه المؤمنين المجاهدين ٠

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ
زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

صدق الله العظيم

قيس بن عاصم المنقري
سيد أهل الوبر

أقبل العام التاسع الهجرى وأقبلت معه وفود العرب على الرسول ﷺ تعلن إليه إسلامها ، وتبايعه على الطاعة والولاء ، وكان من بينهم وفد « بني تميم » .

والتميميون ذوو عرق قديم فى الجاهلية ، جمعوا العز طارفه وتليده ، وسنراهم كما يقول ابن اسحق فى السيرة « من طوائف العرب التى شهدت فتح مكة » .

وكان فى الوفد التميمى يومذاك رجل لا يمكن للعين أن تخطئه .

كان رجلا طويل القامة ، مهيب الطلعة ، عريض الجبهة ، أشم الأنف ، ذلك هو :

قيس بن عاصم بن سنان المنقرى

الذى كان سيدا مطاعا فى بني تميم ، وكان له من رجاحة العقل ، واتزان الفكر ما يجعله بارزا فيهم ، مهابا بينهم ، مسموع الكلمة ، مرجو الرأى .

ما كاد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يراه حتى قال : « هذا سيد أهل الوبر » .

فراسة من الرسول الملهم الألمعى ، وهى فراسة لا تخطىء ولا تغمز ... فقد كان « قيس بن عاصم المنقرى » ـ كما قال الرسول العظيم ـ سيد قومه فى خلقه وحلمه وفطنته .

وأعلن قيس المنقرى إسلامه بين يدى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، ونطق بالشهادتين ، ورحب به النبى مسلما موحدا ، جابا أوزار الكفر والشرك ، متحللا من الجاهلية ومن أدرانها ، وحينذاك أمره عليه الصلاة والسلام أن يغتسل ، وأن يكون اغتساله بماء وسدر ... فأطاع واغتسل وتطهر .

ويذكر مترجمو «قيس المنقرى» أنه لما قال عليه الصلاة والسلام « هذا سيد أهل الوبر » تقدم قيس فسلم عليه ، ثم سأله ما شأن المال الذى لا تبعة فيه لأحد ؟ ، فأجابه المصطفى بما فيه فصل الخطاب ، فزادت مكانة النبى فى نفس قيس .

ولما اطمأنت نفسه إلى جواب وعاء الحكمة الشافى الوجيز قال له : « يا رسول الله . ماأكرم هذه الأخلاق وأحسنها ... !! » .

فقال له النبى عليه الصلاة والسلام : « ياقيس ... أمالك أحب إليك أم مال مواليك ؟ » .

فأجابه : « بل مالى يا رسول الله » .

فقال النبى ﷺ : « فانما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت ... وما بقى بعدئذ فلورثتك » .

والتقط قيس بن عاصم المنقرى الحكيم الحكمة من نبى الحكمة ووعاها ، ثم قال : « يا رسول الله ... لئن بقيت والله لأدعن عددها قليلا » .

وكان الأمر كما قال قيس .

وعرف قيس المنقرى (وكنيته : أبو طلحة) بالعقل السليم والحلم .

شهد له بذلك الأحنف بن قيس حين سئل ممن تعلم الحلم، فذكر صاحبنا المنقرى اذ رآه يوما جالسا فى فناء داره

يحدث قومه حين دخل الناس عليه بإثنين ، فاما احدهما فرجل مكتوف ، وأما الآخر فصريع مقتول ... فاذا المكتوف هو ابن آخي قيس المنقرى ، وكان هو القاتل . وأما المقتول فولد قيس الذى لم يمنعه ما يرى من متابعة حديثه فى اناة ، حتى اذا فرغ من حديثه التفت الى ابن أخيه الذى فى الوثاق وقال له : بئس ما صنعت يا ابن أخى ، ... آثمت ربك ، وقطعت رحمك ، وقتلت ابن عمك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقللت عددك » .

ثم التفت إلى ابن آخر له كان إلى جواره وقال له : « قم يابنى إلى ابن عمك فحل وثاقه ، ووار آخاك ، وسق إلى آمه مائة من الابل فانها غريبة » .

على هذه الصورة العجيبة كان قيس بن عاصم المنقرى فى حلمه .

● ● ●

وكان قيس المنقرى شاعرا ، ترك من الشعر ما يشـــهد بترفعـــه عن الدنايا وعن كل ما يزرى بالرجـــل الشريف ويشينه ، فقد حرم الخمر على نفسه فى أيام جاهليته قبـــل آن يدخل الإسلام فيغلظ عليه تحريمها ، وكان سبب تحريمه اياها على نفسه تجربة مريرة مر بها ، اذ شربها فتدنى فنزل من مرتبـــة الفاضـــل إلى مرتبة الجـــاهل ، وجاء من الفعـــل ما أنكره هو ذاته على نفسه حين ذهبت عنه نشوتها فقال :

رأيت الخمــر طالحــة وفيهـــا
خصـــال تفســد الرجل الحليما
فـــلا والله أشربهـــا صـــحيحا
ولا أشـــفى بهـــا أبدا ســـقيما
ولا أعطى بهـــا ثمنـــا حيـــاتى
ولا أدعـــو لهـــا أبـــدا نديمـــا
فان الخمر تفضح شـــاربيها
وتجنيهـــم بهـــا الأمـــر العظيما

وصدق أبو طلحة فآثام الخمر كثيرة وكبيرة ، وانها لمذلة مهينة للرجل العاقل ، وقد نهى الله جل جلاله عنها في قوله عز من قائل (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .

● ● ●

ومنذ ان أسلم قيس بن عاصم المنقرى وهو يتخذ الرسول ﷺ أسوة له يقتدى بها ، وما ضل من اتخذه قدوة له ، واهتدى بهديه ، لذلك نرى صاحبنا المنقرى ينهى ولده وأهله ــ وقد حضرته الوفاة ــ أن يقيموا عليه نائحة تنوح عليه مع النسوة يلتففن حول جثمانه ويندبنه بكلام مصطنع فيقول لهم : « سمعت رسول الله ﷺ نهى عن النائحة »

لقد تأدب قيس بن عاصم بأدب الإسلام فحسن أدبه ، وزادت حكمته ، وعلا حلمه ، وكان يحدث فيحسن الحديث ، ويحمل سامعيه على الإصغاء والانتباه له في أدب .

وان له من خلقه ما ترجم عنه هو ذاته حين سأله الصديق رضى الله عنه أن يصف نفسه ، فقال : أما في الجاهلية يا أمير المؤمنين فما هممت بملامة ، ولاحمت على تهمة ... ولم أر الا في خيل مغيرة ، أو نادى عشيرة ، أو حامى حريرة » .

فقال له أبو بكر: «وكيف أنت فى الاسلام يا أبا طلحة؟» .

فرد عليه قائلا : « وأما فى الاسلام يا أمير المؤمنين فقد قال تعالى « فلا تزكوا أنفسكم » .

هكذا أوجز قيس فأعجز ، ونطق فأفصح ، وتحدث فأعجب ، فدل على أنه نعم الرجل فى كل أحواله .

ثم زادت نعماه فى الإسلام بالإسلام ، فروى عن النبى ﷺ بعض الأحاديث الشريفة .

ومات قيس المنقرى بالبصرة ، وقال فيه القائل شعرا لا يزال يتمثل به حتى اليوم :

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

رحم الله أبا طلحة فقد كان سيرة تحتذى ، ومسلما يؤتم به ، ورئيسا يقول فيطاع ، وصحابيا كريما يصدق فيما يرويه ، ومثالا للمؤمن الصادق الإيمان ، لا يغويه مال ، ولا يرجو إلا لقاء وجه ربه . وإنه وأمثاله :

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ

صدق الله العظيم

مُعَوِّذُ بن عَفْــــراء

أحد ثمانية أخوة شهداء

رفيقنا في هـذه الصفحات رجـل خـزرجي ، إن ذكر الأمجاد كان في طليعتهم . وإن قيل من هو ؟ كان الجواب أنه عبقري الفعال نبيهها ، وقد امتد به العمر في الاسلام منذ الأمجاد كان في طليعتهم . وإن قيل من هو ؟ كان الجواب إنه العقبة الأولى الى وقعة بدر ، وكلتا الحادثتين مجد في تاريخ الملة ، ونقطة تحول للخير في مسيرة الدهر ، وقد ختم صحابينا حيـاته الجـديدة الطاهـرة كأحسن ما تكون الخـاتمة التي يتمناها المسلم الصادق الايمان ، اذ استشـهد في يـوم بدر الذي أكرم الله فيه من شارك فيه ممن عاش بعده أو استشهد فيه . ذلك هو :

معوذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد

الأنصاري الخزرجي ، الذي يعرف أكثر ما يعرف بابن عفراء ، نسبة الى أمه «عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الأنصارية» المسلمة المبايعة على ألا تشرك بالله ، والتي ذهبت في التاريخ بأنها تزوجت بعد الحارث زوجها الأول بالبـكير بن ياليـل الليثي فولدت له أربعة ذكور ، شهدوا كلهم بدرا ، وكذلك إخوتهم لأمهم من الحارث أول بعل لها ، فانتظم من هؤلاء لها بناء شهداء وكلهم بدريون ... فأعظـم بهـذا من مجـد وسؤدد .

وصحابينا « معوذ بن عفراء » قديم في الاسلام ، اذ كان في النفر الأوائل من أهل يثرب الذين وفدوا على رسول الله

ﷺ فى العقبة يوم بلغ هؤلاء النفر سبعين رجلا وامرأتين ، ويوم بايعوا النبى صلوات الله وسلامه عليه على السمع والطاعة فى عسرهم ويسرهم ، وألا ينازعوا الآمر أهله ، وأن يقولوا الحق أينما كانوا ، لا يخافون فى الله لومة لائم ، فكان ذلك عهداً عليهم لله ولرسوله ، وميثاقا بينهم وبين الله وحبيبه ﷺ • واستمسكوا ببيعتهم التى بايعوها ، ولم ينقضوا ميثاقهم ، ووصلوا ما أمر الله به ان يوصل ، وخافوا سوء العذاب •

وكان فى هذا الرهط الكريم رجال من الأوس بن حارثة وبنى عبد الأشهل ، وبنى عمرو بن عوف ، ومن غيرهم •

أما من بنى الخزرج بن حارثة يومذاك فكان (كما قال ابن اسحق) معوذ بن الحارث الذى قيل إنه قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة وأودى به الى أمه الهاوية •

كان هذا الرهط الذين بايعوه عليه الصلاة والسلام يوم العقبة مسلمين ، ومن هنا كان إسلام صاحبنا الصحابى الخزرجى معوذ قديما •

وعاد معوذ بن عفراء إلى المدينة يسعى فى نشر الاسلام والدعوة إليه ، مؤمنا بالرسالة التى حملها الرسول الكريم ، وبالواحد الأحد الذى ذرأ الناس فى الأرض وإليه يحشرون يوم الجمع •

وسمع معوذ بن عفراء مقالة النبى فصدقه وفاض قلبه بالنور الالهى هو ومن نهج نهجه ، والذين جاهدوا فى الله حق جهاده ••

وشارك معوذ بن عفراء فى ذلك مشاركة طيبة خالصة لا نفاق فيها ، كما شارك فى الخروج إلى بدر ، وكانت له يومذاك صولة وجولة ، وكان منه إقدام فى مواطن يتجنبها الكثيرون حتى الشجعان منهم • ذلك أن قريشا كانت قد جمعت كل ملئها ، ونظمت صفوفها كأحسن ما يكون التنظيم ،

وكانت قد استنفرت الناس إلى أموالهم « فكانوا بين رجلين :
اما خارج أو باعث مكانه رجلا ، واوعبت فلم يتخلف عن
ذلك احد » ، ثم جاءت بأبطالها الصيد وفرسانها المغاوير
الصناديد ، ليكون يوما حاسما ضد الاسلام كما تخيلته ،
فحاق المكر السيء بها وهي أهل له ، وارتد السهم الى نحرها
فاصماها ، وكانت تظن أن كثرتها مانعة إياها فلم يجدها
ذلك نفعا بل خاب فألها ومسعاها ٠

●●●

وأقبل المسلمون في ذلك اليوم ، وتزاحف الناس ،
وخرج من صفوف الكفار «الأسود بن عبد الأسد المخزومي»،
وأقسم ليشربن من الحوض الذى بناه المسلمون أو ليهد منه
أو ليموتن دونه ، فاستقبله أسد الله وأسد رسوله حمزة بن
عبد المطلب بضربة أطارت قدمه ، فزحف حتى وقع فى الحوض
فهدمه برجله الصحيحة ، وكان الأسود رجلا قويا جلدا ،
ولكن حمزة عاجله في الحوض فقتله، واذ ذاك خرج «عتبة بن
ربيعة » وآخواه شيبة والوليد ودعوا إلى المبارزة ، فخرج اليهم
ثلاثة فتيان كانوا من الأنصار كأنهم الشهب ترجم الشياطين،
هم : معاذ بن عفراء ومعوذ بن عفراء وعوف بن عفراء ٠٠٠
قيل : فردهم الرسول الكريم كراهية منه ـ كما يقولون ـ
ان يكون أول قتل فى أول قتال فى الأنصار ٠

وقيل إنه حين خرج هؤلاء الثلاثة سألهم عتبة من
يكونون ؟ فعرفوه بأنفسهم وإنهم من الأنصار وأنهم أبناء
عفراء ، فقال لهم : « أكفاء ٠٠٠ !! ولكن ما لنا بكم
حاجة !! » ٠

هكذا تخلف صحابينا معوذ بن عفراء ، ولم يكن تخلفه
هو وآخويه إلا بسبب ردهم من جانب الرسول فى قول ، أو
من جانب عتبة بن ربيعة ٠

وان لصاحبنا الصحابى الكريم معوذ بن عفراء خبرا مع
رأس المنافقين عبد الله بن أبى السلولى يوم أن عاد المصطفى
عليه الصلاة والسلام من أحد ، فجاء السلولى وتكلم كلاما

ظاهره الرحمة وباطنه الخبث ، فالزمه الأنصار الجلوس ، وأمسكه بعضهم فلما تخلص منهم خرج من المسجد وهو يتخطى رقاب القوم ويقول : « كأنما قلت هجرا !! » .

عجيب والله أمر هذا السلولى ..

هل كان يجهل هو — أو كان أحد — يجهل أنه كان رأسا للمنافقين الذين هم الى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان ؟ والذين إذا تكلموا قالوا ما ليس فى قلوبهم، وما علموا ان الله أعلم بما يكتمون .

ولما رآه معوذ يخرج متخطيا الرقاب ويقول ما قاله سأله ما كان من أمره حتى يخرج على هذه الصورة فأجابه

لقد قمت المقام الذى كنت أقومه كل جمعة ، فقام الى رجال من قومى على غير ما القيام به » .

فقال له معوذ وقد عرف الأمر : « ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ » .

فرفض عبدالله بن أبى هذا الرجاء الذى كانت فيه نجاته لو أنه اتبعه ، وسايره فى هذا الرفض قوم كانوا على شاكلته ونفاقه ، وقيل انه نزلت فى ذلك الآية الكريمة :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

ولما كان يوم بدر وقد فرغ النبى عليه الصلاة والسلام من عدوه ، أمر المسلمين أن يلتمسوا أبا جهل فى الهلكى ، فمضى إليه معاذ بن عمرو بن الجموح فرآه فضربه ضربة أطارت قدمه بنصف ساقه ، فدافع عنه ولده عكرمة فأطار يد معاذ .

ومر معوذ بن عفراء بأبى جهل جريحا فضربه ..

قيل وضربه معه أخوه معاذ بن عفراء حتى بردت أطرافه وأصيب فى هذا اللحظة معوذ بن عفراء وهو يقاتل ..

أصابه آبو مسافع بن طلحة إذ ضربه فعجل إليه بالشهادة

رحم الله معوذ بن عفراء ، فقد كان صحابيا مؤمنا، وكان محاربا باسلا صلب العود ، وكان خواض غمرات لا يخافها . لقد غادر معوذ الحياة فى أشرف ساحة ليكون شهيدا ..

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)

صدق الله العظيم

فرات بن حيان

الخبير بدروب الصحراء

كان فرات بن حيان العجلي البكري من أمهر العارفين بمسالك الصحراء ودروبها حتى لكأن بينه وبينها صلة الفة ومحبة ٠

وللصحراء مسالك وشعاب لا يدريها إلا قلة من الرجال، واذا كان لقلة منهم أن يعرفوا بعض طرقها فربما بهم عليهم الأمر أن يدركوا أى نواحيها تكون ذات رمال تغوص فيها الأقدام فتدفن سالكيها أحياء ، وتطويهم كثبانها المتحركة كالسيل الأتى فلا يوقف على أثر لهم ٠

وقد لا يعرف هذا البعض أين تكون هذه الكثبان المتحركة التى لا تجدى معها محاولة الهرب منها ، ولا تدفع غائلتها محاولات تذهب بددا ويهلك أصحابها ٠

لكن فرات بن حيان كان ابن الصحراء ، وابن الفيافى الموحشة ، غير أنه ألفها وألفته ، وطالما رأته يدب على رمالها وسط الرياح الهوج العاصفة السافية ، فهو يعرف كل شعب فيها ، لا يشأوه فى تلك المعرفة أحد ما ، أو يبلغ غيره بعض مداه ، كأنما قد كشفت له هذه الصحارى وتلك الفيافى عن مطوى سرها ومكنون أمرها ٠ وقد رزقه الله حاسة تدله على أى الدروب إن سلكها كان آمنا هو ومن معه ، وأنهم واجدون فيها ماء يروى غلة ظمئهم القاتل ، وكانت العرب عامة ــ وقريش خاصة ــ تعرف فيه هذه البراعة ولا ينكرها عليه

أحد ، لذلك كان يلتمسه من هؤلاء جميعا من يرجون السلامة لأنفسهم فيسلمون وتسلم تجارتهم فى سفرهم عبر هذه الفيافى ٠

وكان فرات بن حيان يعيش عيش أهل الجاهلية : نحلة وجهالة ، ويشارك الكفار والمشركين عداوتهم للاسلام والمسلمين ٠

وكانت قريش تعرف فيه صاحبا لها ، وتدرك أن هواه معها ، وبئس الهوى هواهم جميعا يومذاك ، وكيف لا يكون له نفس الهوى وهو الذى يراهم كل الأهل والعشيرة ٠٠ ؟؟

ثم جاء يوم راحت قريش فيه تتنادى للخروج إلى قتال محمد عليه الصلاة والسلام وأصحاب محمد رضوان الله عليهم جميعا بعد أن عرضت سرية من المؤمنين من أصحاب النبى لعير قريش ، وكان للسرية قصة ٠٠ أنزل الله فيها جل جلاله قرآنا يتلى ويحفظ ، وتردده الألسن فى المساجد ، ويسمعه الناس بعضهم لبعض ، ويتدبرون ما حوى فيزدادون تمسكا بعمود الإيمان ٠

ويقطع هذا القرآن كل مقالة للمشركين ويلجمهم ، وتغضب قريش من المسلمين وتثور ثائرتها عليهم ، وتأبى إلا أن تؤدبهم أدبا لا ينسونه ، فتخرج إلى بدر وقد جمعت من جمعت ، ويخرج معها فرات بن حيان ٠٠ مشركا كافرا ٠

ويلتقى الكفر فى ساحة بدر بالايمان ٠٠٠ والشرك بالتوحيد ، ٠٠ وأعوان الشيطان بجند الرحمن ٠

وتشهد الملائكة بدرا ٠٠٠ لا يمارى فى ذلك إلا حاقد أو جهول ، ظالم لنفسه وعقله ، وكافر بآيات الخالق القادر على كل شىء ٠

ويشهد قوم بدرا وكانوا كفارا ، ويرون بأعينهم ما جرى يومذاك ويتحدثون بما وقع ، ويقصون خبر ما

رآوا ، فيقول رجل من بنى غفار إنه أقبل وابن عم له حتى صارا على جبل يشرف بهما على بدر ، وكان الغفاريان مشركين . فوقفا هناك ينظران وينتظر ان على من تدور الدائرة حتى ينهبا مع الناهبين ، وبينما هما كذلك على الجبل إذ دنت منهما سحابة سمعا فيها حمحمة خيل ، فتلفتا فلم يجدا أثرا لخيل من قريب أو بعيد ، ولكن الحمحمة لا تزال تصدر من السحابة ، ونظر كل منهما إلى الآخر فرأى كل فى صاحبه مثل الذى فى نفسه ، وعجبا أن يكون خيل وفرسان حيث يقفان ، ولم يكن ثم خيل أو فرسان حيث يقفان .. وعجبا أكثر أن يكون الخيل والفرسان فى السحابة ، وما عهد أحد قط مثل هذا الأمر ، واستبد بهما الفزع اذ سمعا من يصيح بجواده : « أقدم حيزوم » .

وكان الناس قد عرفوا أن فرس جبريل عليه السلام هو « حيزوم » ، ... فتسمر الرجلان فى مكانهما .

فأما أحد ابنى العم فقد اضطرب فؤاده ، وانخلع قلبه ولم يحتمل ما يجرى حوله وإن كان لا يراه ولكن تسمعه اذناه ، فخر فى مكانه كأن قد أخذته صاعقة ، وأما محدثنا الغفارى (وهو ابن العم الآخر) فقد كاد أن يهلك ، ولكنه تماسك وكتب الله له الحياة ليقص على الناس الخبر العجيب، وليتحدث بما صافح سمعه ورأته عيناه .

ويحدث آخر ـ وكان مسلما ـ بأنه راح يتبع مشركا يوم بدر ليضربه ، فاذا به يرى رأس المشرك تقع قبل أن يبلغها سيف المؤمن ..

وما كان الذى رآه الغفاريان المشركان والمحارب المؤمن سوى الملائكة تحارب مع جند الله ... وآية من عند الله .

وفى هذا جاء قوله جل من قائل :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

وما حاربت الملائكة إلا فى بدر ٠

وشارك فرات بن حيان العجلى فى هذا اليوم ٠٠

شارك وهو على كفره فى صفوف المشركين ، ولم لا يشارك وهو على مثل ما هم عليه من الكفر والضلالة ، ولم يقف فرات بن حيان مثل ما وقف الغفارى وابن عم له ليرى لمن تكون الغلبة فينطلق الى المغلوب ينهب ويسلب وما من أحد يرده ، ولكنه كان كبقية قريش يحارب المسلمين ويقاتلهم فى بدر عسى أن يكون النصر لأعوان الشيطان الذين ألبسوا الحق بالباطل ٠

ورأى فرات بن حيان الموت بعينى رأسه ٠

ورأى كل فريق يستبسل غير هياب ولا وجل ٠

وانطلق فرات بن حيان يضرب ويضرب ٠

أبصر فرات هؤلاء وهؤلاء ، ورأى الموت يلمع فى ظبا سيوفهم وقسيهم ، وشاهد طواغيت الشرك من قريش يخرون صرعى فى موطىء الأقدام ، وتطؤهم الخيل بسنابكها ، وقد عفرت وجوههم بالدماء والتراب ٠

وأصابت الجراح فرات بن حيان ، ففر على قدميه وهو يقول فيما بينه وبين نفسه : «ما رأيت كاليوم أمرا أنكد»!!

قال هذا لنفسه دون أن يسمعه أحد ، ولم يخبر هو بذلك أحدا ما فى قومه ولا فى ايامه القادمة ، ولعل هذا القول كان لسان كفار قريش أجمعين ٠٠٠ من خرج منهم ومن لم يسعفه الخروج ، ولعله أيضا كان لسان حال المنافقين ويهود المدينة الذين قال قائلهم وقد بلغه ـ فيما بعد ـ مصرع وجوه قريش وقتل شيوخهم وسراتهم :

« أترون محمدا قد قتلهم وهم أشراف العرب وملوك الناس !! والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم فلبطن الأرض خير من ظهرها » ٠

ويقوى ساعد المسلمين بيوم بدر ٠

وتدرك قريش مدى القوة التى عليها المسلمون فتخاف من محمد عليه الصلاة والسلام ومن أصحابه ، وما عهدت نفسها إلا صاحبة الأمر والنهى ، وما عهدها العرب إلا كذلك ، وتنظر قريش فترى أن رسول الله ﷺ قد وادع أهل الساحل ووادعوه ، وأن كثيرا منهم قد دخلوا معه فى عقد ٠٠

وتجتمع طائفة من ملأ قريش وسراتهم يتحدثون فى هذا الخطر الجديد الذى يتهددهم ، ويصارح بعضهم بعضا بما هم فيه من هم ، وما يزعجهم من غم ، فيكون قولهم :

« والله ما ندرى ما نفعل بأصحاب محمد ٠

« إنهم لا يبرحون الساحل ٠٠٠ ولا ندرى أين نسلك ٠

« والله لئن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن فى دارنا هذه فما لنا بها نفعة ٠

« إنما نزلناها على التجارة : إلى الشام فى الصيف ، وإلى الحبش واليمن فى الشتاء » ٠

ويطول الحديث بينهم وتتشعب مسالكه ، وهو حديث كله مرارة وحزن وألم ومذلة ٠

إنهم يخشون على تجارتهم أن يعرض لها المسلمون ولابد أن يعرضوا لها وهى فى طريقها إلى الشام وغيره ، أو وهى قافلة إلى مكة ٠

وإذ ذاك يبرز رجل فى المجلس ويقول لمن يزمع أن يقود العير : « ٠٠٠ نكب عن الساحل وخذ طريق العراق » ٠

ولكن هذا الرجل الآخر يجيبه انه لا يعرف هذا الطريق ٠٠٠ وكان حقا ما قاله فلم تكن له خبرة ولا دراية به ٠ بل

ان القوم آجمعين لم يكن لهم به آلفة ، ولم يكونوا يسلكونه !
... ولماذا يسلكونه وطريق الشام أكثر أمنا ، وأيسر مشقة ، وأقصر طولا ، وقد ألفوه على كر السنين !!

وهبهم آزمعوا السير فيه الآن خوفا من المسلمين وممن دخل فى عهدهم ووادعهم فلابد لهم من دليل عليم بدروب الطريق وسبله .

ولكن أين الدليل الذى يعرف هذا الطريق ؟ .. وأين ذاك الذى يعرف أين تكون مياهه وهى قليلة بل نادرة .
وينظر بعضهم إلى بعض فى صمت وفى حسرة . غير آنه يعلو – فى هذا الجمع الذين اشتدت بهم الحيرة وتملكهم الجزع – صوت رجل فيهم يقول لهم :

« ألا آدلكم على آخبر دليل بهذه الطريق .. ؟

« ألا أدلكم على رجل يسلكها وهو مغمض العينين ..؟»

وتتجه الأبصار الى قائل هذا الكلام المتحدث ، وترهف الأسماع لتعلم من يكون هذا الدليل .

إنهم إن يعرفوه جاؤوه ... وإن جاؤوه أغروه بكل غال وثمين .

ويأتى اليهم صوت صاحبهم يقول :

« فرات بن حيان العجلى البكرى ... قد دوخ هذه الطريق وسلكها » .

ويقبل الرهط من ملأ قريش الذين يضمهم هذا المجلس بعضهم على بعض ، ويطرق آذانهم اسم « فرات بن حيان » فيصيح كبيرهم :

« هل قلت يا بن آخى فرات بن حيان ؟ ..

« لئن كنت قلته فذلك هو ... فواللات والعزى إنه لها ... ووالله ما نأمن طريق الشام على تجارتنا التى فيها كل أموالنا ، وما نأمن أن يعرض لها المسلمون فنكون سخرية العرب أجمعين ..

« إنه إن يهدنا فرات بن حيان طريق العراق فواللات والعزى ليكونن لنا على محمد وأصحابه النصر ... الا فابعث إليه يأتنا وانقده ما شاء من اجر حتى تكون اليد العليا للاتنا ونكون أشد قوة ، وأعلى مكانا ، وأهيب فى نفوس العرب ، وتكون العزة يومذاك للاتنا وليس الى ما يدعو اليه محمد بن عبد الله من دونهما من رب يزعم أن له العزة والملكوت ؟ » .

وسرى عن القوم ، وأقبل بعضهم على بعض فرحين ... وعادوا الى لهوهم وسمرهم وشرابهم مطمئنين ناعمى البال ... ونادوا قيانهم وجواريهم فرحن يرقصن ويضربن بالدفوف ، ويسمعهن من الأغانى الفجة المبتدلة ما يبعث فيهم النشوة والطرب .

ثم أرسلوا إلى فرات بن حيان الذى لم يكن يجهل ما هم فيه من فزع وهلع مخافة أن يتصدى المسلمون لهم ولتجارتهم وهى فى طريقها الذى اعتادت أن تسلكه إلى الشام حتى إلى أمد قريب ... إلى يوم بدر وما يوم بدر ببعيد .

ويدرك فرات بن حيان أن قريشا محقة فى خوفها ، فما طريق الشام بمأمون بعد أن سيطر عليه محمد وأصحابه الذين صارت لهم اليد العليا على الناحية ، لا سيما بعد أن وادعهم أهل الساحل .

ويخرج صفوان بن أمية إلى فرات بن حيان ..

وصفوان معدود فى الذروة من قريش ، وقمة من قممها الشامخة ، إذا تكلم أنصتت إليه الآذان واشرأبت إليه الأعناق ، وكان الكل له سميعا مجيبا ، وإنهم لينادونه بسداد البطحاء تعظيما لقدره ، وعرفانا بمكانته .

وكان أبوه قد هلك فى بدر وعفر التراب جبينه وكان مثواه القليب ، ويا ذل من دفن فى القليب بعد أن كان يسير فى الأرض مرحا وكأنها ملك يمينه بمن عليها ، ويخطر مختالا فيفسح الناس له الطريق .

كان فى صفوان فى هذه اللحظة جرحان ، أما أحدهما فحزنه على أبيه ، وأما الآخر فجرح آدمى كرامته ... وترى قريش ان صفوان بهذين الجرحين هو خير من ترسله فى هذه المهمة إلى فرات بن حيان ، فيجيؤه ويقول له : « يا ابن أخى .. إنا نريد الشام، ولكن قد عور محمد متجرنا علينا ، وهو على طريقنا ... وإنا نريد طريق العراق وأنت به الخبير يا ابن حيان وليس آخبر منك به ... فامض بعيرنا فيه ، فواللات والعزى لتكونن لك يد لن ننساها آبدا، ولك منا ما تشاء .. » .

ولما فرغ صفوان بن آمية من كلامه قال له فرات : « إن أسلك بكم يا صفوان بن أمية طريق العراق أسلك دربا لم يسلكه أحد من أصحاب محمد .. ولكنه يا صفوان درب كله أرض نجد وفياف ، والماء فيها نادر » .

ويسمع صفوان ما قاله العجلى فلا ينكره ، ولكنه يعرف أنه ارتضى أن يكون دليل عير قريش فى طريقها إلى الشام .

وإذن فليحمل صفوان هذه البشرى إلى رهطه ... وتغمر نفسه الفرحة فيقول للدليل الذى يعرف الصحراء وهو مغمض العينين : « هذه حاجتى يا ابن حيان ... أما الفيافى فنحن شاتون ، وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل » .

●●●

ويعود صفوان بن آمية إلى الملأ من قريش بوجه مشرق ، وتكاد قدماه أن تتعثرا من فرحته وقد دبت النشوة فى أوصاله من غير شرب ، ويحدثهم بما كان من أمره مع صاحبه العجلى ، فتطمئن نفوسهم إلى ما سوف يكون .

أليس فرات بن حيان دليهم ... ؟

أليس هو الذى يعرف كل شبر فى الصحراء ؟

أليس هو الخبير بمسالكها ومفاوزها ؟

ثم أليس فى سلوك قريش هذا الطريق ما يغيظ المسلمين ، ويكتب السلامة لعير قريش وفيها تجارتهم وأموالهم ؟

وتخرج العير ، ويخرج معها الرجال وقد اطمأنوا إلى الطريق ، وظنوا انهم مكروا بالمسلمين خدعوهم وسخروا منهم ، ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين .

وتنطلق قافلة قريش في السير بما حملت ... وهل حملت الا شيئا كثيرا وكبيرا وغاليا ؟ وكيف لا يكون ما حملت عظيما وهذه احدى رحلتى الشتاء والصيف اللتين اعماهم ما تعودان به من ربح عظيم عليهم، فلم يشكروا نعمة الله عليهم الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .!!

وتمضى القافلة فى السر لا يعلم بالطريق الذى تسلكه إلا قلة من ملأ قريش ، وإلا الصفوة المختارة منهم ... وتكتم قريش أخبار العير حتى لا يصل إلى محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم ما دبرته قريش وما وافقهم فيه فرات بن حيان ...

بل لقد كتم صفوان وأصحابه اسم دليلهم فرات بن حيان زيادة فى التعمية .

ولكن الله عز وجل يأبى إلا أن يكشف سر ما دبروا ويفضح خفى أمرهم ، حين يعلم بهذا السر واحد لم يكن فى حسباتهم قط أنه مفسد ما اعتزموه ، ذلك هو « سليط بن النعمان بن أسلم » الذى يسمع من « نعيم بن مسعود الأشجعى » (وكان لا يزال على جاهلية قومه) بخروج عير قريش بتجارتهم إلى الشام ، لكن عن غير الطريق الذى ألفوه ، وأعنى طريق العراق .

ويسـمع سليط بن النعمان من نعيم بن مسـعود الذى أطلقت الخمر لسانه فصرح بما تكتمه قريش ، وأذاع مكنون سرهم وما يخفون ·

وينطلق سليط إلى رسول الله من ساعته ويفضى اليـه بالخبر ···

ويرسل النبى سرية يؤمر عليها « زيد بن حارثة » فى مائة راكب يعترضون العير عند موضع يعرف « بذى القردة »

وتصيب السرية القافلة وما حملت ، كما تأسر الرجال غير واحد أو اثنين ·

ثم تعود السرية إلى المدينة المنورة ومعها ما أصـابت ، ويخمس النبى عليه الصلاة والسلام ما جاءوا به من غنيمة ، وكان الخمس يومذاك عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقى على زيد ورجاله ·

ولقد قيل إن ابن حيان وقع فى الأسر فى ذلك اليوم ، ولكن هذا مستبعد وأمر بعيد عن الواقع كما سـنعرف من سيرته ·

وقيل إنه أسلم يومذاك إذ وقع فى الأسر واذ عرضـوا عليه الاسلام ، وهذا أمر مستبعد أيضا ·

على أن الذى لا مراء فيـه أن غيظ قريش كان عظيمـا اذ فشلوا فيما دبروه حتى انهم سلكوا فى طريقهم الى الشام طريقا غير الذى كان مألوفا ، إمعانا فى المكيدة وإحـكاما لحلقاتهـا ، فاذا بها قد كشـفت ، وإذا بكل ما يملكون قد صار فى يد أعدائهم نهبا مقسما وغنيمة موزعة ·

لقد ظنوا أنهم باصطناعهم فرات بن حيـان دليـلا لهم يضمنون نجاة عيرهم وسـلامة تجـارتهم وحفظ أموالهـم · وأنهم يغبطون المسلمين بما دبروا ، ويميتونهم بكيدهم · لكن جاءهم الخوف والفشل من حيث كانوا يتوقعون السلامة والنجاح ·

فلا عيرهم نجت .. ولا أموالهم سلمت .. ولا تجارتهم عادت عليهم بما كانــوا يؤملون ، ولا هم غاظوا المســلمين ، ولا كادوهم ، وما كيد الكافرين إلا في ضلال ، وما جنوا من كل ذلك إلا السخرية بهم ، والشــماتة فيهم ، والمهــانة بين أصحابهم وعبيدهم .

وقال الشاعر يومئذ فيهم وفي فرات بن حيان :

دعوا فلجات الشام قد حال دونهــا
رجــال كأفــواه المخاض الأوارك
بأيدى رجال قد هاجروا نحو ربهم
وأنصــاره حقــا وأيدى الملائك
فان نلق في تطوافنا والتماسنا
فرات بن حيان يكن رهط هالك

هكذا كان فرات العجلي في نظر الناس ، إنه الرجــل الذى ان نجح في قيادة عير قريش كان ذلك ضربة للمسلمين .

ثم يكون الحنق على فرات ضخما ... ولكنه ينجو في يوم « ذى القردة » اذ يفر مع الذين فروا من رجال القافلة ، وينطلق إلى قريش مع الهاربين يحدث بما جرى، ولكن لا لوم ولا تثريب عليه فما هو بالذى أفشى السر ، ولا هــو بالذى خان ما أؤتمن عليه ، فان ذلك يفقده الأجر وما أجره بالقليل من قريش يوم تنجح القافلة .

عاد فرات إلى قريش وإلى حيث ألف من المواضع يمارس الحياة الجاهلية كما يمارسها أصحابها ، فيميل حيث يميلون، ويعبد من دون الله ما يعبدون ، ويتخذ من دون الله آلهة لعلهم ينصرون وما ينتصرون .

فان سأل ســائل وما الدليل عــلى أنه ظل بين صــفوف المشركين بعد ذى القردة ؟ جاء الخبر يوم الخندق .. يــوم ساء ما يدبرون، فقد خرج في هذا اليوم رهط من يهودالمدينة

إلى مكة يدعون قريشا ليكونوا وإياهم يدا واحدة يحاربون النبي ﷺ ، ويتعاهدون ألا يرجعوا حتى يكونوا قد استأصلوا هذا الدين وشأفة المسلمين .

ولقيت دعوة اليهود استجابة طيبة من نفوس القرشيين .

وتجمعت قوى الشر وطواغيته يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وما علموا أنهم غير بالغيه ، وأن الله متم نوره ولو كره الكافرون . وان الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ، وأنه تبارك اسمه وجل جلاله جامع المنافقين والكافرين والضالين في جهنم جميعا .

وراحت قريش تتحسس الأخبار .. أخبار المصطفى ﷺ وأصحابه .

ومضت العيون لترى ماذا يكون من أمر المسلمين في مواجهة أحزاب الكفر ودعاة الشرك وأهل الضلالة ورهط النفاق .

ويهول حزب الشيطان ما يرى من أمر لم يخطر على بال أحد قط ... ألا وهو «الخندق» الذى حفره المسلمون ، وعمل فيه معهم نبى الأمة ترغيبا فى الأجر والثواب ، وكان المؤمنون والذين آمنوا بالله ورسوله يدا واحدة ، وهم الذين اذا كانوا معه فى أمر جامع لم يذهبوا فى شىء — ولو دق — إلا استأذنوه فيـــه .

ودارت الدائرة على أعداء الرحمن يوم الخندق ، ووقع فى أسر المسلمين بعض الذين عجزوا عن الهروب ..

وكان فى هذا النفر « فرات بن حيان العجلى » ، وكان عينا للمشركين .

وأمر النبى بإيقاع الجزاء عـلى الرهط الذين أرادوا الاضرار بالمسـلمين ، ومر بالأسرى رجل من الأنصـار كان حليفا لفرات بن حيان الذى لم يكد يراه حتى صاح به « يا بن أخى .. اننى مسلم » .

فمضى الأنصارى لتوه الى الشفيع الهادى عليـه أفضـل الصلاة وأزكى التسليم وقال له « يا رسول الله ، ان فرات بن حيان يقول إنه مسلم » .

وقبل رسول الرحمـة ونبى الأمة ما قاله الأنصـارى ، وحقن دم ابن حيان ، ثم مَنّ عليه بالعتق وأطلقه حرا وقال « إن فيكم رجالا نكلهم إلى إيمانهم ... منهم فرات بن حيان» .

هكذا كان إسلام فرات بن حيان يوم الخندق .

وصدق فرات فى اسلامه ... وتفقه فى الدين ولم يحد عن محجته .

وعرف البشير ذلك فيه فأدناه اليه ، وأقطعه أرضا فى اليمامة تغل أربعة آلاف درهم ، ثم بعثه يوم ارتد الذين فى قلوبهم مرض إلى « ثمالة بن آثال » الذى كان مقيما باليمامة يدعوه لقتال مسيلمة الكذاب وقتله .

وأطاع ثمالة بن آثال .

وهكذا صار فرات بن حيان ــ الذى كان عين المشركين بالأمس ــ رسول رسول الله ﷺ يوم أطلت الفتنة ليخمدها بطريق أو بآخر .

وألقى الله الإيمان فى قلب فرات بن حيان ... فازهر ايمانه وأينع ، وثبت عـلى الحق اذ هـداه الله إلى الطـريق القويم ، فسلك المسلك المستقيم ، وتمسك بالهدى والدين .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

صدق الله العظيم

أبو الروم بن عمير

حامل الراية يوم اليرموك

نحن الآن مع صحابى جليل جمع بين عرقين كلاهما كريم ، فأبوه عربى من صميم العرب ، وأما أمه فرومية المولد .

وكان أخوه أول داعية في الاسلام وهو مصعب بن عمير، الذى قيل إنه كان « حسن اللمة ، عظيم النعمة » .

وأما ذلك الصحابى المدجن فهو أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد الدار ، الذى ينتهى نسبه الأعلى إلى جده قصى ابن كلاب ، ومن ثم فهو قرشي عبدرى .

وكان قصى قمة من قمم العرب في الجاهلية ، وكان يعد نفسه ويعده الكثيرون ــ عن حق ــ أولى بالكعبة وبأمرها من كل أحد سواه ، فخلوا بينه وبينها ، وارتضاه منافسوه راعيا لبيت الله ، وما كانوا يرتضونه لولا شرف أرومته ، وعلو منزلته ، ورفعة مكانته ، وقد قيل فيه إنه أول « بنى كعب ابن لؤى أصاب ملكا أطاع له به قومه » ، كما كانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ، فأعظم بما جمع ، وإنه لجدير بكل ذلك .

إذا كان هذا شأن قصى بن كلاب جد أبى الروم الأعلى فان أباه عميرا كان من الشراة ثراء انعكس فى ولده مصعب حتى ليقول نبى الرحمة فيه :

« ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير »

وصدق الصادق المصدوق فيما قال ، وهو الذى لم يكن يقول إلا حقا ٠

في هذه النعمة الوارفة الظلال والثراء الكبير نشأ صاحبنا الصحابى أبو الروم كما نشأ أخوه مصعب ، يتقلبان فى مطارف الغنى والجاه ، وإن زاد مصعب عليه فى جاهليته بفضل جاه أمه وما تغدقه عليه من عظيم ثروتها ومالها ٠

وأبو الروم ذو قدم راسخة في الاسلام بمكة ، وانه لقديم فى الإسلام قدم آخيه مصعب فيه ، رضى الله عنهما ٠

وكان أبو الروم يدعى فى الجاهلية « عبد مناف » ، فلما تبرأ من جاهليته ، ونحى عنه مثالبها ، وتخلص من أدرانها ، وشجب كل صلة له بها زال عنه اسم « عبد مناف » إلى غير رجعة ليعرف بأبى الروم ٠

لقد هداه الله إلى الاسلام ، وفتح قلبه للايمان ، فحمدت عقيدته ، وصار يغشى مجالس النبى المختار في وقت كان من يغشاها لا يأمن على نفسه بطش قريش وأذى سفهائها وسخرية الساخرين به ونيلهم منه ، اذ كانت قلوب القوم المشركين لا تنطوى إلا على حقد لا ينحل ، وسخيمة سوداء ٠

ولكن آبا الروم كان شديد التمسك بالحنيفية وبطاعة رسول الله ﷺ ، ومن كان كذلك فقد استمسك بحبل غليظ من الايمان وبالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ٠

وان طاعته هذه لتحمله على أن يستجيب للرسول حين أشار على المسلمين آن يهاجر منهم إلى الحبشة من شاء ومن قدر على الهجرة ، فاستجاب أبو الروم وهاجر مع أخيه مصعب ، وهكذا شهدت الحبشة التى لا يظلم ملكها أحدا : اثنين من بنى عبد الدار ، ومن ولد عمير ينزلانها ، وكانا نعم الرجلين ٠

على أن البعض شك فى أن تكون لأبى الروم هجرة ، ويشير الواقدى مؤرخ الغزوات إلى هذا الرأى بقوله « ليس

متفق على هجرته إلى الحبشة » ، واذا كان هذا الرهط قد شك في هجرته الى الحبشة ، فهناك نفر نفي نفيا باتا هذه الهجرة ، وكان شيخهم الهيثم بن عدى ·

على أننا نستدل من قراءة السيرة لابن هشام ، حين يذكر أسماء الذين قدم بهم عمرو بن امية مع جعفر رضى الله عنه ، إذ يدرج فيهم صحابينا آبا الروم ، مما يدل على أنه كان فى الهجرة الثانية على الأقل ·

اذا تقرر فى الأذهان أنه هاجر إلى الحبشة ــ سواء فى الهجرة الأولى أو الثانية ــ فانه قد قدم إلى المدينة ، ولكن فاته أن يشهد بدرا ، التى إن تأخر عنها فانه لم يتأخر عن يوم أحد بعدها ·

أجل ··· لم يفته ذلك اليوم الخطير الذى رأى فيه درسا فى جدوى الطاعة الواجبة على المسلمين للنبى القائد ، فوعاه وعمل به ··· وهو درس فى معنى الانصياع لتوجيهات الرسول المصطفى ، الذى لا ينطق بالهوى ، والذى علمه شديد القوى ، وما يتمخض عن طاعته من فلاح ، وإن الشر كل الشر فى مخالفته ، وإنه لدرس فى وجوب التزام الجندى بطاعة رئيسه حتى لو حرمه ذلك متعا وأسلابا وغنائم جمة ·

وقاتل أبو الروم فى يوم أحد قتال الأبطال المغاوير ·

وكان أبو الروم إلى جانب أخيه مصعب : حامل لواء المسلمين فى أول ذلك اليوم والشهيد الزكى الطاهر ·

وكان « شرحبيل العبدرى » الصحابى قد شهد استشهاد مصعب ، وكيف بادر أخوه أبو الروم فأخذ اللواء بدلا منه ، ويحدثنا شرحبيل عن هذه اللحظة فيقول :

« حمل مصعب اللواء يوم أحد ، فلما جال المسلمون ثبت به ، فأقبل ابن قميئة ــ وهو فارس ــ فضرب يد مصعب

اليمنى فقطعها ، ومصعب يردد « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، ثم أخذ مصعب اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فقطع الكافر ابن قميئة يده اليسرى ، فحنا مصعب على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » ثم حمل عليه الكافر الثالثة واندق الرمح ، ووقع مصعب ... وسقط اللواء » . فأخذه « أبو الروم » ، فلم يزل فى يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون .

هذه رواية شاهد عيان صادق حدث بها عما جرى فى هذه اللحظات التى كانت لحظات حاسمة فى تاريخ الاسلام .

وهكذا صار أبو الروم حامل لواء المسلمين يوم أحد ، .. وظل حفيظا عليه لم يتركه من يده حتى دخل المدينة المنورة مع كتائب الرحمن وعسكر الإيمان .

وقال « المقداد بن الأسود » إن رسول الله ﷺ « دفع لواء المهاجرين إلى يد أبى الروم العبدرى آخر النهار » .

وانها لشهادة يزكى بها أبو الروم : فارسا مغوارا ، وبطلا كميا ، ومجاهدا مظفرا ، رأى بعينى رأسه مقتل أخيه مصعب بن عمير الذى مر به النبى الكريم وهو مسجى فى بردته ، فنعاه شهيدا مبرورا ، ثم أمر به أن يقبر فكانت روحه مع أمثاله فى حواصل طير خضر .

ونزل أبو الروم واثنان آخران مع جثمان الشهيد مصعب فى قبره .

هكذا عاش أبو الروم المجاهد مجاهدا خوّاض غمرات من أجل الاسلام ، ثم شاء الله أن يكرمه اذ حارب الروم يوم اليرموك فمات هو الآخر كأخيه شهيدا .

فرحم الله أبا الروم فقد جرى حب الاسلام فى نفسه مجرى الدم فى العروق

ورحم الله أبا الروم مسلما ، مهاجرا ، مجاهدا ، مؤمنا، تقيا ، طائعا لله ولرسوله .

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

صدق الله العظيم

سَعْد بنُ عَمْرو بنِ ثَقْف
المعلم الشهيد

هذه صفحات مطوية آن لها أن تنشر من حياة صحابى أنصارى خزرجى ، من بيت جاهد الكثيرون من رجالاته وشبابه فى دفع غائلة الشرك وفساد المشركين ، واستشهدوا فيما أخذوا به أنفسهم من رفع راية الحق فكانوا من المؤمنين الذين لهم درجات عالية عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ، ذلك هو الصحابى الشهيد :

« سعد بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول »

ومبذول هو « عامر بن مالك » من بنى النجار الذين كان يقال لهم فى الجاهلية « بنو سدن بن مالك » ، وقد أحصى المقدسى منهم فى الاستبصار سبعة عشر رجلا وامرأة ، وما كان فيهم إلا كل ذى تاريخ مشكور ، وجهاد غير منكور ، عرفوا الاسلام وذاقوا حلاوة الايمان ، واستعذبوا ورد الشهادة من آجله وفى سبيله ، فكانوا موضع الإكبار والتعظيم للناظر فى سيرهم ، والمطالع لأخبارهم ، ويزيدنا إكبارا وتعظيما لهم انه استشهد منهم ثلاثة عشر رجلا ، فكأنهم بذلك كانوا يتسابقون الى الموت فى سبيل الله ، وتم لهم ما أرادوه ، فربحوا الذكر الكريم فى الدنيا ، وكان لهم عند الله عز وجل حسن الثواب ، ذلك انهم كانوا قوما يرجون رحمة ربهم .

أسلم « سعد بن ثقف » مثلما أسلم أكثر أهل يثرب قبل هجرة رسول الله ﷺ يوم عاد النفر اليثربيون من الحج

يبشرون بظهور المصطفى عليه الصلاة والسلام، وينادون فى بلدهم : « يا أهل يثرب ... ان الله قد رضى عنكم ، اذ ظهر النبى الذى تتوعدكم به اليهود ، ... فسارعوا الى الفلاح والنجاح » ، فاستجاب لهم الكثيرون من أهل يترب عن بقلب مفتوح ونفس راضية ، وأسرعوا الى الإسلام حتى صارت يثرب بالاسلام المدينة المنورة ، وكانت « طيبة » باحتضانها لنبى الهدى ورفاقه المهاجرين .

وكتب الله النجاة فى الدنيا لمن أسلموا من أهل يثرب ، وأعد لهم الرحمة فى الآخرة فراحوا يبذلون الروح فى نصرة نبيه ، وفى تأييد الدين الذى جعل منهم اخوة فى الله بعد أن كانوا أعداء ألداء ، يجاهر الواحد منهم الآخر بالكراهية والبغضاء ... أما اليوم فقد صاروا يدا واحدة ، قد نزع الله من قلوبهم كل غل فأقاموا دولة الاسلام معتصمين بحبل الله لم تتفرق كلمتهم ، ذاكرين انهم كانوا أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخوانا ، بعد أن كانوا على شفا حفرة من النار .

●●●

كان من هؤلاء الناجين صاحبنا «سعد بن عمرو بن ثقف».

آمن وصدق ايمانه ... وأسلم وحسن يقينه ... وصحب النبى ، عليه الصلاة والسلام وفاخر بصحبته ، ومن لازم النبى وتبعه بصدق فقد حق له أن يطمع فى الجنة ... ألا إن أصحاب الجنة هم الفائزون .

وحضر « سعد بن عمرو بن ثقف » مجالس النبى الشريفة النيرة ، وسمع ما يقول ، ورأى ما يعمل ، فاقتدى به جهد ما أمكنه ، ثم ترجم عن ذلك كله فى قيامه خير قيام يعلم الدين من لا يعلمون أمر الدين ، ويفقه فيه من لا يفهمه فينقذ روحه من الهلاك ، حتى استشهد فى هذا السبيل فكتبت له الرحمة .

شهد سعد بن عمرو بن تقف النجارى أياما خطيرة فى تاريخ الإسلام ، يوم كان الاسلام غضا طرى العود فى المدينة، يتربص به المنافقون واليهود والمشركون ويدبرون له المكائد، ولكنه كان قويا قد نصره الله في مواطن كثيرة ·

وعرف « سعد بن عمرو بن ثقف » ما كان للمسلمين من أيام عظيمة كيومى بدر واحد ، ورأى فى خاتمة كل منهما ما زاده تمسكا بالاسلام ، وحماسة فى نصره ، وطاعة لرسول الله ﷺ ·

●●●

ثم كان بعد ذلك بقليل ما كان فى السنة الرابعة بعد الهجرة ، وعلى رأس بضعة أشهر من أحد حين بعث الهادى البشير بعثا عرف ببعث « بئر معونة » استجابة لأبى براء : عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، الذى قدم على النبى وجرى بينهما حديث عرض فيه النبى على أبى براء الاسلام · « فلم يسلم ، ولم يبعد عنه » ، كما قال مؤرخو السيرة ، ولكنه قال لنبى الرحمة : « لو بعثت يا محمد رجالا من أصحابك الى قومى فدعوهم الى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك » ·

ثم أكد له أنه لهؤلاء الصحابة جار ·

وبعث المصطفى برجال من أكرم رجاله ومن خيار المسلمين ، وأغذوا السير يرجون أن يهدى الله بهم القوم الظالمين فينعمون بنعمة الاسلام حين يعرفونهم به ويفقهونهم فيه فيذوقون حلاوته ·

وكان فى القوم المبعوثين الصالحين « سعد بن عمرو بن ثقف » ومعه ابنه « الطفيل بن سعد » ··· وكان معهما ابن أخيه « سهيل بن عامر بن عمرو » ··· ثلاثة من أكرم الناس ومن بيت واحد ·

فإن زدت فى الفضل فقد كان معهم من بنى مبذول : الصحابى النجارى « كعب بن زيد » .

وكان القوم المؤمنون أربعين ... كلهم أهل ايمان وبر وتقوى ، ورجال رحمة لا نقمة ، وكلهم حفاظ ومحدثون .

حتى اذا نزلوا بئر معونة (وهى أرض بنى عامر وحرة بنى سليم) . كان ما كان من وثوب الكفار على المؤمنين ، وفتكة الشرك بالإيمان ، وأسفرت الخيانة عن وجهها الكالح فأخذت الأربعين قارئا من حيث لا يحتسبون ، وهل كان لهم أن يروا خيانة وغدرا بهم وقد جاءوا هداة لا محاربين ؟

وهل كان لهم أن يظنوا إلا خيرا وسلامة ، وعندهم أمان وجوار من أبى عامر ملاعب الأسنة ، وهو من هو فى الناس من قومه يومذاك ؟؟

لكن جرى الذى لم يكن فى الحسبان من قريب ولا من بعيد .

واستشهد البعث المؤمن سوى نفر حدثوا بما كان ، ويا قبح ما كان من أعداء الرحمن وأعوان الشيطان ، لعنهم الله بكفرهم وأعد لهم سعيرا .

وكان ممن استشهد فى هذا اليوم صاحبنا الصحابى سعد بن عمرو بن ثقف وابنه الطفيل الذى شهد أحدا ، وابن أخيه سهل بن عامر بن عمرو بن ثقف .

وجاء الناعى الى النبى عليه الصلاة والسلام فكره ما كان من الخيانة والغدر ، وحزن لما جرى ، والله لا يحب الغادرين ولا يهدى كيد الخائنين .

إنه إن يحزن فلثلة من أكرم الناس وأحبهم الى المولى عز وجل ، كانوا دعاة حق ، وحملة القرآن الكريم ، لا يرجون غير رحمة ربهم .

لقد استشهد رجال البعث الشريف ولكنهم فازوا برضاء الله ورحمته ٠

فسُقيا لهم بررة أطهارا ، ورفاقا مؤمنين ، وتبا للظالمين فمأواهم النار خالدين فيها أبدا ، وُبئس المأوى الذى سعوا إليه بأرجلهم ٠

لئن كان الموت حقا على الجميع فان لهؤلاء الشهداء أجرا عظيما ٠

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

صدق الله العظيم

أبو وائل : شقيق بن سلمة
الراعى المهدى

نحن الآن مع صحابى كان غلاما صغيرا قد جاوز العاشرة بقليل حين بعث الله رسوله المجتبى صلوات الله وسلامه عليه ذلك هو :

أبو وائل شقيق بن سلمة

كان من أهل البادية ... وشب كما يشب غلمانها قويا مفتول الساعدين ، مفطورا على البأس ، شديد البنية ، قد لوحته شمس الصحراء ، وما شمسها إلا حمام العرب .

كان الفتى أبو وائل يرعى الابل والغنم ، فيخرج كل صباح بابله وغنمه ، ترعى حيث الربيع ، وحيث العشب والماء هنا وهناك . وكان يحدو لها حداء تطرب له ... والإبل يطربها الحداء وتحن اليه .

ولقد ألفت الابل صاحبها وألفها صاحبنا أبو وائل الغلام ، فهما يتبادلان الحب والألفة ، فكان يسكن إليها وتسكن هي إليه .

كان أبو وائل على مذهب أهل الجاهلية حين قدر الله له ــ وهو فى ابله يرعاها ــ أن يلقى رسول الله ﷺ ، وكان صاحبنا يومذاك غلاما حدثا لم يطر عذاره .

وكان أبو وائل (واسمه شقيق بن سلمة) حتى هذه اللحظة ــ مثله فى كل لحظة من أمسه وما قبله ــ منصرفا الى إبله ، مشبب لها بمزماره حين مر به ركب فيه رجل كان هو النبى عليه الصلاة والسلام ولكنه لم يعرفه ، وكيف له أن يعرفه وهو فى البادية وفى هذه السن الصغيرة ؟

وأحس أبو وائل احساسا غريبا طيبا ازاء هذا الرجل الذى رأى فيه أشياء ليست فى غيره من الرجال ، إذ هى أحسن مما عند غيره ، وتوحى بأمور تطمئن لها النفس ·

وكان حقا ما أحسه فقد خلف هذا الرجل الذى رآه أبو وائل لأول مرة فى حياته ذكرى لم تطمسها الايام من ذاكرته رغم الأحداث الكثيرة التى طمستها ، والتى ربما كان بعضها جسيما ، ولكنها لم تبلغ من الجسامة مبلغ هذا الحدث الفريد فى حياته ، وإنه هو نفسه ليشير إلى ذلك فيقول عن أوائل ذلك اليوم :

« كنت فى ابلى أرعاها ، فمر بى ركب فنفرت ابلى ·

« فقال رجل من القوم لهم : أنفرتم عن الغلام ابله !؟ · ردوها عليه كما أنفرتموها » ، فردوها ·

ويتابع أبو وائل روايته لبقية الخبر فيقول :

« فلما رأيت ذلك قلت لرجل منهم : من الذى قال ردوا على الغلام إبله ؟ » فقال الرجل لى : « هذا رسول الله ﷺ » ·

بهذا حدث شقيق بن سلمة المعروف بأبى وائل · حدث بالرحمة يجرى بها لسان نبى الرحمة وشفيع الأمة ·

ثم أسلم أبو وائل ··· وإن كنا لا نعرف متى كان اسلامه ·

ولكن التاريخ يقول إنه هاجر بعد النبى عليه الصلاة والسلام ، وإن كان ذلك لا يساعدنا على تحديد وقت اسلامه ،

... غير أننا نراه رجلا صادق الايمان ، فلقد حدث حديثا يدل على امتثاله لأوامر النبى ونواهيه اذ قال :

« آتانا مصدق رسول الله ﷺ وكان يأخذ ناقة من كل أربعين ناقة . فأتيته بكبش وقلت له خذ هذا صدقة .

« فقال المصدق : ليس فى هذا صدقة » .

هذا ما قاله أبو وائل فى شأن الصدقة ... لم يجادل فيما لا جدال فيه ، وما يجادل فى ذلك الا من كان فى قلبه ريبة ومن ليس بصادق فى إسلامه .

لم يتهرب أبو وائل من الصدقة ، بل قدم ما كان يراه ويظنه يصح في الاسلام . ويظنه وافيا بها ، ... وإنما الأعمال بالنيات .

●●●

هكذا كان صاحبنا أبو وائل ، ولقد قسم حياته قسمين : اذا لم تكن حرب ولا غزو ولا جهاد فأنت واجد اياه فى خص من قصب يسكنه هو ودابته .

واذا كان اليوم يوم جهاد فما أيسر عليه أن ينقض هذا الخص ثم يخرج غازيا فى سبيل الله وفى سبيل الحق ... فاذا عاد من الغزو أعاد خصه كما كان .

وهكذا كان أبو وائل ... تعرف أين تلتمسه فى الحرب والسلم على السواء دون أن يجهدك البحث عنه .. ولا يعوزك الأمر أن تسأل عنه فموضعه دائما على أطراف أرض تلتقى فيها البادية بالحضر .

●●●

وتمضى الأيام بأبى وائل المسلم ، ثم تكون وقعة القادسية ، ويكون له فيها صولة وجولة .. وإنه ليصف شدة المسلمين على أعداء الله فيقول :

« حملنا على الأعاجم يوم القادسية حملة رجل واحد فهزمهم الله ٠

« ولقد رأيتني أشير الى أسوار منهم فجاء إلى وعليه السلاح التام فضربت عنقه ، ثم أخذت ما كان عليه » ٠

وهكذا بث الله الذعر في قلوب أهل الكفر خشية من المسلمين حتى آن الواحد منهم ليحمله فزعه من المؤمنين ألا يدفع الموت عن نفسه ولو فرارا ٠

●●●

وقد أورد الطبرى فى تاريخه الكبير كلاما حدث به غير واحد عن نزول سعد بن أبى وقاص القادسية يوم خرج المسلمون لفتحها فدكوا عرش كسرى ، وأزالوا دولة الطاغوت ، ومحقوا الشرك ، ونعرف من هذا الحديث ان صاحبنا ولد قبل البعثة الشريفة ٠٠ ولكن متى كان ذلك ٠٠؟ ذلك ما لم يصرح به فى هذا النص ، فلقد قال :

« جاء سعد ومعه الناس ونزل القادسية ٠

« ولا أدرى لعلنا لا نزيد عن سبعة آلاف أو نحو ذلك ٠

« وكان المشركون نحو ثلاثين ألفا أو نحو ذلك فقالوا لنا : لا حول لكم ولا قوة ولا سلاح !! ماذا جاء بكم ٠٠؟ ارجعوا» فقلنا لهم : « لا نرجع ولا نحن براجعين ، فكان المشركون يضحكون من نبلنا ويقولون « دول !! دول ٠٠ !! » وهى بلسانهم « مغزل » ، يشبهون نبلنا بالمغازل ، فلما أبينا آن نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلا منكم عاقلا يبين لنا ما جاء بكم » فقال المغيرة بن شعبة « أنا لهم !! » ٠

فعبر إليهم المغيرة فقعد مع رستم على السرير ، فنخروا وصاحوا ٠٠٠ ثم سأله رستم : ماذا جاء بكم ؟ فقال المغيرة بن شعبة ٠

إنا كنا قوما فى شر ضلالة فبعث الله فينا نبيا ، فهدانا الله به ، ورزقنا على يديه ، وكان مما رزقنا حبة تنبت بهذا

البلد ٠٠٠ فلما آكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عن هذه ٠٠٠ انزلونا هذهالأرض حتى نأكل من هذه الحبة»٠

فقال رستم « اذن نقتلكم » ٠

فقال له المغيرة : إن قتلتمونا دخلنا الجنة ٠٠٠ وإن قتلناكم دخلتم النار ، أو أديتم الجزية » ٠

ويكمل الخبر صاحبنا الصحابى أبو وائل : شقيق بن سلمة ، فيقول : « ٠٠٠ فلما قال المغيرة : أديتم الجزية ، نخر الفرس مرة أخرى واستبد بهم الغضب ودفعتهم الحماقة لأن يصيحوا قائلين : « لا صلح بيننا وبينكم » ٠

فقال المغيرة : «هل تعبرون الينا أو نعبر نحن اليكم»٠

فاستأخر المسلمون حتى عبر الفرس فحملوا عليهم فهزموهم ! ٠

هكذا روى أبو وائل خبر المقدمات التى سبقت الواقعة ، وإنه لشاهد عيان صادق ٠ وكان ذلك سنة أربع عشرة للهجرة ٠

وكان أبو وائل قد أكتمل له يومذاك من شبابه وسنه ــ وإن كان غضا ــ ما أتاح له فرصة المشاركة فى هذه الغزوة ، فترك لنا هذا الوصف الرائع الدقيق الذى قل أن نجده عند غيره على هذه الصورة ٠

ولو نظرت فى هذا الخبر الذى قصه أبو وائل ، ولم تعلم بقائله لقلت : « ما يقول هذا الكلام الا رجل كان مطلعا على ما يجرى يومذاك ، ولا يعرف ما اطلع عليه الا الاقلون!»

وهكذا كان ابن البادية وراعى الابل المهدى مصدرا من مصادر تاريخ هذه الفترة الحرجة من الفتوحات الاسلامية المجيدة ٠

وكان صاحبنا صادقا فيما يرويه ، فقد ساهم بنفسه في هذه الوقعة العظيمة غير عابىء أن تكون فيها نهايته .
ولا يضيره ان يموت فيها لانه ان مات فقد مات شهيدا .

★★★

وتعال نسأله كيف كانت المعركة يا أبا وائل ؟ .. وماذا كان من شأن المسلمين يومذاك ؟ ، فيسمعنا العجب العجاب الذى رآه بعينى رأسه ، وهو يحدثنا ــ وقد التزم الحق ــ عن حماسة عسكر التوحيد وأهل الإيمان ، وكيف كان بلاؤهم وصدق إسلامهم الذى لا ريب فيه .. فرضى الله عنهم جميعا سواء من ظل حيا بعد هذا اليوم أو من مضى شهيدا ، فقد اصطفى الله لهم الدين القيم فأقسموا ألا يموتوا إلا مسلمين .

●●●

وتعال نستمع الى أبى وائل وهو يقول : « اقتحمنا القادسية صدر النهار فتراجعنا وقد أتت الصلاة وأصيب المؤذن ، فتشاحن الناس في الأذان حتى كادوا أن يحتربوا بالسيوف ، فأقرع سعد بن أبى وقاص ، فخرج سهم رجل ، فأذن الرجل » .

هكذا كانوا يتسابقون ويتنافسون أيهم يكون المؤذن للصلاة فيحظى بالشرف العظيم ... وكانوا يرون فى قيام الواحد منهم بالأذان فخرا كفخرهم بالجهاد .

وصدقوا فيما كانوا يرون من أن الأذان خير وبركة وأن بركته تعم ، وتكون خيرا لمن يلبى نداء المؤذن خاشعا مسرعا لا تلهيه تجارة ولا بيع عن صلاته ..

●●●

هذه صورة من حياة أبي وائل : شقيق بن سلمة الذى أدرك النبى عليه الصلاة والسلام ، والذى كان يعرف بأنه صاحب عبد الله بن مسعود اذ أكثر من الرواية عنه ، وكان ابن مسعود مكثرا فى الرواية الصادقة ، فأكثر عنه أبو وائل، وحدث بما سمع حتى كثر رواته والآخذون عنه ، ثم قدر له أن يشهد «صفين» مع الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ، فأبلى احسن البلاء ، وحمد له أصحابه فتكاته ، وخرج من المعركة سليما ليمتد به العمر طويلا ، مما حمل البعض على ان يذهبوا بعيدا فيما قالوه من انه مات فى أخر القرن الأول للهجرة ، وما نحسب هذا إلا من قبيل المبالغة فى الاعجاب به .

★★★

على انه أيا كانت سنة وفاته فقد كان أبو وائل بدويا قحا ، يألف حياة الصحراء ويؤثرها على حياة المدينة اذا لم تكن حرب ، فان كانت حرب ضد الكفر أو ضد ما يراه ظلما خلى المكان الذى يستروحه وخاض غمار القتال ، وقاتل أروع قتال لا ينكره عليه خاصة الناس ولا عامتهم ، بل يشهدون له بأنه الباسل المقدام ، والفاتك الثابت الجنان .

ولما رفع الله نبيه اليه وكانت حروب بعده كان أبو وائل من أوائل المجاهدين الذين يساهمون فيها ، ويكون صبرا عند اللقاء .

هكذا كان أبو وائل يعمل للدنيا والآخرة معا ، ويسعده أن يقاتل الكفر إلى جانب النبى ﷺ فى حياته ، وينتصر للاسلام بعد رفعه .

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

صدق الله العظيم

البراء بن عازب

المجاهد صبيًّا وكهلاً

نحن الآن مع صحابى ابن صحابى ، كانت له جـولات فى الجهاد مأثورة ، وصولات فى مغازى الاسلام مشـهورة ، وآثار فى الدفاع عن الحق غير منكورة ، تجلت جلاء الشمس فى رابعة النهار ، فما يجحدها إلا من طمس الله بصيرته فيقول منكرا ، ويشهد زورا ٠

ومع أن أباه كان هو الآخر صحابيا الا أننا لم نسمع له خبرا فى المغازى ولا السرايا ، وهذا الأب هو عازب بن الحارث ابن عدى ٠

وأما ابنه البراء فكنيته « أبو عمارة » ، وكان غلاما غض الحداثة يـوم بدر ، وإن قال البعض إنه يومذاك قد ناهز الادراك وراهق الحلم ، لكن لم يمنعه صغر سنه من أن يكون مؤمنا صادق الإيمان ، ومسلما صحيح الإسلام ، ذا همة عالية ، ونفس سامية تنزع إلى خطير الأمور وجليلها ، ثم إنه كان فوق هذا وذاك من جيل تأدب بأدب النبوة وقبس من نور صاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لبعض خصالها ، وهو جيل كان آية فى كل دهر ، ومنارة لا تنطفىء شعلتها ولا يخبو ضياؤها فى كل عصر ، ومثلا يحتذى فى كل مصر ، وهو جيل تبـوأ عن حق ذروة الشرف ، فكان بنـوه خيـار الناس ٠

كان البراء بن عازب يمثل هذا الجيل الذى تشرف عصره به فجاء فى يوم بدر الى رسول الرحمة يسأله ان ياذن له فى الخروج مع جند الإيمان وكتيبة الرحمن ، يقاتل حزب الرجس والشيطان . ولكن النبى الرحيم رده ردا كريما رقيقا لصغر سنه ، اذ لم يكن قد بلغ يومئذ الخامسة عشرة من عمره .

وماذا يتوقع الناس من غلام فى مثل هذه السن الغضة الا ان يلهو مع اترابه من الصبيه الصغار !! والا ان ترتعد فرائصه ويراع اذ يسمع صليل السيوف وقرع الطبول والنفخ فى الابواق !! وإلا أن يفزع اذ يرى القوم يرمون بسهامهم ويقذفون بقسيهم ، فما بالك بأن يكون هذا الصبى فى ميدان اجتمع فيه صناديد قريش وفرسانها ، وما من أحد منهم إلا وهو كمى مغوار ، ومسعر حرب لا يشق له غبار ، وأخو نزال وقتال ، يتلمظ تلمظ الأفعى للفتك بالمسلمين .

★★★

كان « البراء بن عازب » رغم صغر سنه يعرف ذلك كله . لكنه لم يفزع ولم يجزع ، ولا توجس خيفة من أن يخوض المعركة .

وكان صاحبنا الصغير أبو عمارة (وهذه كنيته) يدرك أى معركة يواجهها المسلمون تحت راية القائد الملهم ، فلا يثنيه صغر سنه عن أن يسأل الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يكون واحدا من رجاله فى ساحة القتال .

ويفعل فعله بضعة من أبناء المسلمين الذين قاربوه فى العمر وكلهم أهل إيمان ، وجميعهم صادقون فى إسلامهم وفى سؤالهم .

هذا جيل كان فيه الرسول المعلم والهادى البشير ، وكان هؤلاء أبناء جيل هيهات أن ترى الدنيا له ولهم ندا وضريبا .

أولئــك آبائى فجئتنى بمثلهم
اذا جمعتنــا يا جرير المجــامع

ويأتى البراء إلى البشير ﷺ يسأله ويرجو ان يحقق به سؤاله ، ولكنه يرجع وفى نفسه حسرة لانه رد عن ســاحة كان يرى الشرف كل الشرف أن يغشـاها وأن يكـون أحـد رجالها .

ولكن هكذا كانت مشيئة النبى عليه الصلاة والسلام ، وكان هذا هو رأيه .. وما قضى به النبى فليس لأحد ان يرده فيما قضى ، فانه يعلم أين يكون الخير ..

فليطع أبو عمــارة الرسول القــائد باذن الله .. وانه ليذكر ذلك فى قابل أيامه فيقول :

« استصغرنى رسول الله ﷺ يوم بدر ، أنا وابن عمر ، فردنا فلم نشهد بدرا » .

ولا نملك نحن اليــوم بعــد أربعة عشر قرنا الا أن نقول له :

لئن رددت يا أبا عمارة عن أن تشهد بدرا فان لك من أيامك المقبلة ، ومن عمرك الطويل فى الخــير ان شــاء الله فسحة تغزو فيها مع حبيبك رسول الله ما أحببت من الغزو ، حتى تبلغ مرات خروجك معه أربع عشرة غزوة .. وإن لك فيما تكشف عنه السنون فرصا ترجمت عنهــا فى فخر يــوم قلت ــ وأنت المسلم الصادق الإيمــان ــ انك ســافرت مع رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفرا .

وصدقت فيما قلت ، وصدقك التاريخ وأمن على ذكرت .

فهنيئا لك يا أبا عمارة ما شاركت الرسول العظيم من غزوات .

وهنيئا لك يا ابن عازب أسفارا رافقت فيها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، ونعمت بصحبته ·

★★★

وكان النبى عليه الصلاة والسلام حريصا كل الحرص على ألا يخوض المعارك الا من اشتد ساعده ، والا من كان الأسر ذا مرة ، والا من كان فوق الخامسة عشرة من عمره ، ومن ثم آجاز فى هذا اليوم لسمرة بن جندب الفزارى ولرافع بن خديج ، ولكنه رد البراء بن عازب ·

وعاد المسلمون من بدر مكللين بالنصر فرحين بما آتاهم الله من فضله ·

وهلك فى هذا اليوم جمع كبير من طواغيت الكفر وفرسانه ·

ودخل المسلمون المدينة المنورة يسوقون الأسرى وما فيهم الا كل مغوار كمى ، والا كل صاحب صولة كانت تطأطىء له الرؤوس مهابة واحتراما ، وتخشع له الجباه خشية بطشه ·

وزغردت الدنيا للنصر القشيب أتاه الله للذين دخلوا المدينة المنورة تغشاهم الطمآنينة ·

ورآهم « البراء بن عازب » فصفقت الفرحة فى جوانحه هو أيضا ، وأحس بالنشوة تغمر نفسه وتثلج صدره ، وهش وبش اذ عاد المسلمون فائزين ·

لقد عم الفرح المؤمنين : الأحياء منهم والشهداء الذين وصفهم الحق تبارك وتعالى فقال وهو أصدق القائلين فكانوا

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾

صدق الله العظيم

هكذا قال العلي في حق من استشهد ، وهل ثم ـ استغفر الله ـ من هو أصدق من رب العزة قولا !!

★★★

لئن رد البراء عن المشاركة في يوم بدر فان له في غده ان شاء الله ذكرا طيبا ونجاجا ورضوانا من الله هو الفوز العظيم .

فليصبر البراء ، فأيام الاسلام كثيرة غراء ، وهي حلية في جيد الزمان، ولسوف يشهد التاريخ ظهوره على الكفار ، وغلبته على الشرك ، وينتشي بهذه الأخبار النيرة سمع الأيام وتلهج بها الألسن .

وكان للكفر دولة تأبى أن يسبب لها يوم بدر هذا الجرح العميق الدامي ، ويعز على الكفر أن تخرج دولته من هذه المعركة مرتثة ، فكان لابد لهذه الدولة الظالمة من أن تثور .. فمهلا يا أبا عمارة إلى غد ، ومهلا إلى أحد والخندق وغيرهما من الأيام الغر المحجلة .. ومهلا حتى تبلغ السن التي يرضاها لك الرسول لتشارك في الجهاد ، وستكون حياتك إن شاء الله جهادا كريما موصولا مذكورا لك بالخير .

ومضت الأيام سريعة بعد بدر لتكون وقعة أحد . واختلف الناس في شهوده إياها .. فمن قائل إنه شارك فيها ، ومن منكر ذلك ، وقال غير هؤلاء : بل كانت الخندق أولى مشاهده .

على أن كتب التاريخ والأخبار الصادقة تشير إلى أن أبا عمارة بن عازب شارك في أحد يوم أجلس عليه الصلاة والسلام رجالا بازاء الرماة وولى عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم :

« لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم »

« وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينوننا » ·

ويؤكد ذلك ما اثر عن البراء من انه قال : « لحقت الهزيمة المشركين فما التقى القوم حتى رأيت النساء قد رفعن عن سيقانهن ، وبدت خلاخيلهن ، فجعل الناس يقولون : « الغنيمة ·· الغنيمة » فقال عبد الله بن جبير : مهلا ، أما علمتم ما عهد به إليكم رسول الله ﷺ ·· ؟ » ·

ثم يتابع البراء بن عازب حديثه فيقول « فأبوا ، فانطلقوا ، فلما أتوهم صرف الله وجوههم ، فأصيب من المسلمين سبعون » ·

هذا ما نقله ابن اسحاق عن ثقات الرواة عن البراء ·

فهل ثم من يشك بعد هذا أو يجادل فى أن البراء شارك فى يوم أحد ؟ ·

انه يروى ما رآه بعينى رأسه ، وانها وأيم الله لرواية تطابق الحق والواقع ، وهل كان لأحد أن يرويها إلا شاهد عيان ؟

★★★

لئن رده النبى العظيم يوم بدر لصغر سنه فقد بلغ السن يوم أحد ، وما كان للقائد الملهم ــ وقد عرف فى البراء الاقدام والبطولة ــ أن يرده بعدئذ عن ساحة الشرف ، فجدير به أن يكون أحد أبطالها الكماة ·

ويؤكد هذا ما ذكره هو ذاته اذ قال : « استصغرنى رسول الله ﷺ أنا وابن عمر فردنا يوم بدر فلم نشهدها ·· وشهدنا أحدا » ·

ومع صراحة هذا النص وصحة نسبته إليه فهناك من أنكر عليه مشاركته فى معركة أحد ، وفى ذلك يقول ابن

عمرو فى كتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » ان أول غزوة شهدها البراء كانت « الخنــدق » . والبراء مصــــدر صدق من مصادر تاريخ هذه الحقبة النيرة فى سجل الانسانيه وكتاب التاريخ ، وينقل عنه مؤرخو الســيرة ما رواه هــو بنفسه عما كان يوم أحد حين زعم الكاذب ابن قميئة اللئيم ان الرسول قد قتل فيقول البراء : « أشرف علينا أبو سفيان فقال : أفى القوم محمد ؟! .. وكررها مرتين : فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام لمن حوله : لا تجيبوه » ..

فقال أبو سفيان : « أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ .. قال ذلك ثلاثا فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تجيبوه !! » .

فالتفت أبو سفيان إلى أصحابه وقال لهم : أما هــؤلاء (يعنى النبى وأبا بكر) فقد قتلا .. ولو كانوا فى الأحياء لأجابو ! » .

قال البراء وهو يملى على التاريخ ما رآه وما سمعه فى هذه اللحظة قولا ظل محفوظا حتى اليوم اذ يقول : « .. فلم يملك عمر بن الخطاب أن قال : كذبت يا عدو الله .. لقــد أبقى لك الله ما يخزيك » .

فقال أبو سفيان : « أعل هبل .. أعل هبل » .

فقال رسول الله ﷺ : « أجيبوه » فسألوه : وما نقــول يا رسول الله ؟ » ، قال : « قولوا .. الله أعلى وأجل » .

فقال أبو سفيان : « الا لنا العزى ولا عزة لكم » .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : «أجيبوه» ، فسألوه : وما نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا : إلله مولانا ولا مولى لكم !! » .

★★★

ثم يزيد البراء بن عازب فيروى ما قاله أبو سفيان بعد ذلك اذ صاح بهم ينذرهم : « يوم بيوم بدر والحرب سجال٠٠ أما انكم ستجدون فى القوم مثلا لم آمر بها ولم تسؤنى » ٠

هذا ما رواه البراء ، وحفظته كتب السيرة ٠

وهذا قول يؤكد اشتراك البراء بن عازب فى يوم آحد ويدحض قول كل من ينكر عليه ذلك ، ونخلص من ذلك كله إلى أن نقول إن البراء فيما قال كان مصدرا صادقا من مصادر أحداث ذلك اليوم الذى تسنى له أن يشارك فيه إلى جانب الهداة المهتدين ٠

ثم يكون يوم الخندق ٠٠ وما أدراك ما يوم الخندق !٠ يوم تجمعت أحزاب الشرك والكفر والنفاق ، ولكن الله ناصر جنده وجعله الله سلفا ومثلا للآخرين ٠

وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

صدق الله العظيم

وكان أمر المسلمين يومئـذ بالغا ، فقـد رد الله الذين كفروا بغيظهم أن ينالوا خيرا ، وكان رجال محمـد عليـه الصلاة والسلام أشداء عـلى الكفار لم يرهبـوا غائلة الشرك وأحزاب النفاق ، فقد كان يهديهم فى موقفهم يومئذ قول الحق تبارك وتعالى :

لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

صدق الله العظيم

وكان يوم الخنـدق يوم درس وعظة كيـومين سلفا من أيام الإسلام النيرة ، وكأيام أخرى قادمة باذن الله ، ينتصر

فيها الحق وتعلو هامته ، ويخذل فيها الباطل وتنكس رايته، وتدول دولة الشرك والطغيان ، وتنهض دولة الايمان .

ودبر القائد يوم الخندق الأمور على أحسن وجه تسنى للبراء آن يشهده بنفسه ، وانه ليصف ما رآه يومذاك وكيف حفر المسلمون الخندق ، وكيف شارك النبى العظيم الناس فى الحفر فيقول : « ما رأيت أحدا أحسن فى حله حمراء من رسول الله ﷺ فانه كان أبيض شديد البياض ، كثير الشعر ، يضرب الشعر منكبيه ، ولقد رأيته يومئذ يحمل التراب على ظهره حتى حال الغبار بينى وبينه وانى لانظر الى بياض بطنه » .

وصدق البراء بن عازب فيما حكاه عن الرسول ومشاركته رجال الأمة فى حفرهم الخندق ، ويؤيد روايته هذه شاهد عيان آخر لهذا الموقف وهو « أبو واقد الليثى » حيث يقول : « كنت أرى رسول الله ﷺ يضرب مرة بالمعول ، ومرة يغرف التراب بالمسحاة ، ومرة يحمل التراب فى المكتل » .

★★★

لقد نعم البراء بن عازب بصحبة النبى الكريم ، وظل يلازمه ما آذنت له الظروف بذلك ، وإنه ليلتمس هذه الظروف ليصحبه صحبة طالت حتى رفع الله إليه نبيه، صلوات الله وسلامه عليه .

كذلك لم يفت البراء يوم من آيام جهاد الرسول الا وشارك معه فيه مشاركة محمودة ، وكانت له عين نفاذة تعى ما حوله من أمور فتحفظها ذاكرته ، وكان الله قد وهبه حافظة واعية ساعدته على أن يقص صادقا كل ما رأى وما سمع ، غير مغموز فيما روى ، ولا مكذب فيما حكى ، ومن ثم اعتبره كبار مؤرخى السيرة مصدرا يعولون عليه فيما يروونه عنه من أخبار الرحمة المهداة ، وفى مقدمة هؤلاء المؤرخين الواقدى وابن اسحق، ويتخذه الواقدى مصدره فى

خبر سرية مقتل « أبى رافع اليهودى » الذى كان يظاهر « كعب بن الأشرف » على النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وينقل الواقدى رواية مسلسلة عنه كيف خرج رهط من المؤمنين سرية لتأديب هذا الكهل الفاسق ابى رافع. قاتله الله .

والقصة يرويها البراء بن عازب مفصلة ، فالتمسها فى مظانها .

★★★

ثم كان ما كان بعد ذلك من قيام رسول الله ﷺ فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة الشريفة واعتزامه العمرة ، ويأبى أهل مكة أن يدعوه يدخلها حتى يعدهم آلا يقيم بها غير ثلاثة أيام، فيكتب لهم ما أرادوه ، وآلا يدخلها بالسلاح والا السيوف فى القرب ، والا يخرج منها ــ حين يغادرها ــ بأحد من أهلها أراد أن يتبعه ، ولا يمنع أحدا من أصحابه أن يقيم بها إن أراد الاقامة بها .

وخبر هذا الصلح معروف، وقد حدث به البراء مفصلا، وتوالى الرواة من مشاهدى العيان فأيدوه وأكملوا الخبر .. وانه ــ وأيم الله ــ لخبر صدق فى جملته ان شاء الله .

★★★

ويصف البراء لنا ما كان من أمر رسول الله ﷺ وهو على بغلته يوم حنين يقودها « الحارث أبو سفيان » ثم نزل عنها فجعل يرتجز :

أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

ويعقب البراء على ذلك فيقول : « فما رؤى من الناس أشد منه »



ويصف أبو عمارة لنا ثبات الرسول عليه الصلاة والسلام يوم حنين وكان يوما شديدا غلبت خيل الله فيه خيل اللات ، وخيل الله أحق بالثبات ، ويشاهد البراء عنف هذا اليوم والقلوب تجف ، والأفئدة تنخلع ، فيقول : « والله الذى لا اله الا هو ما ولى رسول الله ﷺ ولكنه وقف واستنصر ، فأنزل الله نصره ، وكبت عدوه ، وأفلج حجته » .

★★★

ثم كانت سرية خالد بن الوليد إلى اليمن فى السنة العاشرة من الهجرة يدعو آهلها إلى الاسلام ، وما يدعوهم إلا إلى الخير ، فيقول البراء : « كنت فيمن سار معه » .

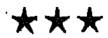
ثم يصف كيف آقام خالد ستة أشهر والقوم لا يجيبونه إلى شيء ، فبعث النبي ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ الامام عليا كرم الله وجهه وأمره أن يقفل خالدا ومن معه ، فان أراد أحد ممن كان مع خالد أن يعقب معه تركه .

وكان البراء فى الفريق الثانى .

★★★

ثم يصف كيف صلى بهم الامام على ــ رضى الله عنه وآرضاه ــ الفجر وقد انتهوا إلى أوائل اليمن ، ويذكر كيف آسلمت همدان كلها فى يوم واحد ، وكتب إلى النبى عليه الصلاة والسلام بذلك . وفى هذا يقول البراء : « فلما قرىء على النبى ﷺ كتابه خر ساجدا ثم جلس وقال السلام على همدان .. ! السلام على همدان » .

وهكذا كان البراء مصدرنا ــ وهو مصدر صدق .. فى هذا الخبر الفريد .



ولقد شارك الصحابى الحارثى البراء بن عازب فى أيام الاسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ فكان من الذين تم على يدهم فتح « الرى » سنة أربع وعشرين ، وان اختلف المؤرخون ، هل كان فتحها صلحا أم عنوة ٠

ثم شهد البراء غزوة «تستر» مع «أبى موسى الأشعرى»، كما شهد مع الامام على كرم الله وجهه وقعة الجمل وقاتل الخوارج ٠

وهكذا كانت حياته جهادا وسلسلة بطولات فى الاسلام وللاسلام ٠

كما أثر عنه كثير من الأحاديث رواها عن نبى الامة عليه الصلاة والسلام ، وسمع بعضها من أبى بكر وعمر وغيرهما من أكابر الصحابة وجلتهم ، وكان يقول

« كل ما حدثتكم به عن رسول الله ﷺ سمعناه منه ، حدثناه أصحابنا وكان يشغلنا رعى الابل »

★★★

وتتقدم الأيام وتمضى أحداث فى إثرها أحداث ٠ وينزل البراء بن عازب الكوفة ، ويبتنى بها دارا ، ثم يوافيه أجله سنة ثنتين وسبعين فى ولاية مصعب بن الزبير ٠

★★★

مات البراء ٠٠ لكن لم تمت ذكراه العطرة

مات البراء وانطبعت أعماله الجليلة فى أذهان الناس ٠

وطويت صفحة حياته ككل ابن أنثى وذى نسمة وروح ٠٠ لكن لم تطو على مدى التاريخ مناقبه التى أربى فيها على الأكفاء ٠

وكان البراء رجلا ملأ السمع والبصر ٠

وكان حديثا طيبا ونسمة عبقة رطبة فى يوم حر لافح ، وجرعة ماء قراح لظامىء أشفى على الهلاك ، ونغما تستريح له الأذن ، فلما حانت منيته غيب الثرى منه الجسد وان لم تغب ذكراه :

والناس صنفان : موتى فى حياتهمو

وآخرون ببطن الأرض أحياء

رحم الله أبا عبادة : البراء بن عازب رحمة تكافىء جهاده وإخلاصه للحنيفية السمحة ٠

ورحم الله أمة محمد ما تمسكت بهدى النبوة وكتاب الله وسنة رسوله ٠

وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)

صدق الله العظيم

هشام بن العاص السهمي
المطيع لله ورسوله

كانت الليلة باردة والريح تعـول وتزمجـر ، فيسرى الخوف فى نفوس الناس، مثلما تسرى البرودة فى أوصالهم.

وكان الظلام قد بسـط ذيوله عـلى أرجاء مكة فاعتكف أكثر القـوم فى بيوتهم ، وتحلقوا حـول المواقد يصطلون بدفئها ويتسامرون ، وكان بعضهم ــ من المشركين ــ عاكفا على لهوه وشرابه ، وحوله الجـوارى والمغنيـات ينشـدن من الأشعار ما يمجه الذوق السـليم ولا ترضى عنـه النفـوس الطاهرة .

★★★

واذا كنت خارج هذه البيوت فى مكة يومذاك لا ترى ــ أنى التفت ــ الا قوما غادين ورائحين ، اذ كانت شعاب مكة لا تخلو من السابلة ليلا ولا نهارا ، ما بين تاجر أو عامل أو غاد إلى الكعبة أو عائد منها .. وكانت أزقتهـا وسـبلها ودروبها وشعابها لا تفـرغ ــ معظم الوقت ــ من الصـغار يمرحون يلعبون ، فلا يمسهم التعب ولا يصيبهم اللغب ، ولا ينالهم رهق إلا حين ينكفئون الى بيوتهم .

أما فى هذه الليلة التى نحن بصددها فلو انك أصخت لما سمعت نأمة ولا صوتا غير عويل الرياح الذى تقشعر منه الأبدان ، وقد يقطع الصمت ويزيد الجسم قشعريرة عواء

ذئب قد عضه الجـوع ، وشاركتـه العواصـف فكان لرجع صداها خوف يتملك النفوس ، وتنقبض له القلوب • ولكن فى وسط هذا الجو المشحون بالخوف والبرد ، وفى هـذا الصمت الموحش والليل البهيم ترى العين اشباح رجال ثلاثة لا تدرى من يكون أصحابها ، ولكنهم يسيرون جنبا إلى جنب يتهامسون فيما بينهم

ونتساءل من يكون هؤلاء الرجال •• ؟ وما الذى خرج بهم فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل المتعكر ؟ •• وفيما يكون حديثهم ؟ •• وما لهم يتوقفون بعض الوقت وقد تدانت رؤوسهم بعضها من بعض ؟ لكن لا يطول وقوفهم ولا تلبثهم •• اذ ينصرف كل واحد منهم إلى ناحية غير التى انصرف إليها رفيقاه •• ثم يسرع الواحـد منهم فى مشـيته ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة •

ولكنا نعرفهم اذ تدلنا خطواتهم عـلى أنهم فتية آمنـوا بربهم فزادهم الله هدى ، واستجابوا لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام •

انهم فتية ناصبهم أهلوهم ومجتمعهم العداوة والبغضاء ، قد غلظت القلوب عليهم فلا ترق لاسـترحام أحـد منهم • وكانوا فيما يؤمنون به بمعزل عن كل أحد •

أما الرحماء فقد طووا عنهم عطفهم بعـد أن فشـلوا فى حملهم ــ باللين حينا وبالشدة حينا آخر ــ على ترك هذا الدين الجديد •

وعز على آهـل هـؤلاء الفتية الثـلاثة ــ وأهلوهم فى الذروة من رجال مكة ــ أن يخرج هؤلاء الفتيان وأمثالهـم عما نشأ عليه المكيون ، وأن يتبعوا رجلا يسفه أحلامهم وينال من آلهتهم ، وقد التف حوله نفر كانوا يزدادون يوما بعـد يوم •



كان أحد هؤلاء الفتية الثلاثة السارين فى هذا الظلام الدامس والصمت الموحش يدعى بهشام بن العاص .. وهو من بنى سهم الذين استجاب للرسول منهم كثيرون حين دعا الناس للهجرة إلى الحبشة فهاجروا ، ثم عاد منهم أحد عشر رجلا يوم عاد جعفر بن أبى طالب .

وان أم هشام بن العاص لحرملة بنت هشام بن المغيرة ..

وان أخاه لأبيه لعمرو بن العاص ..

وان عقبة بن نافع لأخوه من أمه حرملة ..

★★★

كان أبوه العاص بن وائل من كبار الملأ من قريش ، ومن الذين بذلوا جهدهم فى الكيد للاسلام والمسلمين ، ولم يدخروا وسعا فى إعلان كراهيتهم له ومناهضته والنيل منه ، حتى لقد كان العاص أحد الذين مضوا إلى أبى طالب إذ عطف على الرسول وبسط عليه ظل حمايته ـ يذكرونه بما فعل ابن أخيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من سب آلهتهم ، وذم دينهم ، وتسفيه أحلامهم ، والتمرد على مألوف عبادتهم ، ويسألونه أن يكفه عنهم ، أو أن يخلى بينهم وبينه .

وكان العاص بن وائل السهمى هذا واحدا من الذين التقوا بالرسول الكريم ذات يوم وراحوا يعرضون عليه خطة قالوا إن فيها صلاحا له ولهم ، وهى أن يعبدوا ما يعبد ، وأن يعبد هو ما يعبدون .

فتبا لهم من جهلة ظالمين ، وقد سفه الحق تبارك وتعالى ما قالوا اذ قال وقوله الحق المبين :

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

صدق الله العظيم

ومات العاص بن وائل كافرا فى السنة الأولى من الهجرة الشريفة ، بعد أن آثر الحياة الدنيا ، ثم جاءته الطامة الكبرى فكانت الجحيم له المأوى يوم يأتى ربه الذى أنكره فيلقى كتابه منشورا ، ويقول يومذاك ـ بلا جدوى ـ يا ليتنى أرد فأتبع الرسول ٠

مات العاص الكافر بعد أن خلف صحابينا المؤمن ولده هشاما الذى شهد أجنادين ، فكان شهيدها سنة ثلاث عشرة

★★★

كان هشام ورفيقاه : عياش بن أبى ربيعة وعمر ابن الخطاب قد أسلموا منذ بعيد ، وكانوا من طلائع المصدقين لنبوة المبعوث رحمة للعالمين ، الداخلين فى الاسلام عن فهم وإخلاص ، الناطقين بالحق إذ شهدوا ألا إله إلا الله وان محمدا رسول الله ٠٠ وكانوا ممن سمعوا مناديا للإيمان فآمنوا ، فكان ذلك شهادة تكتب لهم النجاة يوم يجمع رب العرش الخلق إليه فيحاسبهم ، فأما من ثقلت موازينه منهم فأولئك هم المفلحون ، وأما من خفت موازينه فقد خسروا أنفسهم وهم فى جهنم فيها خالدون ٠

لقد شهد هؤلاء الثلاثة شهادة أنزلت على قلوبهم الطمأنينة ، وكانت على الكفار والمشركين والمنافقين سهاما مسمومة ريشت إلى قلوبهم فذهبت بهم إلى الهاوية ، وهى شهادة يدرك الفتية المؤمنون معها أنهم صاروا مرمى لنبال الذين أوغلوا فى الجهالة ولمن أعمى الله بصائرهم ٠

فان قلت أن لهم قلوبا قلنا أجل ، ولكنها قلوب لا يفقهون بها ٠

وان قلت ان لهم عيونا قلنا نعم ، ولكنها عيون لا يبصرون بها ، قد لعنهم الله وضلوا وكانت لهم معيشة ضنكا ٠

وان قلت ان لهم آذانا قلنا : حقا ولكنها آذان بها وقر فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ٠

ثم تسأل : فمن هم اذن فى الخلق وما جزاؤهم، واذ ذاك تسمع قول الحق تبارك وتعالى يجيبك :

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

صدق الله العظيم

ولقد خسر الجاهلون المغترون الغافلون ·

● ● ●

وكان هشام بن العاص يعرف النبى الكريم فى مكة قبل نزول الوحى عليه ··

كان يعرفه كما يعرفه المكيون جميعا ومن خالطوه وخالطهم ، وكان هشام يعرف فيه رجلا صادقا أمينا غير مغموز فى خلقه أو مطعون فى سيرته أو معاملته ·

أليس هو الذى ارتضته قريش ـ وهو شاب ـ حكما بينهم يوم اختلفوا وتنازعوا فيما بينهم حول من يضع الحجر الأسود فى مكانه بالكعبة ؟ ·· وهل جربوا عليه فى حياته بينهم إلا كل ما يحملهم على إكباره وتصديقه ؟ ··

لقد عرفوا ذلك كله ·· وعرف هشام بن العاص فى محمد الصدق والأمانة والوقار ، فلما نزل الوحى على إمام المتقين وخاتم الرسل والنبيين لم ينكر صاحبنا الصحابى هشام فيما بينه وبين نفسه أن محمد بن عبد الله الهاشمى القرشى صادق وأمين ، وجاء أبو بكر رضى الله عنه إلى صاحبه وصاحبنا هشام بن العاص يدعوه للاسلام ، فلبى الدعوة قرير العين ، لأنه يعرف فى ابن أبى قحافة الحكمة والعقل والسداد ·

ودخل هشام فى زمرة المؤمنين ، وكان من الطلائع الأولى الذين استجابوا لربهم فكانت لهم الحسنى ، وأدركوا أن قد جاء الحق المبين ، وأن دولة الباطل لابد زائلة عن قريب ·

وفرح نبى الرحمة وشفيع الأمة باسلام هشام الذى كان يعرف حتى هذه اللحظة بأبى العاص ، فكناه النبى الكريم « أبا المطيع » ·· ونعم الكنية كناه بها الصادق الأمين ، فالطاعة لله صفة المؤمن ، والله يرحم من يطيعونه ويطيعون رسوله ··

وفرح المؤمنون لأن هشام بن العاص كان من أسرة إن يدخل أحدها الاسلام ففى ذلك نصر كبير للدين وعزة لأهله ·

واطمأن باسلام هشام من هداهم الله الى الصراط المستقيم ·

وعرف غيرهم باسلام هشام ، وكان هذا النفر من الضالين المضلين ، والمغضوب عليهم إلى يوم الدين ، فراحوا يكيدون له عند أهل بيته وذوى قرباه ويقولون لهم : « لقد صبأ ولدكم هشام بن العاص » ، وإذا كانوا فى مجلس نعق ناعقهم فقال : « يا بنى العاص ·· يا بنى سهم ·· لقد صبأ هشام بن العاص واتبع ملة محمد ، وكفر بآلهتكم وما تعبدون » ، وتأخذ عزة الاثم بالجاهلية أهل هشام وعشيرته فيحاولون رده إلى الكفر ، ويأبى الله إلا أن يمحق محاولتهم فيثبته على الإيمان فينجح حيث يفشلون ، وانهم ليطمعون أن يعيدوه إلى ملتهم فيأبى هشام ، أما هم فيخسرون ·

ويعذبونه ·· فلا يبالى بتعذيبهم إياه ولا بما ينزلونه به من الأذى، لأنه يدرك أنه إن يطعهم يردوه إلى جاهليتهم وبئس ما يردونه اليه ، حيث يكون الخسران المبين ، ويدرك أن الضلالة والعذاب فى الرجوع عن الاسلام ، وتهدأ نفسه داعيا الله ألا ينتصر عليه الكافرون حتى يكون من زمرة

السامعين الطائعين الذين يؤمنون بالحق فتعتق رقبته يـوم الحساب ولا يصير من آهـل الجحيم ، ويكون من القوم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ·

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾

صدق الله العظيم

ويخاطبه قومه فى صوت يسعون من ورائه أن يحركوا فيه عصبية الدم والقبيلة ، فينادونه صارخين

« أتخرج علينا يا ابن العاص وأبوك سـيد فى قريش وفى الذروة والسنام منها ؟·· أتترك دين آبائك وآجدادك وعشيرته الأقربين إلى أمر مستحدث لا تعرفه العرب !! » ·

يقولون له هذا ومثله ليصرفوه عن الاسلام ، ولو كشف الله عن قلوبهم لسمعوا لسان حاله يقول :

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

صدق الله العظيم

ويلقى صاحبنا الصحابي الكريم هشام بن العاص من قومه ما يلقى صابرا محتسبا ، ثم تكون هجرة الرسـول ﷺ إلى يثرب ، ويتطلع هشام لأن يهاجر هو الآخر إلى نبى الرحمة ، وانها لهجرة فى الله من بعد ظلم يبوئه الله بهـا فى الدنيـا حسنة ، ويكون أجره فى الآخرة أكبر ·

★★★

واتفق الرأى منه ومن « عياش بن أبى ربيعة » وعمر ابن الخطاب أن يهاجروا إلى المدينة ، وتعاهدوا آن تكـون هجرتهم سرا لا يعلم بها آحد سواهم ، فتسللوا فى جنح تلك الليلة الظلماء التى لاقيناهم فيها أول ما لاقيناهم آشباحا ، ثم عرفناهم فعرفنا فيهم الإيمان الصادق والحب الخـالص للنبى عليه الصلاة والسلام

وراح الفتية القرشيون الثلاثة : هشام بن العاص وعياش (أخو أبى جهل لأمه) وعمر بن الخطاب يدبرون خطة هجرتهم القريبة المرجوة ، فقالوا لبعضهم : « الميعاد بيننا أضاة بنى غفار فمن أصبح منا ولم يأتها فقد حبس ·· فليمض صاحباه على بركة الله » ·

وكانت أضاة بنى غفار منزلا قرب مكة ·

●●●

ويتحدث عمر بن الخطاب فيما بعد عن هذه اللحظة فيقول : «اتعدت أنا وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص حين أردنا أن نهاجر وقلنا الميعاد بيننا أضاة بنى غفار ، وأينا تخلف عن الصبح عرفنا انه حبس ·· فلينطلق صاحباه » ·

هكذا قدروا ما قد يحدث لهم أو لأحد منهم ·

لئن يتخلف أحدهم عن اللقاء عند أضاة بنى غفار فمعناه أن قد قهره الظلم وحبسه أهله ·· ولئن حبس فليمض صاحباه على بركة الله ·

ويتابع الفاروق كلامه فيقول : « وأصبحت أنا وعياش، وحبس عنا هشام بن العاص وفتن فافتتن » ·

★★★

أجل حبس هشام وحيل بينه وبين الهجرة والنجاة من الكافرين بدينه ·· لقد خرج هشام مهاجرا إلى الله ورسوله فكاد له القوم فمنعوه وحبسوه ، وأذاقوه العذاب ألوانا فما لانت له قناة ، وإن قيل إنه أظهر الافتتان ·

لقد عرفت قريش بما دبره هشام بن العاص من هجرة يزمعها الى رسول الله فآلت إلا أن تمنعه، وأرسلت من يترصده وصاحبيه فى كل درب تتوقع أن يسلكوه ، وفى كل شعب تظن أنهم طارقوه ، وفى كل منزل تخال أنهم نازلوه ··

ونجحت قريش فى أن تمسك هشاما ، وخاب الكفر مع رفيقيه فكتبت لهما النجاة .

وحبسته قريش ، وطال حبسها لابنها المؤمن هشام بن العاص السلمى

وطالت غيبته عندها محبوسا حتى غاب عن بدر وأحد والخندق فلم يشهد واحدا من تلك الأيام الخوالد فى سجل الزمان .

وكان الذى بلغته قريش من هذا الفتى المؤمن ان كبلت منه اليدين والرجلين ، وأقامت حوله حراسا غلاظا .. لكنها لم تستطع أن تفرض قيدا على إيمانه الذى هو عقد بينه وبين ربه ، ولم تستطع أن تفرغ قلبه من حب هذا الدين .

فلتحكم قريش حلقاتها حوله .. ولتقم عليه زبانيتها يرصدون كل حركة منه فى ليل أو نهار .

ولكن قريشا كافرة .. فهيهات أن تنتصر لان الطاغوت وليها ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، ولقد ظنوا أنهم عوقوه اذ حبسوه وما علموا أنه كان فى قيده ومحبسه أقوى منهم وأشد سخرية بهم منه وهو حر طليق . فالله وليه ، ومحمد قدوته ، وإليه هجرته ، والله يؤيد الذين آمنوا على عدوهم حتى يصبحوا ظاهرين .

وقال المؤرخون : « حبست قريش هشاما وضايقته وفتنته فافتتن » .

وارجف المؤمنون بذلك وهالهم أن يفتن إخوة لهم فى الله ذاقوا من قبل حلاوة الايمان ، وبرأوا من رجز الشيطان ، وكفروا بالجاهلية فلم يسجدوا لغير الواحد الرحمن .

لكن هيهات لمن دخل الايمان الصادق قلبه أن ينحرف عن الطريق السوى ، أو يفعل ذلك سواء فى حياة الرسول أو بعد موته ٠

بيد آن ما أصاب هشاما انما كان لحكمة اقتضاها الله عز وجل ، والله أعلم بمن ضل عن سبيله وأعلم بمن اهتدى وبالمهتدين ٠٠ فلتدبر قريش سرا ما شاءت أن تدبر ، ولكن لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ٠

فليقل من يشاء بأن هشاما قد فتن ٠٠ لكنه لم يفتن فى دينه لأن إيمانه بالله العلى وبرسوله عليه الصلاة والسلام لم يتزلزل قط ٠

ربما كان هشام قد فتن فى ظاهره ولكن باطنه كان نقيا ، وسريرته صافية ، وقلبه طاهرا لم تشبه شائبة كفر ٠

وراح الناس فى المدينة ـ وربما فى غيرها أيضا ـ يحكون عنه ويقولون بشأنه وبشأن من افتتنوا :

« قوم عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله ، ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم من الدنيا ٠

« والله ٠٠ ما الله بقابل من هؤلاء توبة ٠٠ »

★★★

كان الناس يقولون ذلك فيما بينهم وبين أنفسهم ، وفيما بين بعضهم والبعض الآخر ، وتناقلوه فى مجالسهم ومحافلهم وندواتهم ، وشاع ما قالوا حتى لاكه الصغار ٠

وسواء أكان حديث المجتمع الاسلامى يومذاك همسا أو جهرا فما من شىء يخفى على الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فهو الذى يعلم الحق ولا يعلمه سواه ٠٠ وانه ـ جل جلاله وتعالى اسمه ـ أعلم بما كان من شأن هشام والمستضعفين فأنزل قوله فيهم ، وقوله الحق :

قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

صدق الله العظيم

وكان هذا الكلام الإلهى فيصلا وبلسما للأرواح .

★★★

وسمع عمر بن الخطاب هذه الآيات الكريمة ينزل بها الوحى على الصادق الأمين ، وأدرك الفاروق ما تعنى ... وأنها لتعنى شيئا عظيما ، فكتب بها من المدينة إلى رفيق رحلته المستضعف هشام بن العاص فى مكة وهو أسير .

ولم تجد الحراسة الشديدة المفروضة على هشام الكفار نفعا ، ولم تستطع أن تحول بينه وبين وصول هذه الآيات الشريفة إليه ، فقد جاءته فى غفلة من سجانيه وطغاته وآسريه .

قرأها هشام فكانت له إنابة إلى الله من قبل أن يأتيه العذاب ، وحاشى لهشام أن يكون من المكذبين المستكبرين الكافرين .

وتأمل هشام الآيات الربانية ، وراح يتمعن فيها .
ولنستمع إليه فى هذه اللحظة وهو يقول

لما قدمت على خرجت الى ذى طوى بأسفل مكة ·

فجعلت أصوب فيها لأفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها · ·

فالقى الله تعالى فى قلبى أنها أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى انفسنا ويقال فينا » ·

وكان إدراكه لمعناها نقطة انتقال فى حياته ·

لئن كان المسلمون قد نجحوا فى أن يوصلوا إليه هذه الآيات الكريمة فقد جاء دوره ليؤكد انه العبد الصادق الإيمان والتوبة ، الفاهم لما يسمع ، الواعى لما علم ، العامل بما ينبغى عليه العمل به ·

وتضع احدى الروايات على لسانه أنه قال بعد الذى سمعناه منه : « ··· ورجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ » ·

فان تكن هذه الرواية حقا فلعل الراوى أوجز وطوى أحداثا فيما بين ركوبه بعيره وبين انطلاقه الى النبى الهادى ·

لكن هكذا قالت بعض الأخبار ·

وقال بعضها الأخر قولا رواه الثقة المحقق ابن هشام من أن النبى عليه الصلاة والسلام قال وهو بالمدينة بعد أن نزلت عليه الأيات البينات : « من لى بعياش بن ربيعة وهشام ابن العاص ؟ » ·

فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة ــ أخو خالد ابن الوليد ــ : « أنا لك يا رسول الله بهما » ·

وكان الوليد بن الوليد صحابيا مؤمنا افتدى بعد بدر بعد أن شارك فى صفوف المشركين ، ثم أسلم فى لحظة لم يكن أحد ينتظر فيها منه إسلاما أو مهادنة للمسلمين ، فقيل له : «هلا أسلمت قبل أن تفدي؟» ، فقال : «كرهت أن تظنوا أنى جزعت من الاسار » ·

.. وقد حبسه المشركون بمكة ، ثم من الله عليه بالافلات من أسره والنجاة من القوم الظالمين ، وخلص من الكرب العظيم ، ومضى فلحق بالنبى عليه الصلاة والسلام ماشيا على قدميه .

هذا هو الوليد بن الوليد بن المغيرة الذى خرج الى مكة ليعود بصاحبيه عياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص ، وكان قد ذاق مثلهما من قبل مرارة الاستضعاف .

وجاء الوليد بن الوليد الى مكة مستخفيا يتحاشى الناس أن يروه حتى لا يعرفوه ، فلو عرفوه لأمسكوه ، ولو امسكوه لفسد ما عاهد عليه النبى عليه الصلاة والسلام ، وما قطعه على نفسه من العودة بهما سالمين باذن الله تعالى .

وصادف الوليد فى طريقه بمكة ــ وقد دخل الليل ــ امرأة تحمل طعاما فجاذبها الحديث ، فعرف أنها تريد اللذين يريدهما ، وهما عياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص ولعله راح يحدث نفسه ويقول :

« بخ .. بخ يا ابن الوليد .. لقد أراد الله لك أن تسير هذه الطريق من غير مشقة ولا عسر لتعرف أين يكون أخواك المؤمنان المستضعفان » .

«هيا أرقب المرأة دون أن تثير بنفسها الشك فيك .. وكن حذرا أن يرتاب أحد فيفسد ما أنت عازم عليه ، وما عاهدت به محمدا .. والله عز وجل حافظك وعاصمك من شرهم » .

★★★

واستمر فى مشيته حتى غاب عن نظر المرأة وإن لم تغب هى عن نظره . ونسيته المرأة وان كان هو لم ينسها .

ومضت لم تلق إليه بالا ، وإن ألقى هو اليها كل باله .

ثم ماذا يعنيها من شأنه ! .

· إنه واحد ممن تكتظ بهم أنحاء مكة وأسواقها وشعابها ودروبها ووديانها ··

إنها لا تراه غير عابر سبيل حدثها دقائق قصيرة حديثا عابرا ، ولا يعنى حديثه إليها شيئا وإن كان ما سمعه هو منها وما حدثته به يعنى عنده شيئا كبيرا وكبيرا جدا ·

وهل جاوز حديثه معها بضع عبارات لم تستغرق من الزمن غير لحظات قلائل ·· ومن الطريق غير خطوات قصار ؟

وربما تمنت المرأة لو أنه أطال الحديث معها اذن لقصر عليهـا الطريق ، وهون عليها وحشته إلى حيث هشام وعياش ·

★★★

لم ينس الوليد شيئا مما حكته الجارية وأدرك أن العناية هيات له أن يلقى هذه المرأة عن قصد ، وأن يتحدث إليها من غير سابق ترتيب فيكون ما قالته له هو الذى يطمع فيه ، بل وأكثر مما كان يطمع فيه ·

ومضت الجارية فى طريقها ، ومضى الوليد فى أثرها وهى لا تدرى انه يقتفى خطاها من بعيد ، ولعلها نسيت كل شىء عن هذا الرجل الذى لو تأملته لعرفت فيه الوليد بن الوليد بن المغيرة ، ولأدركت انه أخو سيدها خالد بن الوليد ابن المغيرة ·

ورآها صاحبنا القادم من المدينة تبلغ دارا هى أقرب إلى الساحة منها إلى البيت ·· ثم رآها تعالج قفل الباب فتفتحه ثم تلج باحته ، وتغيب ساعة من الزمان وتعود بعدها بعد أن قدمت للأسيرين ما يأكلانه ·

وأيقن الوليد بن الوليد أن صاحبيه فى هذا المكان ، وراح يدور حوله ، فألفاه جدرانا لا سقف لها إلا من بعض ألواح وحصير ·

وانتظر الوليد بن الوليد حتى إذا جن الليل ومد الظلام طنبه على الكون تسور الجدار على صاحبيه المؤمنين المستضعفين .

ولمحاه في غبش الظلام ولكن لم يعرفاه فتساءلا عمن يكون هذا المتسور عليهما الجدار فى مثل هذه الساعة من الليل ؟ .. وما له لا يأتى المكان من بابه ؟

إنه ان يكن لصا فما عندهما من شيء غير جرة ماء ، وزاد آسن ، وفراش مستذل مستضعف ، وحصير .

وعادا يقولان : « وماذا يعنينا من يكون هذا الطارق بالليل ؟ .. ربما كان واحدا من أولئك العابثين السفهاء الذين أطلقتهم قريش كالكلاب الضالة ينالون من المستضعفين ما شاؤوا أن ينالوا : لهوا ، وعبثا ، وتزجية فراغ » .

لكنهما سمعا هذا المتسور يهمس باسميهما فى لهجة فيها كثير من الرفق والحب والحنان ، وأصاخا السمع جيدا فعرفا صوت أخيهما فى الله ، المؤمن برب العزة والجبروت : الوليد بن الوليد بن المغيرة ..

★★★

لكن هتف في داخلهما هاتف يقول : إن يكن هذا هو الوليد فما الذى جاء به الى هنا من المدينة ؟ وكيف توصل إليهما رغم العيون ؟ ومن ذا الذى دله على مكانهما ؟ ثم لم يلبثا أن عرفا الأمر الذى جاء من أجله فلم ينبس أحدهما ببنت شفة مخافة أن يصل همسهما الى أحد فينكشف أمره وأمرهما .

كان الوليد قد وثب من السور وثبة جعلته أمامهما ، ووقف برهة حتى ألفت عيناه الظلام فتبينهما فى قيديهما ، وكان القيد من ليف ، فأخذ حجرا جعله تحت القيد ثم رفع سيفه وأهوى به بتارا فقطعه ، ووقف الثلاثة صامتين

حامدين الله في قلوبهم على ما فيه البشرى بالخلاص من الكفار ، ثم انسلوا ـ وأهل مكة في غفلة عنهم ـ فلم يرهم أحد فقد تسربلوا بظلام الليل ، وأردف الوليد صاحبيه على بعيره وانطلق رهط الفتية المؤمنين الذين زادهم الله هدى حتى بلغوا المدينة بعد طول سفر وكبير مشقة ، وقدموا على نبى الرحمة المهداة ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وقرت نفوسهم كما قرت نفوس المؤمنين أن صاروا جميعا الى جانب إمام المتقين وخاتم الأنبياء والمرسلين ، يساهمون فى بناء المجتمع الاسلامى الجديد ، ويقيمون أركانه على التقوى والصلاح والمحبة والرحمة .

★★★

ويبدأ هشام بن العاص بن وائل حياته الجديدة فى المدينة فتكون لبنة قوية فى الصرح الاسلامى .

وتمضى الأيام .. ويفتح الله على نبيه مكة ، ويدخل الناس عن رضا وطيب خاطر فى دين الله أفواجا ، ويرسل عليه الصلاة والسلام صحابينا هشاما فى سرية من مائة رجل إلى موضع يقال له « يلملم » ، وهو جبل من الطائف على مسيرة ليلتين أو ثلاث ليال وقد يقال له « وادى لملم » .

وقال البعض إن خروج هذه السرية كان قبل الفتح بقليل .

★★★

وتعددت مرات خروج هشام بن العاص بعدئذ ، فشهد اجنادين، وحارب الشرك فى مواضع كثيرة فأبلى أحسن البلاء .

وكان شهوده اجنادين مع أخيه عمرو بن العاص أحد دهاة العرب فى عصره ، وفاتح مصر ومدخلها فى الاسلام ، وكان عمرو أسن من هشام ، لكنه كان يعظمه ويجله .

ورأى هشام في ذلك اليوم شيئا من النكوص من بعض جند الاسلام أمام العدو فعز عليه ما يرى ، وحز في نفسه ما يشاهد ، وشق عليه ما كان من هذا البعض .

وقال في نفسه : « لئن نكص المؤمنون فيا فرحة أهل الشرك ويا سوء منقلب المسلمين ، ويا ذلة الاسلام وانتكاس رايته .. لا قضى الله بذلها أبدا وأبقاها مرفوعة حتى يرث الله الأرض ومن عليها » .

★★★

واذ ذاك ألقى هشام المغفر عن وجهه ، ونطق بالشهادتين، ورفع وجهه عاليا الى السماء ، ثم انتضى سيفه وراح يتقدم الصفوف يضرب به في نحر العدو وهو يصيح :

« يا معشر المسلمين إلي ... إلي .. أنا هشام بن العاص .

« يا معشر المسلمين آمن الجنة تفرون ؟ »

وجعل يردد ذلك مقبلا غير مدبر ، وما عهده الناس إلا رجلا ثبت الجنان ، صلب المعجم ، وخواض غمرات ، مانعا لحوزته ، وحاميا لبيضته ..

★★★

وسمعه الناس يصرخ فيهم ، فأقبل من كان ولى وأدبر ، واستبسل في القتال من كان قد تهاون وتراخى ، وحميت نفوس القوم ، وخاف الروم من هذا البطل الكمي الذى لا يلقى نظيره ، ويعز بين الكثيرين قرينه ، واذ ذاك انهزموا إلى موضع لا يسع آن يعبره غير فارس واحد .

وجعلت الروم تقاتل المسلمين على هذا الموضع ، فقد سبقوا هشاما إليه وعبروه ، فمضى إليهم هشام بن العاص وقاتلهم هناك وقاتلوه حتى قتلوه ..

قتلوه ·· فسد الثغرة بجسده ··

ثم انتهى المسلمون إلى الثغرة فرأوا هشاما جثة هامدة فوقفوا محجمين عن التقدم ·· إجلالا منهم له ، وخوفا من أن تطأ سنابك جيادهم جثمان البطل الشهيد ، أو تدوسه أقدامهم

★★★

وكان معهم إذ ذاك أخوه عمرو بن العاص فلما رأى إحجامهم عن تتبع الروم وكفهم عن مطاردتهم صاح فيهم :

«أيها الناس : ان الله قد استشهد هشاما ورفع روحه» ·

« وان ما ترون جثة ·· فأوطئوه الخيل » ·

وتقدم عمرو أمامهم ومشى على جثة أخيه الشهيد ، ثم تبعه العسكر ففعلوا الذى فعله حتى تقطع جثمان البطل الشهيد هشام بن العاص إربا إربا

وكتب الله بشهادته النصر لجنده اذ لم يستطع الروم اقتحام الثغرة فحقت عليهم الهزيمة ، ودارت عليهم الدائرة ، وولوا مدبرين على أعقابهم ، يرون الخير فى الفرار ، والسلامة فى النجاة من سيوف أهل الايمان ·

ثم عاد المسلمون من مطاردتهم للبيزنطيين المقهورين ، فجمع أخوه عمرو بن العاص ما تناثر هنا وهناك من جثمانه الطاهر ، وحمله فى نطع فواراه الثرى ·

مات هشام ولكنه كان فى عداد الأبطال الخالدين والشهداء الأبرار الذين إن قتلوا فى سبيل الله فهم أحياء عند ربهم يرزقون ·

وحدث عمرو بن العاص بعد قتل أخيه فقال :

« استبقنا أنا وهشام الى الله عز وجل ··· فسبقنى »

« وأمسك على الستر ·· حتى تطهرت وتحنطت »

« ثم أمسكت عليه الستر حتى فعل مثل الذى فعلت »

« ثم عرضنا أنفسنا على الله ·· فقبله ·· وتركنى »

وهكذا كان الأخوان إيمانا وجهادا ، وبذلا فى سبيل الله ونصر الاسلام ·

وهكذا كان هشام سباقا إلى الاسلام والى طاعة رسول الله ·· حريصا على أن ينعم بالصحبة الشريفة فنالها ·· متطلعا الى الشهادة فأكرمه الله عز وجل بها ·

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

صدق الله العظيم

أعمال الأستاذ الدكتور حسين حبشي

★ نور الدين والصليبيون (حركة الافاقة الاسلامية فى القرن الثانى عشر) . (نشرته دار الفكر العربى) . (نفد)

★ الحرب الصليبية الأولى (دار الفكر العربى) . (نفد)

★ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (الجستا) مترجم عن اللاتينية (دار الفكر العربى) ونشرته وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية . (نفد)

★ الشرق العربى بين شقى الرحى (دراسة تاريخية عن حملة لويس التاسع على مصر والشام) . دار الفكر العربى . (نفد)

★ أهل الذمة فى الاسلام (ترتون) نشر دار المعارف ودار الفكر، ١٩٦٨ وهيئة الكتاب ١٩٩٣، وصدر فى مكتبة الأسرة، ١٩٩٦ .

★ زنجبار (من ١٨٩٠ ــ ١٩١٣ . دار المعارف (١٩٦٨) (نفد)

★ رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر (دار المعارف)، سنة ١٩٦٨ . (نفد)

★ مذكرات جوانفيل عن القديس لويس مع دراسة تاريخية مطولة بقلم المترجم (دار المعارف) سنة ١٩٦٨ . (نفد)

★ تاريخ مسلمى اسبانيا لدوزى . العصبيات القبلية) دار المعارف ، سنة ١٩٦٣ . (نفد)

★ الجزائر عبر التاريخ (مع أساتذة بعض الجامعات) نشره معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة . (نفد)

★ فتح القسطنطينية اكلارى (مترجم عن الفرنسية القديمة) ، نشره مركز كتب الشرق الأوسط سنة ١٩٦٤ . (نفد)

★ حوليات دمشقية لمؤرخ شامى مجهول . نشرته مكتبة الانجلو المصرية ، (سنة ١٩٦٨) . (نفد)

★ الاحتكار في العصر المملوكي (حوليات جامعة عين شمس) ، ١٩٦٤ .

★ أنباء الهصر بأنباء العصر للجوهري الصيرفي . دار الفكر العربي ، سنة ١٩٧٠ .

★ مضمار الحقائق لمحمد بن عمر بن شاهنشاه . نشره عالم الكتب سنة ١٩٦٨ . (نفد)

★ نزهة النفوس والأبدان (أربع مجلدات) نشره مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية ، ١٩٩٤ .

★ الحروب الصليبية لوليم الصوري (أربعة مجلدات) نشرته سلسلة تاريخ المصريين (الهيئة العامة للكتاب) ١٩٩٥ .

★ مذكرات فلهاردوان عن الحرب الصليبية الرابعة . نشرها المجلس العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، سنة (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢) . (نفد)

★ أنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني . أربع مجلدات نشره المجلس الأعلى للشؤن الاسلامية بوزارة الأوقاف بمصر سنة ١٩٩٧ .

★ جمال الدين الشيال : كلمة تأبين في ذكراه (١٩٦٧) .

★ المسلمون في الأندلس لدوزي (ثلاثة مجلدات) نشرته الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ .

★ A Fifteenth Century Crusade Against Egypt (1959) (B.A.S. UN.), 1959.

★ The Egyptian Expeditions Against Rhodes and Castellrosso (B.A.S. Un.) 1961.

★ قصة اسلام الصحابة (ج ١) من عشرة أجزاء (قسم الرجال) ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٧ .

تحت الطبع : للدكتور حسن حبشى :

★ الكسياد (عن الامبراطور الكسيوس كومنين) لابنته الأميرة أنا كومنينا ، مجلدان .
★ فلسطين فى ظل الحكم الاسلامى للى سترانج (مجلدان) .
★ البقاعى (ابراهيم بن حسن) : عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران (ست مجلدات) أعد مركز التراث بدار الكتب المصرية الجزئين الأول والثانى منه .
★ البقاعى : المعجم الصغير (فى مجلدين) .
★ البقاعى : اظهار النصر لأسرار أهل العصر (ذيل على أنبار الغمر) فى أربعة مجلدات (من المسودة بخط المؤلف) .
★ ابن الحنبلى : در الحبب فى تاريخ حلب (سبعة مجلدات والنسخة الأصلية بخط المؤلف مع مراجعتها على سبع نسخ أخرى .
★ ابن حجر وتلاميذه (دراسة تاريخية له ولأربعة من تلاميذه) .
★ أحداث صنعت التاريخ (عرض لتسعة أحداث كبرى فى الشرق والغرب كان كل منها نقطة تحول فى التاريخ .
★ العصر المملوكى : (دراسة اجتماعية) .
★ A Transition Period in Antioch Between 1090 & 1118 A. D.
★ تطور الجريمة وأساليب التعذيب فى التاريخ .
★ الدبلوماسية البابوية .

* * *

الكتب الاسلامية للدكتور حسن حبشى :

★ الرحمة المهداة (عرض جديد للسيرة النبوية العاطرة) : مجلدان .
★ سرايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عرض وتحليل قائمان على الوثائق والمصادر الأولية والسيرة الطاهرة .
★ قرون الهجرة : دراسة عرضية للعالم منذ الهجرة الشريفة حتى الوقت الحاضر (مجلدان) .
★ الفتح المبين (تمثيلية عن تاريخ مكة المكرمة حتى أنعم الله عليها بالاسلام) .
★ صحابيات صنعن الأحداث (دراسة تاريخية من خلال أعمال المرأة فى صدر الاسلام) : خمسة مجلدات .

الفهـــــرس

الصفحة

الصفحة

تم الجزء الأول من قصة اسلام الصحابة
بعون الله المنان ، ويليه الثانى
باذن الله تعالى وأوله ،
قصة اسلام :
نوفل بن الحارث

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٤٩/١٩٩٧
ISBN — 977 — 01 — 5160 — 2



يتناول هذا الجزء وما يتلوه باقة من الصحابة الكرام، وهو قائم على دراسة متأنية، ونظرة صحيحة وتفهم عميق فيما جاء بكتب السير والتراجم والمغازى مع الاستعانة بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

ويمتاز الكتاب بسلاسة العبارة ودقة البحث والموضوعية، ويهدف الكتاب إلى تقديم الإسلام فى صورته الحضارية النيّرة.

والمؤلف الدكتور حسن حبشى من أعلام المؤرخين فى العالم العربى وله دراسات تاريخية فى العربية والإنجليزية ونشاط مطبوع فى الترجمة ونشر التراث. وقد مارس التدريس الجامعى فى مصر والعراق والسعودية وليبيا وإنجلترا، كما شارك فى كثير من المؤتمرات المحلية والعالمية، كما شغل منصب المستشار الثقافى لمصر فى باكستان أكثر من مرة.

تصميم الغلاف: صبرى عبد الواحد

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب